برهوت، كتبها بيراعه الذى يسيل من مسنه ماء الابداع ولعاب الرقة والظرف، واجتمع فى سياحته هذه بكثير من أكابر العلماء الأعلام وعلماء الاسلام، وحصلت بينه و بينهم مناظرات علمية كان الانتصار فى أغلبها فى جانبه .

مؤلفاته ورسائله

كان أثابه الله سيال القلم وقاد القريحة قوى الذاكرة سريع المراجعة. وقد كتب كثيرا من الكتب وذوات المجلات والرسائل، تصنيفا وتدقيقا ونقدا، وأكثرها لم يطبع وأهم مؤلفاته ما يأتى : ـ

١ ـ كتاب « ثمرات المطالعة » فى خمس مجلدات ضخمة جمع فيها من الغرائب فنون العلوم ومن الابحاث الطلية والدقائق الجلية والاستنتاجات الصحيحة الشىء النافع الكثير .

٢ ـ كتاب «أحاديث المختار فى معالى الكرار» في ثلاث مجلدات ضخمة جمع فى هذا الكتاب من فضائل الامام على عليه السلام مالم يجمعه أحد مع بحث وتدقيق .

٣ ـ «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية» مطبوع، وهو كتاب جليل لم يسبق اليه فى تأليف مثله، حال فيه مؤلفه حياة رجل بنى أمية، معاوية بن أبى سفيان تحليلا دقيقا بعلم وبحث ورواية ودراية، وكان لظهوره صدى عظيم فى كافة الأقطار الاسلامية، ولما كانت الأغلبية الاسلامية لا تعرف إلا أن ذلك الملك الأقوى، وإلا انه كما يزعمون صحابى وكاتب وحى النبى صلى الله عليه وسلم، ورأوا حيد المؤلف عن طريقتهم ثار ثائرهم وأرعدوا وأبرقوا، ولكننا نرى جعجعة ولانرى طحنا، وتوالت الردود على المؤلف من كثير من العلماء، وحصلت مرات المناظرة بينهم و بينه من أجله . ولكنهم فى النهاية استسلموا لما حواه كتابه الجليل واقتنعوا بالحجج التى فيه، ومن أولئك الذين تصدوا للرد عليه علامة الشام جمال الدين القاسمى، ولكنه فى النهاية رجع عن قوله معترفا بفضل المؤلف ومستغفرا لذنبه، وأخبرنى من يوثق بكلامه بأنه ذات يوم جمع المرحوم وجمال الدين القاسمى مجلس وجري الحديث فيه إلى مانحن بصدده، فما أسرع أن تقدم إلي المؤلف معتذرا عن رده قائلا له : إني لم أكتب ذلك الرد إلا لأنى رأيت الأمة لم تقدر ذلك الكتاب حق قدره، فأردت أن ألفت أنظارها فكتبت ردى عليه، وليس لى رائد فيما رددته إلا ذلك .

وما أنا إلا من غوية إن غوت   غويت وان ترشد غوية أرشد

وأجابه المؤلف غفر الله له بقوله صلوات الله وسلامه عليه وآله (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى)

٤ — « تقوية الايمان برد تزكية ابن أبي سفيان » مطبوع . وهو رد على عالم من علماء عصره ، وموضوعه كموضوع سابقه وفيه من الابحاث والبينات مالا يوجد فى النصائح .
٥ — « فصل الحاكم فى النزاع والتخاصم بين بنى أمية و بني هاشم » مطبوع .
٦ — « الهداية الي الحق في الخلافة والوصاية »
٧ — « العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل » . مطبوع ، وهو سفر جليل جدا في ابحاثه ، ونقد لم يسبق اليه ، رد به مؤلفه توثيق علماء السنة الناصبي غالبا، وتوهينهم الشيعى مطلقا، و بين فساد ذلك و بطلانه مما لا نطيل الكلام بذكر موضوعه .
٨ — « رسالة فى الرد على منهاج السنة لابن تيميه » (٩) « رسالة فى تحقيق مقام الخضرية »
١٠ — « رسالة في ايمان أبوى النبي » (١١) « مذكرات علمية » فى ٧ أجزاء .

جهاده فى سبيل الاسلام

كان رحمه الله مهتما بالتآليف والشئون الاسلامية والحوادث الكونية ، اهتماما كبيرا حتى كان فى أيام مرض موته يكاتب لفيفا من العظماء في كيفية السبيل الى الوقاية من الطاعون البقرى الذى فشى فى أنحاء اليمن وهلكت بسببه آلاف المواشى ، كما كان رحمه الله فى أيام علته أيضا لا يفتر عن المطالعة والبحث ، وقد حدثنى رحمه الله عن تأليفه رسالة عن مقام الخضرية وتحقيق القول فيه ، فأفدته بأنى قد وقفت على رسالة فى هذا الصدد للعلامة ابن حجر العسقلانى ، فأمرنى ـ والاعياء بالغ فيه حده ، وآثار المرض بادية فى جسمه ـ أن ابحث عن تلك الرسالة فى مكتبته ، وفعلا أحضرتها وقرأها وقال لى بعد أن قرأها : إن أكثر ما فيها قد حواه ، وقد حدث كل هذا فى مرض موته ، والحمى تفرى أحشاءه فريا، وكان رحمه الله لا يدع فرصة إلا و يكتب فيها عن رأيه المقالات الطلية والانتقادات النزيهة فى مختلف الصحف بمصر وجاوا والشام ، ولا ساعة إلا و يعرب فيها عن الحقائق فى سبيل الدين والعلم . وكان من شعاره التكتم بالامضاء ليكون لتلك المقالة وقع أعظم مما لو كانت ممضاة باسمه الشريف ، وكثيرا ما ينتحل له اسم محمد الباقر العلوى ، أو عبد الحق العلوى وغيرهما .

ومن أعز أصدقائه إذ ذاك المرحوم الكاتب الشهير الشيخ على يوسف صاحب المؤيد ولمقالاته عنده المكانة السامية ، وكان لا يضعها إلا فى الافتتاحية لأهميتها ، ومن كتاباته التى كان لها وقع في العالم الاسلامى مقالة تحت عنوان (ضجيج الكون من فظائع عون) كتبها فى ٢٩ ذى الحجة سنة ١٣١٦ أتي فيها على سيرة عون الرفيق شريف مكة إذ ذاك ، وعلى فداحة ظلمه وتفاقم شره وتماديه في غيه .

وكان رحمه الله ميالا الى الاصلاح الديني معتقدا أنه شطر أو شرط للاصلاح المدنى والسياسى : وطالما سعى فى تأسيس النوادى بسنغافورا لهذا الغرض ، وهو أول من أقام مدرسة عربية في تلك الجزيرة سميت بمدرسة الاقبال ، جلب لها أساتذة من مصر خاصة : وأنفق عليها من كيسه الخاص مبلغا ليس بالقليل (وكاتب هذه الاحرف كان من المنخرطين فى سلكها) وهو ايضا اول من أسس مطبعة اسلامية فى مستعمرات المضيق كان يطبع فيها مجلته الاسلامية (الامام) التى تصدر بلغة الملايو (لغة تلك البلاد) كما كان يطبع فيها عشرات الكتب العربية ؟ عبد الله بن أحمد بن يحيي العلوى

عبرة من التاريخ

(بقية المنشور على الصفحة ٩٩٨)

و باذنيس التي من حل ذروتها عز الملوك فان شا جار أوظلما
منيعة لم يكدها قبله ملك إلا إذا واجهت جيشا له وجما
تخال نيرانها من بعد منظرها بعض النجوم إذا ماليلها عتما

وقال أيضا :

نفى نيزكا عن باذغيس ونيزك بمنزلة أعيي الملوك اغتصابها
محلقة دون السماء كأنها غمامة صيف زال عنها سحابها
ولا تبلغ الأروى شماريخها العلى ولا الطير إلا نسرها وعقابها
وماخوفت بالذئب ولدان أهلها ولا نبحت الا النجوم كلابها

(للبحث بقية) عبدالوهاب النجار

سلمى الصغيرة



(الاستاذ عبد الله النجار)

سلمى عنوان لرسالة أدبية خاصة بعث بها الاديب الفاضل الاستاذ عبدالله النجار الى صديقنا الاديب الاستاذ وديع مرشاق، يهنئه فيها بمولودة سعيدة ، أسماها الاخ وديع «سلمى» و يظهر أن اسم سلمى ، أثار في نفس الاديب النجار ، ذكريات غرام له. فأملت عليه هذه الرسالة التي نزفها الى قرائنا ؟

المحرر

أتخيلك الآن وقد أمعنت في أشواط الأبوة ، وأثبت قدميك في الحياة الزوجية ، أتخيلك رجلا أشاح وجهه عن الربوع التي يهيم فيها العزاب المتخلفون ، وأقام حماه على أركان غير التي شادوا عليها بناء أحلامهم ، فليست أمانيه أمانيهم ، ولارغبات نفسه تلك الرغبات .

وأراك بغير العين التي كنت أراك بها من قبل ، فتى على وجهه سيمة الوقار ، وفي عينيه نظرة مستبين لا تتراوح فيه الخيالات ، يستقر على متوضح الاشباح ، فلا يترجرج على التصورات ، تلوح عليه معاني القناعة النفسية والاستقرار ، و يستعرض في ساعات خلوته صور ماضيه ، فتبدو باهتة الألوان ، مختلطة المشاهد ، غريبة عن نزعات نفسه ، متنكرة على ميول قلبه ، متنافرة واتجاهات فكره ، كأنها عمل غير صالح من صنع ضال سواه يعرض عبثا عليه .

وأنفذ الى دائرة ذهنك — بسماح منك — فتتنكر جوانبها . لقد استبدلت بالأماني البعيدة الغور ، والاحلام السحيقة المدى ، أماني لا تقصر عن قاعها يد الجد ، وأحلاما قصيرة لا تعى بها قوة التحقيق ، و بدت واضحة فيها صور المقاصد ، ورسوم المبتغيات وعادت طيور الافكار من تيه المني ومجاهل الصبا الى أوكارها لاتوهى أجنحتها الا في طلب الحب ، وأصبح ذلك المكان الذى جعله الشباب معبدا ، تتلى فيه ابتهالات القلوب وتتجاوب تلاحين الوجد ، وتنقش على جدرانه آيات التمني ، معملا تنشر فيه ألواح الخطط وتهيأ على صفائحه التدابير .

وقامت فيه حركة منظمة تصل بين الفكر والعمل بحبال مشدودة . والفكر والعمل فى الحياة كالقوة والمادة فى الكون لا ينقطع التحول بينهما والتجاوب ، فاذا انقطع كان الفكر قوة تائهة والعمل جمودا عقيما . وعلى قدر هذا التحول تصبح الحياة مثمرة مجدية . وها أنت قد دخلت فى هذا الطور وضربت منه بسهم وافر .

فأن الغريزة الجنسية — تلك القوة الخفية — التي تحملنا من شاطىء الوجود الى الايجاد ، تمر بنا على الف جزيرة تنشد فيها الحوريات ، وتنقر الدفوف ، وتدعونا راقصة متمايلة على تلاحين الانغام قبل أن تلقي مراسيها حيث تعطي الحياة ثمرها ، فيستحيل الحلم يقظة والأمل عملا .

من هذه القوة الخفية ، تستمد أجنحة الشباب قوة التحليق ، وخيالات الصبا ألوانها الرائعة ، وعواطف القلوب خمرتها العلوية ، وتنبعث الآمال والاحلام متطايرة فى الفضاء لا تلوى على قصد ولا تقر على مراد . كأن الحياة نغم قيثارته الجسد يضربها الزمان ، ثم تهن تلك القوة وتنفق ، فيطوى الشباب أجنحته ويقبع فى كسر محبسه كالطير المهيض الجناح ، يرمق الفضاء الطلق ولا يحاول الانفلات ، يرى بابه المفتوح ولا يهيب به الى الخروج مهيب ، تمر به الأسراب فينشر جناحه ثم يطويه .

ويملى البقاء ارادته على الحياة ، فتهتز أغصانها وتنثر أزهارها ، وتخلع ألوانها ، وتفتر عن ناضج الثمار . وتعود الاحلام والآمال كما تعود الطيور لتبنى أعشاشها قبل انتهاء الربيع ، وتهبط الافكار من سماواتها على شؤون الحياة ، هبوط الشلالات على المحركات فتصبح عملا منتجا بعد ان كانت قوة ضائعة .

ها أنت الآن قد بنيت عشك المأنور ، وآويت اليه ، وملأته بالبنين ! ها أنت قد أنشدت أنشودتك الباقية على الايام ، وتلوت تسبيحتك على الاجيال ، ونظمت قصيدتك للدهور !

وسبحان من علمك الاسماء ! وأوحى اليك اسم « سلمى » الجميل . تبارك هذا الاسم « الجامع » فيه صدى من أمسى ، علمنى فى الماضى عذوبة النداء ورقة الهتاف ، تمر الاسماء جميعها على سمعى بالترجيع ، أما اسم سلمى فينحدر تواً الى قلبى حاملا ذكريات عزيزة وقطعا مسلوخة من روحى .

فهاك كلمة أقدمها الى سلمى الصغيرة ، وهى هديتي الى الطفلة العزيزة ، هدية من بقية الشعر فى قلبي عسى تروق لك ؟

عبد الله النجار

قصة مصرية

سعاد

(قصة حقيقية لا أثر فيها للخيال)

وكان لزاما عليه أن يعرفها بعد اختلاط أسرتيها من جهة ، ومن ناحية أخرى لقرابتهما ، والقربى أمر كثيرا ما يركن الشاب اليه و يتخذه سببا يستند اليه و ينتحل المعاذير لذلك مهما كلفه الأمر .

والتعليم إحدى وسائل التعارف الكثيرة ، فقد يربط بين المتنافرين ، و يوفق بين المتخاصمين و يجمع بين البعيدين ، والكتابة الاخوية نتيجة لازمة لذلك .

زادت المراسلات وزاد التعارف ، وما لا يكون بالكلام يكون بالاقلام ، ومالا يؤدى بالاشارة يؤدى بالعبارة .

وكثيرا ما يعجز المرء عن إبانة الغرض فى كثير من مواقفه ، ولكنه قد يتغلب عليها كتابة . فيستطيع أن يملك ناصية الحال بالكتابة ، ولكنه لا يستطيعها فى الحادثة الشفوية ولدى الانسان الوقت الكافي الذي يستطيع أن يفكر فيه أو يجمع المعلومات .

والكتابة بين متعاشقين يعرفانها أمر لابد منه لما لها من المزايا الكثيرة . فكان أن تزاورا بعد أن نزعا التقاليد المصرية المتبعة فى مثل هذه المسألة .

ومنع اختلاط شاب متعلم أوغيره فى الأسرة بلغ مبلغ الرجال وأخرى بلغت من السن ما يؤهلها إلى أن تكون زوجة — عادة قديمة لها محاسن ومظاهر لا يحسن أن تتبع فى هذه الايام ، فقد أصبحنا والحمد لله لا يؤدي الاختلاط الا إلى سمو فى الاخلاق دونه ذلك القيد الذى ما زلنا نرسف فيه فى كثير من المدن ، فما علينا الآن الا أن نترك هذه العادة وراءنا ونرمى بالرياء عرض الحائط لأنه خيال زائل .

تزاورا لداع ولغيره ، وكان التزاور فى أول أمره صعبا أو فى غير المقدور بين العاشقين . ولكن سرعان ما هيأت لهما الظروف الاعتكاف عن الأسرة حينا ، وحينا آخر الى التلاقي خارج الدار ، وكانا يقضيان الوقت الطويل في حشمة ووقار يرفرف عليهما علم لحمته القربى وسداه الطهارة والعفاف ، فيتكلمان فى الموضوعات الطلية الشيقة ، ولا يجتمعان الا فى الأماكن التى تبعث السرور والراحة فى النفس .

كانا يجتمعان بعد مضي أسبوع غالبا ، وربما لا يرى كل منهما صاحبه طوال شهر كامل لمحافظتها على العادات القديمة من جهة ، ولايقاد النار فى قلب عاشقها من جهة ، فكانت لا ترحمه

فتطيل المدة إلى أكثر من هذا ، فيضطر المسكين إلى أن يذهب اليها وربما بخلت بالظهور عليه ، فيرجع الى بيته وقد ملأ الأسى كل جوانحه فلا يجد الا كتابا ينتظره.

وكان الحب الذى ملأ جوانح الاثنين . . . وكان ظرف جمع بينهما كأن سلطان الحب أراد أن يجمع بينهما، وشاءت الأقدار أن تكتب صفحة جديدة ، فكتبت أول سطر ، وكان من نور ، قرأه أفراد الأسرة جميعا ، ولكن سعاد هى التى كتبت أول حرف فيه .

* * *

استمرت الحال طويلا حتى بلغت أشدها فى أخريات دراسة المسكين، وعلقت الفتاة آمالها به ، وظنت أنه أصبح فتاها، وزعم هو بدوره ما زعمت ، فتركت المسألة جانبا من غير تفكير .

وذات يوم جلسا فى إحدى الحدائق العامة ، فحدث بينهما جدل فى مشكلة الحياة العامة وهى « الزواج » ولكنهما لم ينتهيا إلا على الرأى الذى ينتهى إليه كل عشيقين جديدين وهو الاقتران ، بعد أن يعد الفتى عدته ، ثم انصرفا وهما زوجان منتظران .

زادت جلسات الفتى اليها، وخاصة فى أيام الاجازات المدرسية، فأزكى ذلك نار حبهما ولكنه حب ذو سياج من الوقار والعظمة ، فلم يتعد الجلسات المحترمة، والمناقشات المفيدة فى الموضوعات العامة، وكان كما يسميه الغراميون « حبا طاهرا لغته الكلمات العميقة والآمال المنتظرة »

وجاءت الأجازة الصيفية ، وكان لزاما أن تكون الى جانبه ، فمكثا يقرءان صفحات غرامهما طويلا، وينتظران آمالهما بعين الخيال والأمل ، ولكنهما يجهلان ما طوى لهما القدر ، وكان ثمة وداع مؤثر أودع كل منهما فى نفس صاحبه آماله الفياضة الكثيرة ، وحبه الكامن الدفين ، وافترقا أملا فى اللقاء .

فكر كل فى صاحبه أكثر من قبل، وبعدت بينهما الشقة ، وأصبح من المتعذر أن يعرف أحدهما عن الآخر شيئا ، الا أن هذا انتقل من بلدة كذا الى بلدة كذا ، وما فى القلب محفوظ لا يتعداه . . .

وفوجئ المسكين بزفاف فتاته التى علق عليها آماله الى آخر ، فبهت للخبر وظل لا يصدقه أياما وشهورا حتى حققته الحوادث وصدقه الحس ، وعرف أن الحق أبلج وأن الامر قد انتهى .

عض المسكين أصبعه أسفا وندامة وحسرة على فرصته التى أفلتت،وعرف أنه تهاون فى حق صاحبته ، ولكن الى أى مدى هذا التهاون ؟

لم يتعد أكثر من أنه لم يسع إلى السؤال عنها ، ولم يعمل لداعى غرامه وحكم عقله فى أمره كى يحقق آماله معها .

نكص جواد حبهما ، ونكست راية غرامهما ، وأفل نجم سعدهما ، وذبلت زهرة عشقهما ، وحل الخصام محل الوئام ، والكراهة مكان المحبة ، والبغض محل الحب .

بات الفتى يذكر لياليه الماضية معها بعين الأسى والاسف ، ويبكى أيامه الخوال بعين كسيرة وقلب مكلوم .

مضت الايام سراعا ، وغصن المسكين يذوى ، ولونه يأخذ في الشحوب ، حتى ضاقت الارض فى وجهه ، وطلب الحياة فى بلدة أخرى .

كل هذا وخيالها لا يبرح عينه ، وشخصها لايذهب من أمامه ، حتي اعترف أمام ضميره بأنه لايزال يذكرها ويندب أيامها .

وبعد بضعة شهور على قرانها ، وبعد أن ذاق كأس حبه مريرة ، وشرب الثمالة من هذا العشق الدفين ، أرسلت المسكينة اليه تبثه شوقها وتطلب إليه الصفح والمغفرة عن تعجلها فى زفافها وتفهمه أن الذنب ذنب أهلها ، وأنها لم تنس أيامه ، وأنها ماتزالت تذرف العبرات وتندب حظها وتتضرع إليه أن يمنحها مقابلة قصيرة كي تفصل له الحقيقة ، وختمت الرسالة بهذه الكلمات المستقطفة .

. . . . . وآخر كلمات أبعث بها إليك ياعزيزى ، هى أن أطلب إليك نسيان الماضى — وإن كنت لا أنساه — وأن تغفر لي خطأى ، وأنت أولى من أوجه إليه هذا ، وكفانى من قبولك ، خيالك الذى يعاودنى ويملك على جميع مشاعرى ، وأستميحك العفو أولا وأخيرا . . .

ولومنحتني زيارة يسيرة في غرفتنا المعهودة لضممت إلي كثير مكرماتك مكرمة جديدة والسلام

سعاد

* * *

فكان رد المسكين عليها طى الرسالة ، التى أحيت ميت غرامه ، وأوقدت نارا أخمدت زمنا ، وبعثت من جديد الحياة إلى جسم كان هذا دواؤه ، وبعد أيام قضاها فى تفكير عميق كتب إليها :

عزيزتى !

دهشت لرسالتك كثيرا ، وبهرنى رجوعك إلى الحق ، بعد أن مكثت أشهرا ظننت فيها أنك نسيتنى ، ولكني أستشف من خلال كلماتك أنك على العهد باقية ، فلك شكرى ياعزيزتى على ما أبديت من عطف ، وأطلب إليك بحق حبنا الطاهر ، وبحق آمالنا التي لم تتحقق ، أن تنسى هذا العهد ولا تذكريه ، وأن تكوني عند حسن ظنى بك ، وأن تمنحى زوجك من العناية ما كنت تترسمين فى الزوجية الحقة ، وأن تعطيه أكبر قسط من

عنايتك ونظرك . وأما أنا فكفاني منك أن تذكريني فى فراغك ، وتضمى إلى علمك أنى لا أقدر على الحضور ومصادمتى بك الصدمة الثانية ؟ محمد

***

تسلمت المسكينة رسالته ، فبكت ماشاء الله أن تفعل ، وحاولت أن تصل إلي عزيزها بأية طريقة ، مادام فى هذا إرضاء لضميرها ، وصفح صاحبها ، ولأ يقافه على الحقيقة . وحاولت الوصول إلى صاحبها أو إلي إخباره فلم تتمكن ، وما زالت المسكينة فى بكائها ونحيبها فلا هى قادرة على ارضاء ضميرها ، ولاهي حاصلة على صفح صاحبها .

ولكنها لن تصل إلى أمنيتها ، لأن صاحبها قد عرف أن المسألة كانت بيدها ، وأنه كان فى مقدورها الانتظار حتى يحظيا بأمانيهما ، وأنه لاقيمة لرأى غيرها مادامت قد ملكت على عزيزها قياده فى أول الأمر ، ومادامت متأكدة من عهده ، وأخيرا قد وقر فى نفسه أن المرأة هى المرأة أولا وأخيرا ، ليس لها رأى يعتد به .

ثم مكث المسكين فى حيرة ، و بعد أيام جلس إلى مكتبه ليسطر إليها مايخفف ألم بعاده ، ولكنه لم ينته من خطابه .

***

وأخيرا وجد أهله هذا القلم بيده وهو مكب على مكتبه ولاحراك به ، وكان آخر ما كتب فى حياته « عزيزتى سعاد » وذهب مبكيا على شبابه بعد أن شقى بحبه ، و بعد ان أشقى فتاته بجانبه ، ومازالت المسكينة طريحة الفراش تعانى ألمين : ألم حبها ووفائها لصديقها ، وألم الموت وقد أورثها حزناً طويلا مازالت ترسف فى قيده .

فاللهم أغدق كثير صبرك على فتاتك ، وألهمها الحزم إنك على ماتشاء قدير .

هذه قصة حقيقية لاأثر فيها للخيال مطلقا ، ذكرتها كما حدثت . وقد فاتنى أن أذكر أن عدم زيارة المسكين لها هو المحافظة عليها من اللهفة ، وعلى سمعتها من أن يلحقها سوء ، وعدم ازعاج زوجها ، وخوف القيل والقال ، وما منعها إلا لطهارة قلبه من ناحيتها ، فقدكان يحمل لها بين جوانحه حبا دفينا ؟ « رمز »

الاعداد السابقة

تطلب الاعداد السابقة من الادارة مباشرة

بين المتناظرين

تقييد النسل

— ١ —

إن ما كتبه الاستاذ على نجيب فى العدد الماضى دليل كاف على أنه لم يعرف معني التقييد ، فلم أجد فى الموضوع الاخير الذي رد به الا أرقاما لصفحات مختلفة من كتب لا دخل لها فى تقييد النسل ولوأنها تكتب في التناسليات ، ولم أجد الا استشهادات من قديسين وأنبياء و بابوات ، وأسطرا مملوءة بما كل مختلفة من (مفتقة ومغات ومكرونة و بلح وكنبيهات وسراير ودواشق) وتقصه سرد بقية عفش البيت .

انك خلطت ياسيدى الاستاذ بين المنع والتقييد ، فالتقييد يختلف تمام الاختلاف عن المنع ، وإذا مادعوت إلى تقييد النسل فليس هذا معناه انى ادعو الى منع الحمل ، حاشاوكلا أن أرمى إلى هذا .

فانه مامن شاب يقدم على الزواج إلا وهوواضع نصب عينيه الخطة التي سيمشى عليها حتي يكون أسرة بالمعنى الحقيقى ، والاسرة ياسيدى الاستاذ لا تتكون من زوج وزوجة فقط ، بل الاسرة التى ينقصها الاولاد لا يصح أن يقال عنها أسرة ، والشاب ياسيدى الاستاذ الذى يقدم على الزواج ، لا يقدم عليه لأنه سيجد فيه متعته الجسدية ، فهذا أمر ثانوى يؤديه لكي يحصل على الامر الاساسى وهو تكوين الاسرة .

ان أكبر دليل أقدمه لك هو أن تذهب بنفسك الى امرأة عاقر ، وتسألها عن شعورها نحو النسل ، تجد أنها تقول لك بصراحة كلية : إنها تتوق الى ذلك اليوم الذى تحس فيه بجنين يتحرك فى أحشائها ، وتقول لك انها عملت المستحيل في سبيل ازالة هذا العقم المستأصل ، فمن عقاقير طبية الى عمليات جراحية خطيرة ، حتى الى وصفات بلدية تباشرها ، وكل هذا لا يفيد ، وأسألك أيضا أن تذهب بنفسك الي امرأة ذات تسعة أو عشرة أولاد ، لتسألها عن شعورها نحو النسل ، تجد أنها قد سئمت الحياة وترحب بالموت ، عدا أنها تكون فى حالة عصبية يرثى لها .

لم يبلغ بى الجهل يا أستاذ ان أدعو إلى منع الحمل بتاتا ، لأنى أعرف أن كلامى سيكون موضع سخرية من الجميع ، ولم يبلغ بي التفضيل أيضا الدرجة أن أترك تلك المرأة المسكينة

التي سئمت الحياة من كثرة أولادها وهي بعد في أوج شبابها ، اتركها تنزل اللعنات على الاطباء الذين لايرحمونها و يرثون لحالها باعطائها ما يضبط نسلها .

والآن تجد ياأستاذ ان ما أرمي اليه من تقييد أو بمعنى آخر ضبط النسل من كثرته هو ما يسمونه بالانجليزية Birth Control ولست أرمي إلي منع الحمل أو بمعني أخر ادعو إلى العقم .

أما ما تقوله من أن تقييد النسل والزنى كلاهما واحد فكلام هراء . وما تقوله أيضا من انه عمل اجرامى ، لأنه دعوة هدامة يقصد بها الى هدم الفضائل أولا بجعل الزوجة مومسا ، وثانيا بقتل الجنين. فهذاجهل مطبق - لانه تجد أولا أن هناك زوجات كثيرات عاقرات ، ومع ذلك فانهن من فضليات النساء ، يقمن بأعباء بيوتهن وخدمة أزواجهن خير قيام .

ثانيا - أما من جهة قتل الجنين فلا أجد ماأقوله لك حتى أعرف أين هو الجنين ؟ .

اذا قلت بالتقييد ياسيدى فمعناه منع ذلك الحيوان المنوي من الوصول الى البويضة فيلقحها ، لأنه اذا تم التلقيح تكون الجنين ، فاذا منعنا ذلك الوصول بأى طريقة سواء أكانت بالعقاقير الطبية أو بأشياء آلية ، فأين إذن هذا الجنين الذى سيقتل ؟ يظهر لى انك تجهل عملية التناسل . فالمرأة تنتج بويضة واحدة وعند الاخصاب لاتتلقح تلك البويضة الا بحيوان منوى واحدمن بين الملايين من الحيوانات التى يقذفها الرجل عند كل جماع .

إنى لاأنكر أنه عمل إجرامى ان أقتل الجنين ولكنه ليس عملا إجراميا أنأقتل حيوانا منويا واحدا مع أنه يموت فى كل قذفة ملايين ، وليس عملا اجراميا ان أهلك بويضة واحدة مع أنه يموت فى كل شهر قمرى بويضة تخرج مع الطمث .

فالطبيعة ياسيدى مسرفة إلى حد كبير ، وماهذا الاسراف الالحفظ النوع ، فانك تترك الحيوانات تكثر من نسلها ، بل تجتهد فى تحسين نسلها ، لانه ليس هناك عناية أبرية Matenal Care فلذلك يهلك الكثيرون ، ومابقي من هذا النسل الكثير يكفى لحفظ النسل ولايصح ان نطبق ياسيدى الاستاذ هذه القاعدة على الانسان دون تحسين فيها ، حيث العنايه متوفرة والصحة العمومية تقدمت بفضل اطبائها فقلت الوفيات .

واسمح لي ياسيدى أن أكتفي بما قلته لانه ليس لدى متسع من الوقت ، وارجو ان يكون هذا خاتمة مناظرتنا التي استمرت اربعة اشهر ، كما ارجو من الاستاذ الكبير

حب «المعرفة» الغراء ان يعطينا رأيه فى هذا الموضوع ، و إنى سأعتبر رأيه النتيجة النهائية بل الحكم الاخير فى هذه المناظرة (١) ؟

أدمون كريدى

بكلية الطب

— ٢ —

كنت أظن أن مسألة تقييد النسل قد فرغ منها ، وان أغلب الناس ان لم يكن كلهم قد اقتنعوا بوجهة نظر الداعين اليها دعوة خالصة لوجه الله ولخير الانسانية ، غير أني دهشت كل الدهشة عند ما قرأت مقالى الاستاذ على نجيب ، وخاصة رده على رد حضرة (ادمون كريدى بكلية الطب) وقد لفت نظري علي وجه الخصوص قوله : إن هذا التقييد عمل اجرامى ، لأنه دعوة هدامة يقصد بها هدم الفضائل ، اذ يجعل الزوجة مومسا و يقتل الجنين .

فما انه يجعل الزوجة مومسا فهذا خطأ ، أوهو على الأصح مغالطة . فالمومس هى التى تعرض جسمها على أكثر من رجل واحد ، وليست هى التى لا تنجب أطفالا ولا تحمل وأظن من المشاهد أن ثمة مومسات يحملن ومع ذلك فما زلن مومسات .

وغريب من الاستاذ على نجيب أن يرى فى المرأة التي لا تحمل مومسا ، وماقوله إذن فى المرأة العاقر ؟ ثم ماقوله فى أن المرأة لا تحمل حملا جديدا بعد كل جماع ، والظاهر من كلامه أنه يكاد يرى كل جماع لا يتبعه حمل زنى ، فهو يقول : إن الزوجة يجب أن تكون أما فان لم تكن فهي زانية . ، وهذا من أغرب ماقيل ، فهو يريد بذلك أن يجعل المرأة مكانا للتفريخ قبل كل شيء .

وعلى كل حال فالداعون لتقييد النسل لا يدعون لفناء الجنس البشرى حتي يصح للاستاذ علي نجيب أن يحمل عليهم هذه الحملة الشديدة ، اذ هم يريدون في الواقع تقييد النسل لا منعه بتاتا ، والكلمة الانجليزية تعني ذلك وهى Birth Conrol . وهذا التقييد ضرورى فى ظروف كثيرة من الناحية الصحية ان لم يكن من الناحية الاقتصادية ، ولست فى حاجة إلى توضيح ذلك فهذا أمر قد فرغ منه

وأما أن تقييد النسل يدعو إلى قتل الجنين فهذا أمر لم يقل به أحد الا إذا لم تكن له دراية بوظائف جسم الانسان و بأبسط مبادىء علم الحياة .... فمن المعلوم أن

(١) صاحب « المعرفة » يشكر الكاتب ، و يود أن يعلم المتناظرون جميعا ، أنه نصير حرية الرأى قبل كل شيء — أيا كان ذلك الرأى وسواء أكان خطأ أم صوابا — وفى هذا ما يجعله مضطراً لتأخير رأيه حتى يقول الطرفان ما يريدان .

الطرق التى يدعو لاستعمالها أنصار هذه الدعوة لاتمس الجنين بل هى تمنع اتصال البزيرة المنوية التى يفرزها الذكر ببويضة الانثي . ومن المسلم به أنه فى كل جماع يفرز الذكر عددا كبيرا جدا يقدر بالالوف من هذه البزيرات ، ولكنها لاتصل كلها إلى الرحم بل تموت في الطريق أوتخرج من المهبل ، وعندما يحدث الحمل لايلقح بويضة الانثى سوي بزيرة منوية واحدة ويموت كل ماعدا ذلك من البزيرات ، ثم إذا حدث الحمل فكل جماع بعد ذلك لمدة تسعة شهور ، يعني ان جميع البزيرات تموت . وجميع طرق الوقاية من الحمل ترمى إلى قتل هذه البزيرات قبل أن تتصل بالبويضة ، ولاجدال فى ان الجنين ليس هو البزيرة بل هو الكائن الجديد الذى يتكون من اتصال البزيرة بالبويضة .

مما قدمت يتبين ان الله جل شأنه ـ رحمة بالناس ـ قدجعل المرأة تحمل جنينا واحدا يتيسر لها العناية به عناية تامة ، ولوشاء لجعلها تحمل عشرة أجنة بدلا من الواحد ، ولقد جعل الله لنا أيضا عقلا نهتدى به ، ويسر لنا بعض الامور فى هذه الحياة نتصرف فيها بما منحنا من عقل وعلم ، ومن هذه الأمور ـ من حسن الحظ ـ التصرف فى ايجاد فلذات اكبادنا على الارض والعناية بشؤونهم ، فاذا دعا داع الي تحكيم العقل قبل الانسياق مع تلك التقاليد التى نشأنا عليها وفيها الخطأ والصواب ، فالأجدر بنا ان نتريث قبل الحملة عليه ونتبين الرشاد من الغى حتي نصل إلى الحق . ابراهيم عبدالحميد زكي

— ٣ —

قرأت رد الاديب ادمون كريدى فى العدد السادس من مجلة المعرفة على مقال نشر فى العدد الخامس منها حول تقييد النسل ، وقد آلمني أن يبعد حضرة الكاتب عن جادة الحق في عرض حديثه الختامي بأن يصف الرجل بأنه الشخص الفاسد الذى يأتى للمرأة مغريا فينال منها غرضا شائنا يتركها بعده فى لوثة عارها تندب حظها شقية تعيسة ، ويلومه دون المرأة التى هى السبب المباشر فيما جرته على نفسها وعليه بما تصوبه إليه من نظرات ساحرة جذابة وما تظهره من الخلاعة التى هى أعظم باعث على الاغراء . . .

انى لست بذاكر ماعرضه كاتب المقال عن حرية تقييد النسل أوضرر ماينتج من قطع دابر النسل وحرمانه كلية من الظهور فوق وجه الارض ، فذلك له أخصاؤه يذودون عنه ويحفظون وجهة نظرهم ، كل بما يحسبه صوابا .

انما الذي أراه من غير حق الكاتب أن يقوله هو أن يغفل من حديثه عدة نواح لها تأثيرها ولها بذكرها دماء تسيل ، ويأتي على القشور يسردها حسب هوى نفسه وأغراضه كأن يقول « ان تبعة نشر الرذائل تأتى على الرجل قبل أن تأتي على المرأة » ويعقب

حديثه بقوله « فاذا لم تجد المرأة من يغتصبها ومن يهدد شرفها فانها مضطرة الى الاستقامة والسير فى طريق الحق »

ذلك ما يحدثنا به الأديب ادمون ، كأن المرأة عنده حيوان أعجم لا ينطق ولا يفهم أو يشعر ويحس ، وكلنا نعلم أن المرأة دائما المحرضة بما عليها من مساحيق وملابس قصيرة شفافة أو براقة تخطف بها أبصار العالم وتجعلهم حيارى فيأتون اليها ولهين ، ومن يدرس المرأة يجدها تنشد الفلسفة فى الرجل ، فهي ان أرادت جعلته عظيما او أرادت جعلته ابلها ، ولا يعقل أبدا أن تيأس امرأة من رجل لا ينظر اليها وهو أبدا عرضة للزلات التي تجيد حبك وضعها له ، فلامعني اذن لاضطرارها أن تقبل رغبة الرجل وهى التى قال عنها عظماء الرجال « تهز المهد بيمنها والعالم بيسارها » والتى يصح فيها هذا القول لابد وأن تكون ذات عقل كبير يسيرها لخير نفسها على الاقل ، أن لم نقل إنها اليوم تقاسم الرجل معيشته بعقلها في الحياة ، و إلا لم أطلق عليها أنها أفعى وشيطان للرجل ؟ ! ذلك أنها لا تصلح الا لغير المتاعب والآلام التى تبذرها فى القلوب ... على أنها قد تكون حمقاء مريضة ، تصيد الرجل لتلقحه بميكروبها الفاسد دون أن يدرى كيف يستعيذ من شرها ، ولا حول له الا أنه أجاب رغبتها تحت تأثير نبال عينيها الساحرتين ، ووجهها المختفى تحت طبقات سميكة من الدهانات والمساحيق التى تعينها كثيرا على سرعة اصطياد الشباب ، لترديه فى وكرها كلما همت وأرادت ، ولكنها لا تسلم فى النهاية من عقاب آخر ، أشد وقعا فى النفس من الموت أعدلها فى الحياة لتكون بما لها اليه عبرة لمن اعتبر . . .

من هذا نري أن الذنب لا يقع على الرجل وانما على المرأة وحدها ، فهي التى أهملت شأن واجبها ، وأرادت لنفسها التعاسة والشقاء فمكنت الرجل باستغوائها اياه حتي اذا جمعته بشخصها ومكنته من نفسها ونالت منه كل غرضها تركته متصنعة الفزع وملأت الدنيا صياحا وقالت : انه هو الجانى . . هو الذئب الرجل . . واما هى فتدعى انها الحمل الوديع والفتاة الساذجة البسيطة . الميتة الشعور التي لا تفهم من علاقة الرجل بالمرأة شيئا ! ! فالى متى هذه المغالطات التي أصبحت مكشوفة . . . ؟

حسن رجب

مملكة المرأة والبيت

الحب الافلاطونى عند المرأة

ماذا يعنى الناس عند مايتكلمون عن الحب الافلاطونى ؟ . إذا اتخذنا الاستعمال الشائع الآن فى هذا الصدد ، وجدنا أنهم يقصدون ذلك الاحساس القوى الخالى من الشعور الجنسى الذى يربط بين شخصين . ولكن الذى نريد أن نعرفه هو : هل يمكن أن يوجد مثل هذا الحب بين رجل وامرأة ؟

بحث العلماء الذين يهتمون بالعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة هذا الموضوع جيداً، واتفق معظمهم على أن مثل هـذا الحب لايوجد . فالمرأة عند شعورها بالدافع القوي ، والرغبة الجامحة التي توجهها دائمـا نحو مصدر حبها ، تدرك أن داخلية نفسها ، بل كل العوامل الطبيعية الخفية تعمل على اتحادها بالرجل . ولـكنها تعـلم فى نفس الوقت أنها إذا أطاعت هواتف نفسها ، وهمسات قلبها ، فانه يصيبها صنوف من الاضرار ، وأنواع من العذاب والآلام لاتستطيع احتمالها .

ولسنا نقصد من ذلك ، النتائج المادية لاتحاد الرجل بالمرأه، بل نرمى إلى توبيخ المرأة لنفسها عقب ذلك الاتحاد ، وخوفها من تقولات زميلاتها وتخرصاتهن. لأن المرأة تحسب ألف حساب لسمعتها التي ماهى إلا كلام الناس عنها ، سواء بالخير أو بالشر . كما أنها تعلم تمـام العلم أن أحب المواضيع إلى قلوب الناس جميعاً هى تلك المواضيع التى تتناول الكلام عن سلوك المرأة ، والتي تنهش فيها الاعراض وتخدش الاخلاق وتنتهك حرمة الفضيلة . فهم لاينظرون إلي الجانب الخير من الموضوع ، وهو الزواج الذى يعقب الحب ، بل لايرون الامقدمات ذلك الزواج وماتقتضيه من ألوان الغزل وفنون الحب .

العلوم والفنون

مطاردة الذباب بالزجاج الأصـفر .

معلوم أن الذباب أحد أعداء الانسان ، وهو عندنا يبدأ يتوالد بكثرة مزعجة جداً فى أوائل الشتاء ، على أنه لايقل فى الفصول الاخرى من السنة إلاقليلا ، فيجب علينا دائماً أن نحترس منه وأن نطارده بكل الوسائل، وفيمايلي نصيحة وجهتها شركة من شركات صنع الزجاج بانجلترا إلى زبائنها على صفحات الجرائد عن كيفية مطاردة الذباب :ـ

منذ سنوات حدث أن عائلة استبدلت زجاج مخزن المنزل بزجاج أصفر اللون ، فشوهد أن المخزن خلا تماما من الذباب الذى كان يعج فيه ، في حين أنه تراكم بكثرة فى الممشى الموصل إلى المخزن ، فاستبدلت أيضا زجاج الممشى بزجاج أصفر اللون ، فكانت النتيجة أن الذباب هاجره أيضا . ولما كانت الشركة دائما موضع تساؤل زبائنها عن أفضل مايكون عليه زجاج كل حجرة ، رأت أن تكلف عالماً بدراسة أثر الالوان في الذباب ، فكلفت البروفسور ينوستد ، وهذا أجرى عدة تجارب ثبت له منها أن من بين الذباب مالا يمقت جميع الالوان إلا الاحمر وخاصة الاصفر ، أما الابيض فهو مشجع جدا لبقائه . ولما كان اللون الاصفر ضاراً بالبصر ، فقد رأت الشركة أن تنصح زبائنها بوضع الزجاج ذى اللون الاصفر في نوافذ مخزن المنزل ومطبخه وحجرة الأكل فيه فحسب ، ذلك لأن تلك الحجر هى التي توجد فيها الاطعمة التي يلوثها الذباب .

« والمعرفة » تنصح قراءها بتجربة الزجاج الاصفر .

المزرعة والكهرباء .

من عجائب التمدن الأمريكي أن تحولت المزرعة الى مصنع بكل معانى الكلمة ، وللكهرباء الشأن الاول فى ادارة ذلك المصنع ، فقد أحصى كاتب ٢٢٧ حالة امكن للفلاح الامريكي أن يستفيد فيها من استخدام الكهرباء منها : أنها ترفع الماء وتصرفه ، وتحرث الارض وتنقيها من هشيم النبات ، وتسمدها وتبزر الحبوب فيها ، وتحصد النبات وتفرزه أيضا وتقشر قشوره ، وتقدم العلف للحيوانات ، وتحلب اللبن وتفصل منه الزبد وتصنع منه الجبن ، وتجفف جلود الحيوانات بطرق كيميائية ، وتخلق أجواء صناعية لتفريخ الدجاج وتربيته ، وتستنبت النبات فى غير موعده ، وتسحق العظام للاستفادة منها ، وتحفظ اللحم من التعفن ، وتحشي (السجق) الذى يؤكل بكثرة ، وتقتل الجراثيم التى تلوث النبات والالبان وتحفظ الورود والرياحين نضرة ، وتستعمل فى إخافة الطيور المضرة بالنبات ، و يضبط بها لصوص الدجاج والخنازير والخيول الى غير ذلك من الفوائد الجمة .

الا ان أكبر فائدة يراها الكاتب انها ترفع مقام الفلاح ، وتسمو بفكره ، فبدلا من ان يكون « خادما » يباشر كل شيء بيديه كما يفعل فلاحنا المصرى ، فأنه يصير « سيدا » يباشرها بواسطة الكهرباء ، وبذلك يتحقق حلم الفليسوف (نيتشه) فيصير الناس على اخلاق السادة لا على أخلاق العبيد . وتلك هى العظة التى يمكن ان نستمدها من حياة الامم الراقية ، تلك الحياة الصناعية التى تخلق في الناس أخلاق السيادة والأنفة والكرامة وكل ما ماثل ذلك من مؤهلات البقاء ومقومات الاستقلال .

مكتبة المعرفة

تاريخ دراسة اللغة العربية في اوربا

هذا عنوان لكتاب ألفه المستشرق النمساوى العلامة يوسف جيرا . أهداه الينا الاستاذ صالح جودت بك المحامى ، وقد سنحت لنا فرصة وجيزة للاطلاع عليه ، فراعنا ما أودعه مؤلفه فيه من الحقائق التي يفخر بها كل شرقي ، وما دبجته يراعته فى تسطير تاريخ أولئك المستشرقين الاعلام الذين خدموا العربية فى بلادهم ، وخدموها أجل الخدمات ، وان كان غرضهم الاول من تعلمها كما يقول المؤلف « لاغراض دينية وحربية فى القرون الوسطي ولكنها تحولت بعد ذلك الي اغراض علمية ، وقد كانت مجهولة تقريبا في اوربا قبل الحروب الصليبية .

ويرجع سبب ذلك إلى تحكم الرهبان الذين كانوا متسلطين على كافة العلوم ، وبالاخص الدينية منها ، حتى انهم كانوا يحرمون نشر اي كتاب مالم يكن باللغة اللاتينية ، وبأذن خاص من البابا .

وقد استمر الامر كذلك الى أن جاءت الحروب الصليبية ، وكثر الدعاة من المبشرين والرسل ، فانتشرت بواسطتهم اللغة فى اوربا ، وإن كان الغرض الاول لشؤون حربية ودينية إلى أن تطورت عقيدة المسيحيين نحو الشرق بعد ظهور الراهب « مرتين لوثر » فأخذوا يتعلمونها حبا فى العلم ، وخدمة للحقيقة ، وميلا لآداب اللغات ، لا لغرض سياسي أو ديني »

والكتاب فوق أنه يحوى تاريخ طائفة كبيرة من عظماء المستشرقين الذين خدموا العلم ، محلى بصورهم وذكر كثير من آثارهم التى اقتضت كثيرا من مجهودات المؤلف حتي استحضرها من مختلف المتاحف والجهات . تحمل هذه المتاعب من أجل فكرة جليلة هى كما يقول : « خدمة للناطقين بالضاد ، ولتكون واسطة تعارف بينهم ، و بين من نشروا لغتهم في الغرب ، وسننقله الى احدى اللغات الاوربية . ونسأل الله أن يوفقنا لخدمة الشرقيين عسى أن تتوثق أواصر الصلة بين الشرق والغرب ، فلا يكون ثمة محل للكلمة التى يتشدق بها الجهلة ، و يتغنى بها ذوو الاغراض ، وهى الشرق شرق ، والغرب غرب »

بهذه اللهجة ، وبهذا الاسلوب الرقيق الذى يستحق كل شكران وتقدير ، يصدر ذلك المستشرق كتابه العظيم ، وهى شهادة وإقرار من المؤلف نضيفها الى الآلاف غيرها من شهادات الاعلام الذين ذكرهم فى كتابه وشهدوا بفضل اللغة العربية الجميلة

التى يتغنى بجمالها كل من ذاق معانيها الصحيحة الرائعة .
فنشكر للاستاذ جودت بك هديته النفيسة، ونرجو أن تتاح لنا الفرصة فنبحث الكتاب باسهاب.

الجواهر فى تفسير القرآن الكريم
لفضيلة الشيخ طنطاوى جوهرى

أهدينا الجزء الحادى والعشرون من هذا المؤلف الثمين الذى تقوم بطبعه مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، وهو يبدأ بسورة الدخان، فما كدنا نطلع عليه حتي ذكرنا قول خصوم تفسير الطبرى حيث قالوا: «إن فيه كل علم ما عدا علم التفسير» ذلك لأن فى تفسير الاستاذ صاحب الجواهر كل علم فوق علم التفسير، والحق أنه دائرة معارف قرآنية تقع مصداقا لما جاء فى القرآن الكريم «ما فرطنا فى الكتاب من شىء» فأنت تري الفلك والطب والهندسة والسياسة والاجتماع وكل علم ما فى السماء والارض، وكل ما انتهت اليه الثقافة في مختلف عصورها من أول عهود الثقافات الى الآن، من عهد «أفلاطون» الى عهد «كانت» كل أولئك مذكور فى هذا التفسير بأجلى بيان، موضح بأعظم توضيح، ولا غرو فالاستاذ يفيض علما ونورا، لأنهما يصعدان عن علم عامل بما يقول، وعن عقيدة هى بقية من بقايا السلف الصالح المختار.

مجلة النهضة السودانية

لقد كنا نفكر فى اخواننا السودانيين، ونتمني أن نراهم متمكنين من تناول الثقافة العصرية حالا فحالا، ولكنا كنا لاندرى كيف نتصل بهم بكل ما نعنيه من الاتصال العلمى، واذا بالاستاذ محمد عباس أبى الريش يتحفنا بمجلته، فما كدنا نتصفحها حتى علمنا أنه ابن بجدتها وفارس حومتها، وهكذا وجدناها مجلة أدبية أخلاقية تاريخية اخبارية، تصدر كل اسبوع بانتظام، فنحن نهنئ السودان بنهضته، ونتمني لمجلة النهضة السودانية دوام التوفيق والانتشار.

الزواج

ألف هذا الكتاب ا. دسنر مالك أستاذ علم الاجتماع بجامعة لندن، وعربه الاستاذ عبدالحميد يونس. وهو يعالج موضوع الرجل والمرأة، و بعبارة غيرهذه، نستطيع أن نقول إن الكتاب يعالج موضوع الحياة، لأن موضوع الرجل والمرأة هوكل مواضيع الحياة ونعتقد أن المجتمع سيظل يتخبط فى دياجير محاولاته حتى ينتهي الي الرأى الحاسم فى موضوع

هذا الكتاب ، ولقد تناول الكتاب البحث فى هذا الموضوع الخطير بأسلوب جامعى، ونعنى به الاسلوب المنظم الابحاث ، الدقيق فى التأديات ، فهو فى موضوعه يعد من أحسن البحوث المستوفاة ، وحبذا لو اطلع عليه الشباب وجعلوا منه موضع المناقشات والمحضرات حتى يتيسر لهم تحقيق هذا الموضوع على أوسع الاضواء ، ونحن نثني على همة المعرب الفاضل .

الله

هذا الاسم الأعظم هو عنوان لرسالة فى مشروعية الذكر بالاسم المفرد ، لمولانا العظيم المشهور بتلقين الاسم الأعظم سيدى الحاج أحمد بن مصطفي العلوي المستعان . أحد كبار علماء الجزائر وشيوخها الكرام . وتقع هذه الرسالة فى ٦٩ صفحة من القطع الصغير ، مطبوعة على ورق أبيض جيد وفى صناعة من الطباعة الجيدة .

وأنت تقرأ هذه الرسالة فلا يسعك الا الاذعان ببراهينها والشهادة بسعة علم مؤلفها بل بعظم أخلاقه ، فهى ليست كتابا مطبوعا ، وانما هى حجة قاطعة تجتاز إلى القلوب بسرعة ماتجتاز الكلمات أفواه المتكلمين إلى آذان السامعين، وهذا ولاشك اظهر أدلة الاخلاص فى القول والعمل اللذين ساد بهما الاسلام .

أبطال الاسلام فى الحرب والسياسة

ظهرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب فى الثوب اللائق بهذا الموضوع ، الذى يجب على كل مسلم أن يطيل التأمل فيه ، و يستخرج العبر منه ولا شك أن ابطال الاسلام فى الحرب والسياسة من اعظم ابطال الدنيا . فنثني على مؤلفه الاستاذ زكريا رشدى ، ونتمني لكتابه الرواج .

الطب العربى وتأثيره فى مدنية أوربا

للدكتور زكي على

ألفت هذه الرسالة كما يقول مؤلفها الفاضل فى المقدمة : إحياء للمآثر العرب العظيمة ومفاخرهم النبيلة. ومن أعجب ماتؤديه هذه الرسالة عجبا يكاد يكون من المفارقات، أنها وهى التى تحيي أقدم المفاخر ، جاءت أيضا تحيي وتذيع أجد وأحدث المآثر ،حيث طبع غلافها برسم حروف التاج فكانت أول كتاب ظهر بهذه . أما تأديتها فهى تأدية الطبيب الذى تعود فحص الامراض وكشف العلل . وبعد فأننا لانبالغ اذا قلنا إن هذه الرسالة من أمتع

وأدق ما كتب فى هذا الموضوع ، وهى علاوة على ذلك محلاة بصورتين احداهما للرازى واحد مرضاه راقد أمامه ، والثانية صورة ابن سيناء والصورتان يدلانك على منتهى ما كان عليه أطباء العرب من جلال هو خير ما يتحلي به الاطباء أمثال الدكتور زكي، الذى أثبت لنا برسالته ، أنه كاتب وطبيب معا .

المطالعة الابتدائية

للاستاذ محمد ابراهيم مصطفى

يقول المؤلف فى مقدمة كتابه «إن زكاة العلم نشره وإنما ينفق كل على قدر سعته» وهذا شعار جميل يدل على مالهذا المؤلف الفاضل من خلق طيب . والكتاب من حيث غايته نبيل ، أما من حيث فائدته فانه جدير بنظر الاساتذة المخلصين . فعسى أن ينال المؤلف بكتابه ما يستحقه من الاقبال .

ديوانا بشار بن برد ، وابن سهل الاندلسى

وهما كما يعرف القراء من أحسن الشعراء فى العربية ، وقد عني بطبع ديوانيهما واظهارهما الاستاذ أحمد حسنين القرني ، ولا شك ان الادب العربى والمشتغلين به مدينون للاستاذ القرنى بهذه الجهود التي يظهر أثرها لا في طبع هذين الكتابين وشرحهما فحسب ، ولكن فى اختيارها والاتفاق عليهما ، فنحن نثني على أدب الاستاذ وفضله بقدر ما نثنى على علو قصده ونبله ، ونرجو لكتبه ماهى جديرة به من الذيوع .

العطيات

جاءنا الجزء الثاني ، من كتاب العطيات ، الذي يصدره الاستاذ جورج نقولا عطية ، فألفيناه مجموعة علم وأدب ، وخلاصة لآراء قيمة ، وخواطر سديدة . ولا شك أن قراء « المعرفة » يعرفون الاستاذ من كتاباته الفينة بعد الفينة . فنثنى عليه ونرجو له التوفيق .

اعتذار

نعتذر لحضرات أصحاب الكتب التى أهدونا إياها ، ولم نستطع الكتابة عنها الآن ، لضيق المجال ونرجو أن نوفق الي ذلك فى المستقبل .

بين المعرفة وقرائها

إخلاص زوجة

(الدلنجات . مصر ـ كامل عبد الحليم) مارأيكم فى زوجة يخلص لها زوجها ويحبها إلى حد الجنون ، وهى لم تزف إليه بعد ، ولكنها رغم تحققها ممايكنه قلبه لها ، فأن أقوالها وأفعالها تدل على أنها لاتحفظ له فى قلبها ذرة من المحبة ، ولا بصيصا من الاخلاص ، مع أن الزوج موظف لا يعرف إلى المحرمات سبيلا ، وهو ممن يدرسون لشهادة عالية والزوجة من الحاصلات على شهادة الدراسة الابتدائية ؟

(المعرفة) رأينا فى هذا الزوج أو بالأحرى فى هذه الزوجة أنها لم تفهم معني الزواج وحقوقه ، لأن الزواج فى رأينا لايقوم ولا يثمر إلا على حب شريف متبادل بين الزوج والزوجة فان أغفل هذا الأساس كان الزواج مهزلة معيبة لاينتج إلا أوخم العواقب وأسوأها ، ويجدر بالزوج فى هذه الحال أن يفسخ عقد زواجه ، خصوصا وأنه لم يزف إلى زوجه بعد .

شيء الله

(المعادى . مصر ـ ادريس عبدالحى) كثير من الناس اذا دخلوا أضرحة الاولياء أو مروا أمامها يقولون بخشوع وضراعه « شيء الله » أم شيل الله . مما لاأدرى تماما المعنى المراد منه . فهل هذه الكلمات عربية ؟

(المعرفة) أصل هذه العبارة « شيء لله » ولكن العامة لكثرة استعمالهم اياها قلبوها للتخفيف إلى « شي الله » دون همزة على الياء ، شأن الكثير من الكلمات العربية التي تحرف عن أصلها بقصد التخفيف مثل الالفاظ « ماعليه شيء » التى تقال للاستعطاف فقد قلبها العامة إلي اللفظ المعروف « معاش » وكلمة (شي الله) عربية الاصل ولكنها أصبحت بعد هذا التحريف عامية دارجة ، وهى على العموم يقصد منها الضراعة إلى الاولياء لرعاية الداعى والوساطة له لدى المولى عز وجل .

ابو زيد الهلالى وغيره

(القاهرة . مصر ـ ا . ف . ع) أكان صحيحا وجود مثل أبى زيد الهلالى سلامة ،

والأمير حمزة البهلوان ، وفيروز شاه وغيرهم على مسرح الحياة ؟

(المعرفة) هؤلاء الاشخاص وأمثالهم هم فى الغالب من صنع مخيلة القصاص والرواة الذين أرادوا أن يتخيلوا رجالا ، يكونون مثلاً عليا لما يجب أن يكون عليه البطل المغوار فى ميدان الفروسية والقتال ، لانه بالرغم من عظم الاعمال التي ينسبها إليهم الرواة لا نجد لهم ذكرا في كتب التاريخ الموثوق بصحتها ، مع أنها حافلة بأخبار كثير من الأبطال الذين تقل أعمالهم بكثير عن أعمال هؤلاء الأبطال الوهميين .

الكلمات الافرنجية

(شبرا . مصر ـ مصطفى محمد العشماوى) هل هناك مانع من ادخال كلمات إفرنجية بعد صقلها ووضعها فى قالب عربى فى لغتنا العربية ، وخصوصا اذا كانت الحاجة ماسة إليها ، كما هو الحادث فى اسماء المخترعات والعلوم الحديثة ؟

(المعرفة) نحن نرى أن هذا من ألزم لوازم لغتنا العربية لتسير محاذية للتقدم والعمران فى جميع نواحيه ، لأن اللغة يجب أن تتسع لجميع مايظهر فى العالم من آلات واختراعات . وما دام علماء اللغة العربية إلى الآن لم يقوموا بوضع قاموس لغوى عام لكي يضمنوه أسماء المخترعات والعلوم الحديثة، فليس اذن من مانع البتة أن نقوم بتعريب الكلمات الافرنجية التى تمس الحاجة إليها . ويا حبذا لو أقرن المعرب الكلمة المعربة بمرادفتها الافرنجية حتى لا يختلط علينا الفهم .

صورة المحرر

(القاهرة . مصر ـ آنسة . ل . ر) كثيرا ما كتبت إليك ، وبعض زميلاتى المعلمات ، طالبات وضع صورتك بجانب صور الكتاب الآخرين ، ولكنك لم تلتفت الي طلبنا ، ولم تسمح بنشره ، فهل حضرتك «فتى» أو «خنشور» فتخشى نشر الصورة ؟ إن كان هذا أو ذاك ، فيجب أن نعرف شخصية صاحب المجلة ، التي فاقت غيرها بكثير ، وثق انا راضيات على كل حال ، ولكننا نود ان نعرف ، هل حضرتك شيخ أو أفندى ؟ ولا تؤاخذنا فى هذا لأن أسلوبك وكتابتك يدلان على أنك (أفندى) من الطراز الاول ، بينما مناقشتك وموضوعاتك تدل على أنك (فتى عتيق) .

(المعرفة) ثقي ياسيدتى الآنسة ، انى « خنشور ، خنشور ، خنشور » والله العظيم ولكني لست « فتى » أبدا كما تتوهمين أنت وزميلاتك ، وكل مافى الامر ، أني أخشى نشر صورتي فترتعبن ، وتنفرن ، معشر الحسان ، ونحن على رضائكن حريصون ، فهل ترضين أن أخسر قرائى منكن ؟ أظن أنكن ـ وأنتن العاملات على نشر الثقافة ـ لا تسمحن بذلك . فهل اقتنعت ياسيدتى وزميلاتك ؟

أول ديسمبر سنة ١٩٣١
رجب سنة ١٣٥٠

المعرفة

الجزء الثامن
السنة الاولى

مجلة — شهرية — جامعة
لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول
عبد العزيز الإسلامبولي

المجلد الثاني | شعارها : اعرف نفسك بنفسك

كلمات مختارة

الانتقاد

بقلم المرحوم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

بين نقد المؤلفات هنا ونقدها فى أوربا فرقان : أحدهما يتعلق بالناقد والآخر يتعلق بأثر النقد فى الأذهان ، أما الأول فهو أن الناقد هناك ينتقد الكتاب من حيث ذاته ، وهنا ينتقده باعتبار شخص مؤلفه ، أى انه لا ينتقد الكتاب بل صاحب الكتاب في كتابه ، وأما الثانى وهو أثر طبيعى بالاول ، فهو ان للانتقاد هناك أثراً ظاهراً فى الكتاب من حيث : رواجه ، وكساده ، وشهرته ، وخموله ، فكما يقول المنتقد ، يقول الناس بقوله . وهنا يمر الانتقاد بالاذهان فلا يبقى من آثاره فيها الا أثر واحد ، وهو ان الكتاب جليل القدر سنى القيمة ، ولولا ذلك ما احتفل بأمره محتفل .

لذلك رأيت كثيراً من علماء الناس ، لا يرضون عن أنفسهم الا اذا انتقد الناقدون مؤلفاتهم ، بل رأيت من يتوسل إلى أحد الناقدين أن ينتقد مؤلفه ، بل رأيت من يبلغ به الأمر ، أن ينتقد كتابه بنفسه بتوقيع منحول .

أولئك هم الذين يعرفون قيمة المنتقدين عندنا ، وأثر انتقاداتهم فى أنفسنا .

أما الذين يغضبهم الانتقاد ويحرج صدورهم ، فهم الذين لا يعرفون من هذا ولا ذاك شيئا .

الموالد بدعة خطرة على الدين والأخلاق معا

تفضل صديق لى ـ ممن يشتغلون بتدريس الفلسفة ـ فدعانى الى زيارة الحى الزينبى الذى يسكن فيه . وذلك لمناسبة الاحتفال السنوي المعتاد ، الذى يقام فى ذلك الحى ، احياء لذكرى السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنهما .

كانت حجة صديقي فى دعوته اياى ، فلسفية أكثر منها أخلاقية كما ظننت أولا .

فهو يرى أن الصحفي الذى لايختلط بالجمهور من العامة ، ويندس بين مختلف طوائفه ليتعرف الى ميولهم ، ويتوافر على دراسة طباعهم ـ وكثيرا ماتبدو واضحة جلية فى مثل هذا الحفل ـ مثل هذا الصحفى لايستطيع تأدية رسالته ـ التى حملتها إياه صاحبة الجلالة ـ الى جمهرة القراء على الوجه الصحيح .

ولعل صاحبي هذا محق فى أكثر نواحي قوله ، ان لم يكن محقا فى نواحيه كلها ، فالحق أن جمهرة القراء ـ والحمد لله الذى لايحمد على مكروه سواه ـ تأبى الا ان تملى إرادتها على الكاتب ، والاان يرسم لها بريشته صورة مايحدث فى تلك المحافل العامة ، رضي أم لم يرض .

وأنت اذا لم تتبسط مع هؤلاء فى القول ، فسيدعونك « وفلسفتك » كما يفهم البعض ، أو يسخرون من « جمودك » كما يتوهم البعض ، أو يسدون عليك منافذ « تجديدك » كما يفقه البعض .

إزاء كل هذه العوامل ، مجتمعة الى بعضها البعض ، رأيت لزاما على أن ألبى دعوة الصديق ، وأن أقص على القارئ بعض ماشاهدت فى غير رفق ولا لين ، وان كنت أعرف أن بعضهم سينقم على ، وسيرى أنى أقوض بنيانهم ، وهم فيه مختبئون .

تجولت فى ساحة المولد أولا لأري بعيني رأسي ، مايقع فيها من مهازل شيطانية ، يصبغها أهلها بصبغة الدين ، بينما الدين برىء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ، وأسمع بأذنى تلك الخرافات والخزعبلات التى يلصقها أصحابها بالكرامة حينا ، وبالكشف حينا آخر ، مما تأباه طبيعة الشرع الحنيف ، الذى كان من أقوى دعائمه ، هدم تلك الانقاد البالية ، وازالة هاتيك المعتقدات الباطلة .

والآن فلأعطيك أولا فكرة موجزة ، تمثل لك أصدق تمثيل أصل هذه البدعة ، وأثرها فى الدين والاخلاق معا ، لتحكم بصحة ماسأنتهى بك إليه فى هذا الحديث ، وهو أن الموالد شر مستطير يجب إزالته ، وإثم كبير تحتم إبادته ، وإلا فلك بعد ذلك رأيك ولى وحدى رأيى .

الموالد بدعة فارسية

وبعد ، فلتعلم يارعاك الله ان الموالد بدعة مستحدثة منكرة ، لا أساس لها من الدين مطلقا ، بل ليس لها حظ منه في قليل ولا كثير ، وإنما هي بدعة من بدع أولئك الفرس الذين تستروا وراء العلويين تارة ، واحتموا بالفاطميين تارة أخرى ، كيما ينفذوا مآربهم ، ويحققوا هويتهم . وما هذه الهوية أو تلك المآرب سوى هدم الاسلام ، لتقوم دولتهم من جديد على أنقاضه ، تلك الدولة التي دحرها الاسلام ، وخلاها هشيما تذروه الرياح .

وقد رسموا لذلك خططا عدة ، لكن جلها إن لم يكن كلها فشل ، لأنها لم تكن مستندة إلى سلاح الدين ، وسلاح الدين كما تعلم سلاح ماض لا يفل ، فابتدأوا بقتل الخلفاء أولا ، زعما منهم أن الخلافة محط آمال المسلمين ، فاذا ما انفرط عقدها بقتل الخليفة يصبح الاسلام وكأن لم يكن شيئا مذكورا ، فلما لم يفلحوا ألبوا الجيوش على المسلمين وبثوا الفتن الخ مما هو معروف مشهور . . . وأخيرا لم يجد اولئك الفرس أمامهم سوى سلاح الدين يشهرونه في وجوه أهله ، وذلك بالانتصار لفريق من المسلمين دون فريق ، والدعوة لفريق بالخلافة دون فريق ، وتأويل القرآن بما لا يحتمل اللفظ ، وتحريف الاحاديث ووضعها . يؤيد لنا ذلك ماذكره صاحب كتاب (المواقف) حيث قال : « ان طائفة من المجوس راموا عند شوكة الاسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود الى قواعد أسلافهم ، وذلك أنهم اجتمعوا فتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك ، وقالوا : لا سبيل لنا الي دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك ، لكننا نحتال عليهم بتأويل شرائعهم الي مايعود الى قواعدنا ، ونستدرج الضعفاء منهم ، فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلمتهم »

بمثل هذه السبل التى ذكرها صاحب المواقف ساروا ، وقد ساعد على تحقيق تلك الآمال قيام دولتي العلويين والفاطميين بالأمر ، وأنت تعلم أن العلويين والفاطميين أولاد فاطمة الزهراء زوج على رضى الله عنه ، وتعلم قيمة دعوى تنتسب الى هذا البيت ولو كانت زورا ، وتعلم أن هاتين الدولتين كانتا ـ بدون علمهما ـ أداتين مسخرتين مدفوعتين بقوي الفرس الخفية الذين استغلوهما لقضاء اللبانات التى أسلفنا .

أفهمت إذن لماذا قامت فكرة الموالد وما شابهها ؟ دعنا من هذا الآن وتعال معى لنرى تلك المشاهد التي تقام فى تلك الموالد ، فيستحقق لك الأمر ، وينجلى الصبح لذى عينين وتعرف إن كانت من الدين ، أو ليست من الدين فى قليل ولا كثير ؟

مشاهد الموالد

أول ما يصادفك في الموالد حلقات الذكر التي يجتمع فيها الحابل بالنابل ، فتكون خليطا من الجنسين ـ الخشن واللطيف ـ وهم ما بين أمرد وحسناء، وأشيب وشمطاء ، هذا يغازل تلك ، وهذه تخاصر ذاك ، كأنما نحن في مرقص نشهد فيه حفلة من حفلات الرقص الحديث Modern Dance . وترى شيخ الحلقة يسارق الجميع النظرات ، وهم كما علمت ما بين مرد ونساء ، ثم ينظم لهم طريقة الذكر ممزوجا بدق الطبول ، وضرب الدفوف ، وقرع الطاسات ، ورقص الصاجات ، وعزف الناى ، بينما يقوم فيهم منشدهم ينشدهم بأقبح الاناشيد ، ويغنيهم بساقط الاغانى ، مما يثير فيهم شهواتهم البهيمية ، ويزيد نارهم تأججا فيكثر الشهيق والنهيق . وأقسم لك إنى لأخجل لو ذكرت لك شيئا مما ينشدهم ذلك المنشد الغر المأفون، ولكن ماحيلتى وناقل الكفر ليس بكافر، لكنى أرجو أن تعفينى من هذا. ويكفى ان تعلم أنها أغانى قبيحة جدا، وانك اذا ماسمعتها واستقبحتها لديهم ـ ولاشك انك مستقبحها ـ قالوا لك « لكم المغنى ولنا المعنى » . فاذا مالفت نظرهم إلى سوء طريقة ذكرهم وبعدها عن روح الشرع ، أجابك شيخهم قائلا : « لكم الظاهر ولنا الباطن » فاذا ما اشتد نقدك لهم ولفت نظر منشدهم إلى الأثر السيء الذى تتركه أناشيده في النفوس ـ وخشى أثرك انت لا أثر أناشيده ـ تحول إلى بعض أغانيهم التي يعتقدها شرعية ، لاهزل فيها ولا مجون ، وهى علم الله أشد كفرا ونفاقا من الاولى ، أستغفر الله، إن الاغانى الاولى لا كفر فيها مطلقا ، بل مكروهة شرعا ، أما هذه الجدية في عرفهم فهى الكفر بعينه ، والا فما رأيك في مثل قولهم :

عبد القادر ياجيلانى ياذا الفضل والاحسان
صرت فى خطب شديد من احسانك لا تنسانى

أليس هذا هو الكفر بعينه ؟ أو لست تعتقد أن مثل هذه الصيغ لو سمعها مشركو قريش لكفروا قائليها ؟ أولست تعلم أن أبلغ صيغة من صيغ التلبية عند مشركى قريش كانت « لبيك اللهم لبيك : لاشريك لك غير شريك واحد تملكه ومامالك » ؟

هؤلاء الذين يتخذون دين الله لهوا ولعبا ، ويذكرون اسمه الاعظم مشوبا بتلك الاناشيد ـ التي أقل مافيها الاطراء الذى نهى عنه رسول الله بقوله « لاتطرونى كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم » ـ أشد ممن عناهم الله بقوله الكريم « وماكانت صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أى صفيرا وتصفيقا . وهؤلاء جعلوا عبادته تصفيقا وشهيقا ، وخلاعة ونعيقا .

ومارأيك فيمن يقولون : إن السيد عبد القادر الجيلاني قال : أعطيت سجلا مد البصر ،

فيـه أسماء أصحابى ومريدى إلي يوم القيامة وقيل لى : لقد وهبوا لك ياعبد القادر - أليسوا مجانين مخاريق ؟ وإلا فأى عقل يتصور هذا الهذيان ؟ وأى مؤمن عاقل يحتمل تبعـة روايته وتصـديقه ؟ وأين إذن قول سيـد المرسلين لابنته فاطمة الزهراء «يافاطمة يابنت محمد : اعملي ، لا أغني عنك من الله شيئا » ؟ وأين قول الله عز وجل فى محكم آيه « ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلي وان وعدك الحق وانت أحكم الحـاكمين ، قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح » ؟ وهل الذين اتخـذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله - لقبوا أحبارهم أو استغاثوا برهبانهم ، وقالوا فيهم اعظم ممـا يقوله هؤلاء فى بعض شيوخهم مثل : « يامحيي الرحم ، ياباري النسم ، ياضياء السموات والارض » ؟

هؤلاء قوم شوشوا الدين وضيعوا معالمه ، لقضاء مآرب ذاتية توسلوا إليها بتضليل عقول الجهلاء ، واختلاب قلوب الضعفاء : كالنساء وذوى الأهواء ، بتهوين أمر التعبد وجعله لهواً ولعباً ، لأنهما أهون على النفس والطبع من القيام بتكاليف الشرع .

أثر الموالد فى الدين والاخلاق

لقد كان من أثر هذا كله أن اختل الدين أوكاد ، وأصبح أغلب المسلمين لا يعرف من الدين إلا اسمه ، ولا يفقه من العـلم إلا رسمه ، ولا من العبادة إلا رقصا ولهوا وقصفا ، هذا أثرها فى الدين وهو أعز ما يملك الانسان فى الدنيا والآخرة ، لـكن هناك أثرا لا يقل عن الاول خطورة ، ذلك أثرها فى الأخلاق ، وما أظنك تجهل ذلك الأثر السيء الذي يترتب على اجتماع بعض النساء ضعيفات القلوب بأولئك الشياطين ، وهم مابين : لص وزان ، ومجرم وفاسق ، ومدمن وقاتل ، وغير هؤلاء من جرائم الأخلاق وملفوظى المجتمع .

لنترك هذا أيضا ، وتعال معى لندخل المسجد نفسه الذي أقيم للعبادة . . . وأقصد عبادة الله لا عبادة أولئك الجهلاء لشيوخهم . فانك سترى عجبا ، أجل : سترى المسجد فى لغط وهرج دائمين طيلة المولد حتي لينقلب من مسجد أعد للعبادة الي حانة تارة ، ومقهى تارة أخرى ، ومطعم أحيط بأوسخ المخلفات من الاطعـمة الملقاة على الحصر حينا ، ونزلا للنوم حينا آخر ، ووكرا لارتكاب الموبقات : من سرقة الى خطف ، ومن شرب مسكر الى تعاطى مخدر ، ومن زنى الى لواط .... وغير هذا مما سجلته (محاضر البوليس) .

دعنا من هذا أيضا ، وتعال معى لنرى مايحصل فى البلاد استعدادا لهذه الموالد . فلو أنك ذهبت الى قرية من القرى ، لوجدت شيخا أو شيخين أو أكثر من أولئك الشياطين يتنازعونها الحكم والسلطان ، ويتقاضون أهلها الجعل الذى يسمونه (العادة) والفلاح كما تعلم

ساذج بطبعه، فأولى به أن يكون سهل القياد، سريع الاعتقاد، لذلك تراه يؤدى (عادة الشيخ) بفرح وسرور، بل لو عاقه عن تأديتها عائق ما، اقترض من الغير ولو بالربا الفاحش، أو باع محصوله ولو بالخسران، اعتقادا منه أن التأخر عن تأديتها، يجر عليه الكوارث طيلة العام المقبل، وأقسم لو أن هذا الاعتقاد الجازم، وجد من يستخدمه فى الصالح العام لعاد على الامة بخير النتائج، ولكانت الموالد نفسها تجر الخير والبركات على الأمة، رغما عن كونها بدعة منكرة، لكننا نجد الامر على النقيض من ذلك بكل أسف حيث نرى نفوس أولئك المريدين ملآى بالخيالات الباطلة والاوهام الساقطة التى تجعلهم يخشون الاولياء أكثر مما يخشون خالق الاولياء، وأنت تعلم أن رسوخ هذه الاوهام فى الاذهان، هو أكثر ما يبعد أهلها عن الدين، وأشد معول يعمل على هدم الفضيلة والاخلاق.

وليت الامر يقف عن هذا الحد، بل إن أولئك الابالسة يجندون أهل القرية تجنيدا، ويسيرون بهم كالقافلة قاصدة مكان المولد فى أشباه المواكب، حاملة أعلامها وطبولها، رافعة صوتها ورسومها، جاهرة بالنهيق والشهيق، مما تمجه النفس الشريفة، وتأباه طبيعة الدين الحنيف، ومما يعده علينا مبشرو الاجانب فى سجل السيئات، زاعمين أن ذلك من أسس ديننا البرىء. أرأيت اذن كيف ينهار بنيان أمة تريد عزة وكرامة؟ ويمثل بدين هو تاج الاديان؟

أصل تقاليد أصحاب الطرق.

دعنا من هذا أيضا، وتعال معى لنبحث الاصل الذى أخذ منه القوم رسومهم وتقاليدهم. وأنا أزعم لك أنهم أخذوا تأويل القرآن وتحريفه عن موضعه، من التلمود وتفاسير التوراة الاخري. وأخذوا وراثة الاسرار واللدنيات، من سر البابوية الاعظم. وأخذوا القاب الابدال والاقطاب والغوث والشيخ والمريد، من ألقاب البطارقة والكرادلة والشهداء والقديسين والدعاة. وأخذوا الزهد ونظامه وأربطته، من اوضاع الاديرة والرهبنات. وأخذوا الرسوم والخرقة والشعور، من ألبسة رجال الكهنوت الكاثوليكيين. وأخذوا الاحتفالات والترنيمات وذكرها عند القبور، وشد الرحال اليها، والاسراج عليها، والخضوع لديها، وتعليق الآمال بسكانها، من مراسم الكنيسة وتقاليدها ونظمها وزينتها، وأخذوا التبرك بالآثار: كالقدح والحربة والدستار، من نظام الذخيرة وقدسية العكاز. وأخذوا إمرار اليد على الصدر عند ذكر الصالحين، من إمرارها على الصدر لاشارة الصليب. وكذلك أخذوا الحقيقة من السر. وانتزعوا وحدة الوجود من الحلول. والمولد من الميلاد. ورفع الاعلام من حمل الصلبان. ووضع الاغلال من براهمة الهنود (١)

(١) الادلة على هذا كثيرة والمراجع عديدة وأشملها لهذه النقطة كتاب «أم القرى»

أرأيت إذاً ممن أخذ القوم طريقهم؟ وكيف وضعوا لها على حساب الدين القواعد والاوضاع؟ وأخيرا فأنى أود أن أنتهي بك إلى نتيجة شرعية ، فالكلام فى هذا البحث طويل وهو كلما طلته طال . وبحسبي هذا القدر ، لأقدم اليك أدلة شرعية ناهضة تقوم فى وجوه المخالفين . وهأنذا بدأها بقصيدة قالها الشيخ المقرى (المتوفى عام ٨٣٧ هـ ١٤٣٣ م) ثم نعقب بفتاوى أربع تذهب الشك باليقين . قال الشيخ المقرى (١) :

برغم سنة خير العجم والعرب ... أضحت مساجدنا للهو واللعب
ما كان صلى عليه الله يأمرنا ... بضرب دف ولا زمر ولا قصب
بل سد عن مزمر الراعى مسامعه ... صونا لها ولنا من هذه اللعب
فضحتمونا وصيرتم مساجدنا ... وهى المصونة كالحانات للعب
شوشتم الدين غيرتم محاسنه ... فعلتمو فيه فعل النار فى الحطب
صيرتمو دينه هزءا ومضحكة ... لكل ذى ملة من قوم كل نبى
هيهات والله ما فى دينه عوج ... ولا بملته نقد لمحتسب
ولا دعانا إلي شىء نعاب به ... ولا إلي فعلة تزرى بذي حسب
سألتكم بالذي لا تكفرون به ... والطائفين ببيت الله ذى الحجب
هل استدار حوالي أحمد خلق ... فيما مضى من ذوى الاسلام والصحب
وقام فيهم مغنيهم كمثلكمو ... للضرب بالدف والتزمير بالقصب

والآن فلأقدم اليك مايقوله أئمة المذاهب الاربعة فى هؤلاء :

استفتى بعضهم فى سنة ٦٦١ هـ علماء المذاهب الاربعة الاستفتاء الآتي (ماقول السادة الفقهاء أئمة الدين وفقهاء المسلمين ـ وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته ـ فى جماعة من المسلمين ، وردوا الى المسجد وشرعوا يصفقون و يشطحون ، فهل يجوز فعل ذلك شرعا؟ أفتونا مأجورين يرحمكم الله) فقال الشافعية : « السماع لهو مكروه يشبه الباطل ، من قال به ترد شهادته والله أعلم » وقال المالكية : « يجب على الحاكم زجرهم وردعهم وإخراجهم من المساجد حتى ينوبوا ويرجعوا والله أعلم » وقال الحنابلة : « فاعل ذلك لا يصلى خلفه ، ولا تقبل شهادته ، ولا يقبل حكمه إن كان حاكما وإن عقد للنكاح عقدا فهو فاسد ، والله أعلم » وقال الحنفية : « لا يصلى على الحصر التى يرقص عليها حتى تغسل والله أعلم » .

(١) راجع كتاب « سر تأخر المصريين »

ماهى الحياة ؟

بقلم الاستاذ الكبير

محمد فريد بك وجدي

فى الموجودات الأرضية أجسام لا يعتريها تحول غير مايصادفها من الانقلابات الارضية أو العرضية ، فهى حافظة لحالتها لا تتحول عنها ، تسمى بالاجسام الجامدة ، وبجانبها أجسام تغتذى وتنمو وتتكاثر وتحيا وتموت ، ومنها مايتحرك ويريد ويتعقل ويدرك ذاته ، وهذه تسمى بالكائنات الحية ، فهل حياتها هذه مستمدة من أصل عام يقال له « الحياة » ؟ على مايقول به الروحيون ، تحل بها ثم تنفصل عنها ؟ أم هى حالة تطرأ على بعض المركبات تقتضيها النواميس الطبيعية عند ما تكون تلك الكائنات على تركيب خاص ، فلا تكون حياتها والحالة هذه إلا حالة عرضية تزايلها متي فسد تركيبها ، فتعود أجزاؤها الي أصولها من الأجسام الجامدة ، ويكون لاشىء فى الكون غير المادة على مايدعيه الماديون ؟

اختلف الفلاسفة والعلماء على هذين الأمرين منذ القدم الى اليوم ، وآراؤهم تنحصر فى ثلاثة مذاهب : —

(أولها) المذهب الآلى ، و (ثانيها) المذهب الحيوى ، و (ثالثها) المذهب الروحانى .

فأما الأول : فمؤداه ان الظواهر الحيوية يمكن تفسيرها بالقوى الآلية الكيماوية الطبيعية المتسلطة على المادة الجامدة .

وأما الثانى : فمغزاه ان الظواهر الحيوية لايمكن تعليلها الا بافتراض وجود قوى متميزة ن القوى الآلية ولاتستحيل اليها تسمى (الحياة)

وأما الثالث : ففحواه أن تلك الظواهر لايمكن تعليلها الا بافتراض وجود روح عامة حالة بالطبيعة كلها ، تسوق كل كائن فيها الى غاية ، وتربيه على مقتضى دستور سنته له ، وألزمته اياه .

فالفلاسفة اليونيون (من اليونانيين الاقدمين) كانوا من أشياع المذهب الروحانى ، أى انهم كانوا يرون ان الكون مقود بروح عامة تخلق وتربى كائناته على السواء . فلما جاء « ارسطو » عارض هذا الرأى ، وزعم أن الحياة وان كانت أصلا قائما بنفسه الا أنها ليست متوحدة بل متكررة ، وعلي درجات متفاوتة فى الاحياء .

ولما نبغ « أبيقور » عزز مذهب « ديموكريت » فى الجواهر الفردة ، واتبعه جمهور من الأطباء اليونانيين والرومانيين ، فكانوا يعللون جميع الظواهر الحيوية بقوى الجواهر الفردة .

فلما ظهر الرواقيون وهم أتباع الفيلسوف زينون جمعوا بين مذهب اليونيين الروحانى ،

ومـذهب ارسطو الحيوى . فقالوا بوجود روح كليـة مدبرة للـكل ، وارواح جزئية مدبرة للاجزاء ، ولم يشذ فلاسفة الاسكندرية عن مذهب زينون الا فى أمورثانوية .

بقيت هذه الآراء الثلاثة قائمة حتى نشأ دور النهضة العلمية فى أوربا فى القرن الخامس عشر ، وترقى علم التشريح ، وزادعلم الناس بانواع الحيوانات والنباتات على أثرالاستكشافات الجغرافية ، فطرأ تغيير فى الآراء القديمة ، فنهض العالم «باراسلز» يدافع عن المذهب الحيوى ، وأخذ « فان هلمونت » يقرر بأن كل عضو حى من الجسم الحى له حياة خاصة به .

فلما نبغ الفيلسوف « ديكارت » فى القرن السابع عشر ، رفض جميع الآراء السابقة وذهب الى أن جميع ظواهر الحياة تستحيل كلها بالتحليل الى حركات ، وتعلل بالنواميس الآلية . ولـكن هذا المذهب ظهر للناظرين بأنه من السذاجة بحيث لا يعلل جميع الحوادث ، واتفق فى هذا العهد أن ترقت المباحث الكيماوية ، فأخذ كثير من العلماء يعللون الحياة ، لا بالقوى الآلية ، بل بالنواميس الـكيماوية .

فلمـا جاء العلامة « نيوتن » الانجليزى ، نعى على ديكارت قصور مذهبه عن تعليل جميع حوادث الحياة ، وقرر أنه يجب القول بوجود قوى خاصة ، وسوائل بين الكواكب فى الاجزاء الخالية من الفضاء تؤثر من بعد ، ولا يمكن نسبتها الى القوى الطبيعية .

فلما نشأ « ستاهل » فى القرن الثامن عشر ، ذهب الى أن المذاهب الآلية المتقدمة لا تعلل الصفات الخاصة للحياة ، وأعاد المذهب الروحانى الى الفلسفة . ولـكن مذهبه لم يعش إلا سنين معدودة ، فتلاه مذهب جامعة مونبلييه الفرنسية تحت زعامة العلماء « بوردو » و« جريمو » و « بارتز » وهو المذهب الحيوى بعينه . فأحدث العالمان « بيشا » و « كوفييه » تهذيبا فيه ، فبقى سائدا الى النصف الاول من القرن التاسع عشر .

وفى سنة ١٨٣٣ نبغ « جان موللر » مؤسس الفيزيولوجيا الالمانية ، فأعطى المذهب الحيوى شأنا عظيما ، وعلل به جميع الاختلافات البيولوجية .

الا انه فى القرن الثامن عشر ، كانت استكشافات العالم « لافوازييه » فى الكيمياء ، ومباحثه فى التنفس ، ذات تأثير كبير على هذه المسئلة . وجاء ثبوت تركب الاجساد الحيوانية من الاوكسيجين والـكربون والايدروجين والازوت ، مضافا الى ماعرف من قانون حفظ القوة ، كدليل حسى فى نظر الماديين للمذهب الآلى ، اذ زعموا استنادا الى هذه المعلومات ان الحياة لا تؤتى الاجسام التى تحل بها شيأ جديدا ، وان هذه الاجسام هى عبارة عن آلات مولدة للحرارة ، فتتحول فيها الى حركة . وجاءت تجارب الاستاذ « برتلو » الفرنسى فى المواد العضوية فمحت الفرق بين الـكيمياء المعدنية والكيمياء العضوية ، فاستطاع الماديون اعتمادا على هذه التجارب ان يجاهروا بأن الاجساد الحية مركبة من العناصر التى تتركب

منها الكائنات الجامدة ، وان هذه البسائط تتحول فى الأولى بتأثير القوى الطبيعية وتخضع لذات النواميس الكيماوية التى تخضع لها الثانية .

هذه الاستكشافات عينها هى التى سمحت لطائفة من أعلام الفيزيولوجيا امثال « كلود برنار » فى فرنسا و « بروك » و « هلمولتز » و « لودويج » فى المانيا بأن يعلنوا غلبة المذهب الآلى فى أمر الحياة . فقال كلود برنار : « ان عالم الفيزيولوجيا تسود فيه الدقة الآلية نفسها السائدة فى الطبيعة والكيمياء . فلكل ظاهرة فيه شروط ثابتة محددة تقتضيها يمكن الوقوف عليها من طريق التجربة والمقارنة ، فلا يجوز الكلام والحالة هذه فى وجود قوة تسمى بالحياة غير محدودة ومتغيرة ، فهى نواميس ثابتة غير قابلة للتغير ليست بنواميس غائية بل سببية .

الا ان كلود برنار قائل هذا الكلام ، كان يرى أن حدوث أشخاص الاحياء فى اختلافاتها وتنوعاتها التى لا تقف عند حد ، لا يمكن أن يعلل بغير فرض وجود عقل مدبر أوجدها على هذه الصور بارادته ، فأكمل بهذا الرأى الاخير ما نقصه فى الرأى الاول .

فالركن الاقوى اليوم للرأى الآلى هو مذهب الاستاذ « لودانتك » الفرنسى الذى كان مدرسا للبيولوجيا بجامعة السوربون بباريس ، فان الماديين يزعمون أنه دعم المذهب الآلى على أصول علمية ، وعلل حدوث الحياة بالنواميس الكيماوية الطبيعية على أتم وأكمل الوجوه .

ونحن لا مناص لنا من إعطاء مذهبه هذا عناية خاصة ، ولذلك فسنخصه فى المقالة التالية بحيز يناسب قيمته ، قبل أن نخوض فى عباب هذا البحث الجليل ، حتى يكون لما نستأنس به — من أقوال العلماء البيولوجيين المثبتين لعنصر الحياة ، ولأدلتهم ، وتجاربهم — القيمة نفسها التي لها فى نظر كل باحث مستقل لا تهمه الا الحقيقة المطلقة .

وموعدنا العدد الآتى من هذه المجلة إن شاء الله

محمد فريد وجدى

الازمة العالمية و الجنيه الاسترليني

آراء صائبة لصاحب السعادة

على الشمسى باشا

لقد كانت فرصة سعيدة حقا : تلك التى ضمنا فيها وصاحب السعادة على الشمسى باشا مجلس من المجالس العلية الادبية الخالصة؛ تناول الحديث فيه جملة من الشئون الاجتماعية والاقتصادية التى تشغل بال الرأى العام فى الوقت الحاضر ، ولقد تفضل سعادته فأدلى بآراء ثمينة بخصوص الازمة الحالية بنوع عام : وأزمة الجنيه الأسترلينى بنوع خاص : فرأينا أن نطلع قراء «المعرفة» على خلاصة وجيزة لتلك الآراء الصائبة ، التى أدلى بها رجل هو فى مقدمة رجالنا علما وعملا ، وعلم من أعلام الاقتصاد والمال المشهود لهم بالبراعة والمقدرة الفائقة ؛ ونحن على يقين تام بأننا لم نذكر إلا النذر اليسير مما قدرت الذاكرة على استبقائه من خضم هذا البحر الفياض ؟



(صاحب السعادة على الشمسى باشا)

التكهن بالأزمة قبل حدوثها :

استهل سعادته الحديث بقوله : إن الأزمة العالمية الحالية قد تكهن بها بعض كبار رجال الاقتصاد قبل حدوثها الآن ، وقد قرأت ملخصا لكتاب دبجته براعة أستاذ الشئون المالية بمدرسة الدراسات العالية بباريس حوالى شهر يناير عام ١٩٣١ ، ففهمت منه أن أزمة عالمية قاسية ستجتاح العالم عما قريب ، وأن هبوطا شنيعا سيلحق الجنيه الأسترلينى ، و بينما كنت فى سويسرا فى صيف هذا العام ، أخذت الأزمة تشتد شيئا فشيئا فى معظم بلاد العالم ، فتحققت بذلك بعض تنبؤات ذلك الاستاذ ، ولم يكن الجنيه الانجليزى قد هبط بعد . و بينما كنت ذات يوم فى مجلس عائلى بسويسرا مع نخبة من رجال الفكر تناولنا الحديث فى بعض الشئون الاقتصادية العالميـة ، ومن بينها مسألة القرضين الذين

اقترضتهما انجلترا من أمريكا وفرنسا لتسوية ميزانيتها على دفعتين متقاربتين للغاية ، ومع أن في هذين القرضين دلالة واضحة على ضعف الميزانية البريطانية ، إلا أن العالم لم يتوقع هبوطا فجائيا فى قيمة الجنيه الاسترليني ، ولكن لم يكد مجلسنا العائلي ينفض حتي حملت الأنباء البرقية إلينا نبأ ذلك الهبوط الذى أسف له كل من له علاقة بهذا الجنيه الاسترليني .

بعض أسباب الأزمة بنوع عام :

انتقل سعادته بعد ذلك إلى أسباب الازمة فقال : إن الدول الاوربية كانت طوال مدة الحرب العالمية منهمكة فى تموين تلك الحرب من مؤن وذخائر وغير ذلك من أسباب القتال ، فأهملت الزراعة والصناعة ، ولكن العالم كان فى حاجة الى مواد الغذاء وضروريات الحياة ، فانتهزت أمريكا هذه الفرصة وأخذت فى توسيع أراضيها القابلة للزراعة ، وذلك : بقطع الغابات ، وتمهيد الاراضى ، وماشابه ذلك ، فأمكنها بعد مدة وجيزة أن تمد العالم بجزء وافر مما يستهلكه من حبوب ، ولكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها عادت الدول الاوربية الى الالتفات إلى أمر الزراعة والصناعة ، فلم تلبث الاسواق أن غمرت بالمحصولات على اختلافها ، وأضحي الانتاج فائضا عن حاجة المستهلك ، فكانت النتيجة الطبيعية لهذا الامر هبوطا عاما فى الاسعار .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نرى أن الطرف الآخر من العالم ، ونعني به الروسيا قد قامت به حركة جديدة عقب الحرب العظمى ، وهى الحركة الاشتراكية ، وأصبح المواطن الروسى عبارة عن مزارع فى أراضى الحكومة ، نظير أجر طفيف يقوم بأوده . وبهذا أمكن للروسيا كذلك أن تقدم للاسواق العالمية كثيرا من المحصولات بثمن رخيص . وبذلك انحطت الاسعار ، وأنشبت الازمة أظفارها فى أعناق الناس .

والأزمة في مصر أزمة قطنية ، وذلك لوفرة المحصول من هذا الصنف ، وثانيا لقلة الاستهلاك ، فأن الفلاح - وهو عنصر مهم في كل ناحية من النواحى - قل إيراده فضعف إقباله على الشراء سواء فى ذلك ضرورياته كالملبس ونحوه ، أو مايحتاجه من كماليات .

أما من جهة ثالثة فهو ظهور ، أو بنوع أصح شيوع مبدأ سخيف بعد الحرب ، وهو أن كل دولة يجب أن تنتج من المحاصيل بقدر ماتحتاج اليه ، وهذا المبدأ من طبعه عرقلة التجارة الدولية .

مركز انجلترا بنوع خاص :

إن انجلترا — ولو أنها كانت هى البادئة بحركة الانقلاب الصناعى المعروفة قبل

غيرها من بلدان أوربا ، إلا أن مركزها فى ذلك قد اختلف اختلافا كليا بعد الحرب العظمى ، فمعاملها بعد انتهاء الحرب غدت فى مؤخرة المعامل الاوربية الأخرى بمدى خمسين عاما على الأقل ، وذلك من حيث تقدم الآلات الصناعية الحديثة ، وحركة الادارة وقوة الانتاج ، فالدول الأوربية الأخرى : كالمانيا ، وفرنسا ، قد أعادت بناء مصانعها على الطراز الحديث بعد أن دمرتها نيران الحرب ، ولكن شيئا من هذا لم يحصل فى انجلترا ثم نضيف إلى هذا عدة عوامل أخرى ساعدت على قيام الأزمة فى انجلترا : منها حركة مقاطعة البضائع الانجليزية فى الهند ، وضعف قوة الشراء فى الصين بسبب مافيها من اضطراب وقلاقل ، وظهور روح العداء لكل ماهو أجنبى عن البلاد .

أما مسألة العمال فى انجلترا فهى مسألة المسائل ، لأن أجور العمال هناك مرتفعة ، والحكومة تدفع اعانة مالية لا بأس بها لهؤلاء العمال العاطلين ، ولا تقل تلك الاعانة بكثير عن الأجر الذى يتناوله العامل إبان عمله . وهذا من شأنه تشجيع العامل على الجنوح الى البطالة والكسل . فهذه العوامل مجتمعة إلى بعضها البعض سببت أزمة كبيرة فى انجلترا ظهر أثرها فى تدهور الجنيه الانجليزى ، ثم يجب أن لا ننسى وأن ذلك الهبوط يرجع الى حد ما الي عودة انجلترا منذ عام ١٩٢٥ إلى التعامل على حساب الذهب ، والذهب كما هو معروف غير موزع بالتناسب بين الامم ، وليس بصحيح أن فرنسا أرادت أن توقع انجلترا فى تلك الازمة ، لأنه توجد فى مصارف فرنسا كمية وافرة من الجنيهات الانجليزية ، فليس من صالحها اذن أن يتدهور هذا الجنيه الانجليزى .

نصيب ألمانيا من تلك الازمة :

أما فى ألمانيا فنلاحظ أن دينها يحل فى فبراير المقبل ، ولكن ليس فى مقدورها أن تقوم بدفعه فى ذلك الأجل المضروب ، ثم إن الدول الاوربية لا تريد من جهة أخرى إشهار إفلاس ألمانيا إن هى عجزت عن تسديد دينها فى ذلك الموعد ، لأن فى ذلك خطرا على التوازن الدولى ، لهذا بدأ الفرنسيون ينظرون إلى حل آخر أمام تلك المشكلة الالمانية والحل المنظور اليه يقضي بتعديل معاهدة فرساى ، ثم إنشاء مصرف دولى يحول القروض القريبة المدى الي قروض بعيدة المدى ، وبذلك ينجو العالم من أزمة أخرى أشد هولا وأعظم مدى .

مركز مصر فى تلك الازمة :

ومصر من غير شك مرتبطة بتلك الأزمة ، على أن وطأتها فى مصر أخف من وطأتها

على غيرها من البلدان ، كما أنه بالرغم من ذلك توجد مخففات كثيرة ، ولكنها مستحيلة التحقيق نظرا لوجود الامتيازات الأجنبية فى مصر ، ثم إني اعتقد فى النهاية أن مصر قد استفادت من هذه الازمة ، بمعنى أنه ظهر لها الخطر الاكبر الذى يتهددها إن هى ظلت معتمدة على محصول واحد كالقطن مثلا ، ثم ليس هناك أية فائدة من القول القائل بتحديد مساحة الارض التى تزرع قطنا ، لأن هذا لايجدى نفعا إلا إذا اتفقنا على الجهات الاخرى التى تنتج قطنا كامريكا مثلا ، ولكن من يضمن لنا هذا الاتفاق ؟ ثم إن اتصالنا بانجلترا اقتصاديا عن طريق الجنيه الانجليزى مفيد من الوجهة الزراعية ، لأننا نعتمد على محصول واحد وهو القطن ، كما أن انجلترا تعتمد فى معظم مغازلها على القطن المصرى فكانت السوق المهمة التى نستطيع تصريف قطننا فيها هى انجلترا ، كما أن من صالح انجلترا في تلك الحال شراء قطنها من مصر بدل أن تشتريه من أمريكا مثلا .

أما من الوجهة التجارية فاتصالنا بانجلترا مضر ، لأن قدرة الجنيه الانجليزى على الشراء قد ضعفت فى خارج انجلترا ، فكان هذا يرفع أثمان الحاجيات التى نشتريها من الخارج ، وإذا أردنا حلا آخر فليس أمامنا الا الاعتماد على التجارة مع انجلترا فقط ، وهذا يدعو الى تحكم انجلترا فينا ، ثم إنها تحرمنا من المنافسة التجارية الدولية التى هي أساس رخص الثمن وجودة الصنف

ش

الحياة

للشاعر الانجليزى بيلى

تعريب الدكتور عبد الرحمن شهبندر

« هذه قطعة من القطع الخالدة للشاعر الانجليزى الشهير « بيلى » كان الدكتور عبد الرحمن شهبندر عربها منذ ثلاثين سنة ؛ فآثرنا الحصول عليها ونشرها لما فيها من المعاني السامية »

قاسوا الحياة بأزمان وذا خطأ ... ان الحياة هى الأعمال والفكر
إن الحياة شعور لايراد بها ... ظل الضياء ولا الانفاس تنحصر
لو فكروا جعلوها خفق أفئدة ... من التأثر لكن فاتهم نظر
وأطول الناس أعمارا أسدهم ... رأيا وحسا وأعمالا لها خطر

نبوة النساء وولايتهن

للعالم المحقق والاستاذ الجليل

الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

لا نعرف خلافا في جواز الولاية ومايتبعها من الكرامة والعرفان للنساء ، انما حصل الخلاف في نبوة النساء . ويقول ابن حزم : هذا فصل لا نعلمه ، حدث النزاع فيه الا عندنا بقرطبة وفي زماننا . وابن حزم ولد سنة ٣٨٤ﻫ وتوفي سنة ٤٥٦ ﻫ

فان طائفة ذهبت الى إبطال كون النبوة في النساء جملة و بدعت من قال ذلك ، وذهبت طائفة الى القول بأنه قد كانت في النساء نبوة ، وذهبت طائفة الى التوقف في ذلك .

وكلام ابن حزم صريح في أنه لا نزاع في عدم حصول رسالة للنساء بدليل قوله تعالى : « وماأرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم » . ولم يدع أحد أن الله تعالى أرسل امرأة وانما الكلام في النبوة .

والفرق بين النبوة والرسالة أن النبوة مأخوذة من الانباء وهو الاعلام فمن أوحى اليه الله علماً بما يكون قبل أن يكون أو أمراً ما مع يقينه يقينا ضروريا بصحة ماأوحى اليه كعلمه بما أدرك بحواسه وبديهة عقله فهو نبي ، وذلك يكون بواسطة الملك .

أما الرسول فهو من أوحى اليه بدين يتبعه و يبلغه إلى الناس ، وقد جاء القرآن بأن الله عز وجل أرسل ملائكة إلى نساء فأخبروهن بوحي حق من الله تعالى ، فبشروا أم اسحاق باسحاق ، وقد أرسل جبريل إلى مريم أم عيسى عليهما السلام فخاطبها وقال لها : « انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » ، ووجدنا أم موسى عليهما السلام قد أوحى الله اليها بالقاء ولدها في اليم وأعلمها أنه سيرده اليها ويجعله نبيا مرسلا ، ويدرك كل ذي تمييز صحيح أنها لولم تكن واثقة بنبوة الله لها لكانت بالقائها ولدها في اليم برؤيا تراها أو بما يقع في نفسها في غاية الجنون .

وتبين من هذا البحث أن المسلمين لم يتنازعوا في جواز النبوة والولاية للنساء ، اذ لا مانع من ذلك شرعاً ولا عقلا ، وقد اتفقوا على عدم وقوع الرسالة للنساء كما اتفقوا على وقوع الولاية لهن ، واختلفوا في أمر وقوع النبوة على الوجه الذي بيناه ، وفي هذا دليل على أن

مجال الوحى والالهام يستوى النساء فيه والرجال ، فلا عائق يعوق المرأة عن أن تسمو بروحها إلي أقصى غايات السمو المقدورة للبشر ، بأن تصل الى مرتبة العرفان والولاية وتشهد من جلال حضرة الربوبية مالا يشهده سائرالبشر .

وقد بلغت نساء هـذه الدرجة الرفيعة فىعصور النهضة والرقي منـذ نشأة التصوف الاسلامى ، وترجم الشعرانى في كتاب «الطبقات» لاربعمائة وست وثلاثين من الصوفية الاخيار ، بينهن ست عشر امرأة ، كلهن من الطراز الاول بين أهل التصوف من أمثال معاذة العدوية ، ورابعة العدوية ، والسيدة عائشة بنت جعفر الصادق ، والسيدة نفيسة ابنة الحسن بن زيد . وهو لم يستوعب الصوفيات من النساء ، بل اقتصرعلى جماعة منهن وجعل عنوان الفصل المخصص بالنساء « فصل فى ذكر جماعة من عباد النساء رضى الله عنهن » .

ومايكون لأحد أن يزعم أن فىالاسلام نزوعاً الى الغض من الجانب الروحى للمرأة بعـد الذى بيناه من استعدادها لمراتب الصوفية العليا التى تكشف فيها حجب الغيوب وتفيض على صاحبها الكرامات .

ومافىأحكام الشرع الاسلامى من وجوه التفرقة أحيانا بين المرأة والرجل يرجع الي أمور مادية أومتصلة بالمـادة ، كما فىالتفاوت فى الارث والتفاوت فىالشهادة لا يبعد عن هذا النوع ، فان ضعف الذاكرة المعلل به نقص شهادتها ليس حيفا بكمالها الروحى ولا باستعدادها للسمو الديني .

وقد ناقش ابن حزم فى كتابه «الفصل» أراء من يفضلون الرجال علىالنساء ـ مناقشة تدل على أن فـكرة التساوى فى الفضل بين النساء والرجال كانت من الافـكار المؤيدة بين علماء المسلمين ، وكانلها أنصار من طراز الامام ابن حزم الظاهرى : « قال أبو محمد وقد قال قائل ممن يخالفنا فى هذا : قالالله عزوجل « وليس الذكر كالانثي» فقلنا وبالله التوفيق : فاذن انت عند نفسك أفضـل من مريم وعائشة وفاطمة لأنك ذكر وهؤلاء إناث ، فان قال هذا ألحق بالنوكي وكفر . فان سأل عن معنى الآية قيل له : الآية على ظاهرها ولا شك فى أن الذكر ليس كالانثى لانه لوكان كالانثى لـكانأنثى ، والأنثى أيضا ليست كالذكر لأن هذه أنثى وهذا ذكر ، وليسهذا من الفضل فىشىء البتة ، وكذلك الحمرةغيرالخضرة والخضرة ليست كالحمرة ، وليس هذا من باب الفضل ، فان اعترض معترض بقول الله تعالى «وللرجال عليهن درجة » قيل له : انما هذا فى حقوق الازواج على الزوجات

ومن أراد حمل هذه الآية على ظاهرها يلزمه أن يكون كل يهودى وكل مجوسى وكل فاسق من الرجال أفضل من أم موسى وأم عيسى وأم اسحق عليهم السلام ومن نساء النبي صلى الله عليه وسلم و بناته ، وهذا كفر ممن قاله باجماع الأمة ، وكذلك قوله تعالى : « أو من ينشأ في الحلية وهو فى الخصام غير مبين » انما ذلك فى تقصيرهن فى الاغلب عن المحاجة لقلة دربتهن وليس فى هذا مايحط من الفضل عن ذوات الفضل منهن . . . فان شغب مشغب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « مارأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للب الرجل الحازم من إحداكن » قلنا له و بالله التوفيق : إن حملت هذا الحديث على ظاهره ، فيلزمك أن تقول انك أتم عقلا ودينا من مريم وأم موسى وأم إسحق ومن عائشة وفاطمة ، فان تمادى على هذا سقط الكلام معه ولم يبعد عن الكفر . وان قال لا ، سقط اعتراضه واعترف بأن من الرجال من هو أنقص دينا وعقلا من كثير من النساء ، فان سأل عن معني هذا الحديث قيل له قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه ذلك النقص وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، وكونها إذا حاضت لا تصلي ولا تصوم ، وليس هذا بموجب نقصان الفضل ولا نقصان الدين أو العقل في غير هذين الوجهين فقط ، اذ بالضرورة ندري أن فى النساء من هن أفضل من كثير من الرجال وأتم دينا وعقلا فى غير الوجوه التى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام لا يقول الا حقا فصح يقينا انه انما عبر عليه السلام ماقد بينه فى الحديث نفسه من الشهادة والحيض فقط ، وليس ذلك مما ينقص الفضل ، فقد علمنا أن أبا بكر وعمر وعليا لو شهدوا زنى لم يحكم بشهادتهم ولو شهد به أربعة منا عدول فى الظاهر حكم بشهادتهم ، وليس ذلك بموجب أننا أفضل من هؤلاء المذكورين ، وكذلك القول فى شهادة النساء فليست الشهادة من باب التفاضل فى ورد ولاصدر ، لكن نقف فيها عندماحده النص فقط ، ولا شك عند كل مسلم فى أن صواحبه من نسائه و بناته عليهم السلام كخديجة وعائشة وفاطمة وأم سلمة أفضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع أتى بعدهن ، ومن كل رجل يأتي في هذه الأمة الى يوم القيامة ، فبطل الاعتراض بالحديث المذكور . وصح أنه على ما فسرناه و بيناه والحمد لله رب العالمين »

«قال أبو محمد : فان اعترض معترض بقول النبي صلى الله عليه وسلم « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وامرأة فرعون » فان هذا الكمال انما هو الرسالة والنبوة التى انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء فى النبوة وقد يتفاضلون أيضا فيها فيكون بعض الانبياء أكمل من بعض و يكون بعض الرسل أكمل من بعض، قال الله عز

وجل : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » فانما ذكر فى هذا الخبر من بلغ غاية الكمال فى طبقته ولم يتقدمه منهم أحد وبالله تعالي التوفيق ، فان اعترض معترض بقوله عليه السلام : « لا يفلح قوم أسندوا أمرهم الي امرأة » فلا حجة له فى ذلك لانه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل . فقد علمنا أن ابن مسعود وبلالا وزيد بن حارثة رضي الله عنهم لم يكن لهم حظ فى الخلافة وليس بموجب أن يكون الحسن وابن الزبير ومعاوية أفضل منهم والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لاولئك ومنهم فى الفضل مالا يجهله المسلم » .

* * *

مبنى التصوف كما يتبين مما أسلفنا ، على الايمان والصدق والاخلاص ، فهو العلم الذى يصور المثل الخلقى الاسلامى الأعلى : سئل سمنون عن التصوف فقال : أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء ، وقال بشر لسرى رحمهما الله : ان الله خلقك حرا فكن كما خلقك لا ترائى أهلك فى الحضر ولا رفقتك في السفر ، اعمل لله ودع الناس عنك . وقال الجنيد رحمه الله : آخر مقام العارف الحرية .

واذا كان الصوفية هم بناة المثل الاخلاقى الاسلامى الأعلى ، فان للمرأة حظا غير منقوص فى تشييد هذا الهيكل العظيم .

وإنا لنجد فى كتب التصوف والاخلاق ذكرا لمتصوفات سيرهن شاهد ومثل يحتذى ، قال الجاحظ فى كتاب الحيوان : « والناسكات المتزهدات من النساء المذكورات فى الزهد والرئاسة من نساء الجماعة : أم الدرداء ومعاذة العدوية ورابعة القيسية » .

ومن نساء الخوارج السجا وحمادة الصفوية وغزالة الشيبانية ، قتلن جميعا وصلبت السجا وحمادة، وقتل خالد بن عتاب غزالة ، وكانت امرأة صالح بن نوح .

ومن نساء الغالية الميلاء وحميدة وليلى الناعظية . (١)

ولسنا نعرف مؤلفات في التصوف للنساء ولكننا نعرف من آثارهن وأشعارهن وأخبارهن مايقوم مقام الكتب المدونة ، ويدل على مالبعضهن من منزلة الامامة كرابعة العدوية التى عرضنا لسيرتها سابقا (٢) ؟

مصطفى عبد الرزاق

---

(١) راجع كتاب الحيوان ج ٥ ص ١٧٠

(٢) راجع مجلة (المعرفة) ج ١ ص ١٢

فى الموسيقى الشرقية

تاريخ فن عاش بين التوثب والجمود

للاستاذ صفر على

وكيل معهد الموسيقى الشرقى

وقفنا بالقراء فى العدد السابق عند انتقال الموسيقى الفارسية إلى الاستانة ، وها نحن نستوفى البحث فنقول :

موسيقى يخلص جيشا

كان انتهاء الموسيقى الى الاندلس باعث إذاعتها ، فقد نفذت منها الموشحات الى المغرب ، ومصر ، والشام ، والعراق ، ثم شاعت فى ممالك الشرق العربى حتى دخلت الاستانة للمرة الأولى عام ١٦٣٧ .

ولقد امتزج دخول الموسيقى الى تركيا بحادث يجدر بنا أن نذيعه لأنه يفصح لك عن تأثيرها القوى ، واستيلائها على القلوب والمشاعر ، فلقد حاصر السلطان مراد الرابع بغداد حصارا طالت أيامه ، وكانت بغداد مليئة بالفرس اذ ذاك ، فلما فتحها قبض على بضعة آلاف منهم ، ولم يكن هناك من سبيل يلجأون اليـه فى كنف السلطان الفاتح الا القبور . . . وكانت عملية الموت قد أخذت طريقها الى الفرس المنهزمين ، و بينما كان السلطان يشبع عينيه من منظر المذبحة ، اذا بواحد من الفرس يخترق الصفوف حتى كان على بعد خطوات . . . كان ذلك الفارسي « شاه كولى » أكبر موسيقي الفرس وكان كل عمله أنه أخذ يستجدى عطف السلطان على قومه لتعمهم رحمته . . . ومن ثم فقد استرسل في الغناء بصوت شجى يأخذ بمجامع القلوب ، فكان استرحامه بالغ الأثر ، وما كاد يبلغ الشأو من كلامه ، حتي دمعت عينا السلطان فعفا عن الفرس ، واصطحب الرجل مع زمرة من أتباعه الموسيقيين ، ودخل بهم الاستانة فنشروا فنهم هناك وأذاعوه .

رقدة بغيضة

لم تعرف الموسيقى الشرقية من طورها الاول عند العرب عهدا أكثر دكنة وأشد قتامة من عهد المماليك في مصر ، اذ تأخرت الموسيقى ـ كـكل العلوم والمعارف ـ فى ذلك العهد المظلم والذى كان سبة في جبين مصر . وكل الذى وصلنا عن الموسيقى فى ذلك العصر على حداثته نبذ قليلة ذكرها (فلاوتو) فى كتابه « وصف مصر » في الجزء الرابع عشر . على أن الذى يؤسف له أنه لم يتحر استيفاءها من مصادر صحيحة ، فزاد بذلك الطين بلة ! .

عصر محمد على باشا فى مصر

ولكن لم تطل هدنة ذلك المرض الذى انتاب الموسيقي ، اذ قدرلها أن تحيا حياة ثانية بدخول محمد على باشا الذى تعهد الموسيقى بعنايته ، و بذل فيها من جهوده ما انتشلها من وهدة ذلك الركود الذى تردت فيه فى عصر المماليك في مصر ، وقد ظهر فى عهده من رجال الموسيقي رجال يعتبرون حجر الزاوية فى بناء ذلك الفن في العصر الحديث ، وفى طليعتهم الفني المشهور « محمد المقدم » أستاذ « عبده الحامولى » وكذا « ساكنة » المغنية و « محمد القبانى » كبير الملحنين و « خطاب القانونجى » وغيرهم . وهؤلاء هم زعماء هذا الفن في عصرهم وواضعو أساسه .

انتعاش جديد

ونقول : انتعاش جديد حقيقة ، لأن ذلك الفن ــ من عصر محمد على باشا الى الخديوى اسماعيل ــ كان لا يزال كالطفل فى أدواره الاولى ، الى أن جاء عصر الخديوى اسماعيل فتقدمت الموسيقي فى عصره بخطوات واسعة نحو الكمال ، وقد كان له بها غرام خاص فاستقدم لاجل ذلك المشاهير من الموسيقين الاتراك الذين نشروا في مصر نوعا من الموسيقي يسمى « البشرف » وهو يشبه ما يسمونه « الافتتاح أو المقدمة » وكذلك بعض الانغام التى لم تكن معروفة من قبل ، وقد ظهر فى ذلك العهد نوابغ ذلك الفن فى التلحين والغناء أمثال : المرحومين عبده الحامولى أفندى ، ومحمد عثمان أفندى : أولهما موسيقى ومغن كبير ، وكانت له عند الخديوى منزلة سامية ، وسافر معه الى الاستانة ، وسمع هناك الموسيقي التركية . فلما رجع الى مصر كان يحضر دائما مع الموسيقيين الاتراك ، فاستمالته ألحانهم وقد اقتبس منها ما يوافق المزاج المصري ، ويناسب الذوق العربى . وهو أول من أدخل على الموسيقي العربية نغمات : الحجاز كار ، والنهاوند ، والعجم ، وغيرها ، بعد ان كانت قاصرة على الاناشيد التي كانت تلقى في حفلات الذكر ، و بعض الموشحات من نغمات محدودة ، مثل البياتى والصبا .

هذه صورة مصغرة نقدمها بين يدى القراء لمجهودات ذلك العبقرى الفنان ، الذى خدم ذلك الفن الجميل بمجهوداته المثمرة وصوته العذب الرنان ، والذى بلغت الموسيقى على يديه الشأو البالغ ، والذى ترك فى عالمها بعد وفاته فراغا كبيرا يدركه الذين سمعوه فى حياته و يقدرونه .

وأما محمد أفندى عثمان فقد كان لا يقل عن زميله انتاجا ولا تقديرا للفن ولا عبقرية ، وقد كان كذلك من كبار الملحنين والمغنيين ، وهو أول من أدخل على الموسيقي طريقة « الكرومس » وهى الاخذ والرد بين المغني (رئيس التخت) والمذهبجية ، ولا تزال مستعملة فى عصرنا أيضا .

وليس استقدام موسيقى الاتراك هو كل مافعله الخديوى اسماعيل فى الموسيقى، بل انشأ أيضا (أوركسترا) من المصريين للموسيقى الوترية ، واستقدم له أساتذة أكفاء من أوربا لتعليم مختلف الآلات الغربية ، وقد تخرج على أيديهم كثير من الموسيقيين الذين غذوا المسارح فيما بعد ، وتنوعت بعد ذلك الآلات، ودخل عليها كثير من التحسين، ولا سيما الآلات النحاسية .

الاغانى المسرحية :

ونستطيع أن نقول : إن هذا كان النواة الاولى فى انشاء الغناء المسرحى ، حيث كان الغناء قبل عهد اسماعيل قاصرا على أدوار صغيرة ملحنة على نمط واحد ، أو على مواويل وموشحات توارثها المصريون عن العرب وكانوا ينشدون بعض القصائد فى حفلات الذكر، وعند تلاوة القصة النبوية ، وكانت تلقى بواسطة الفقهاء ، ويعتبر واضع أساسه المرحومان أبو خليل القبانى والشيخ سلامه حجازى .

نهضة جديدة :

نهضت الموسيقى نهضة أخرى أوسع مدى ، ففى سنة ١٩٠١ اجتمع لفيف من هواة ذلك الفن ، وخصصوا لهم مكانا يجتمعون فيه للسمر فى منزل الاستاذ مصطفى رضا كان يؤمه بعض هواة الموسيقى المشهورين أمثال الاساتذة : حسن أنور ، ومنصور عوض ، وكامل رشدى وصفر على ، وغيرهم ، واستمروا كذلك حتى كانت سنة ١٩١٤ فانضم اليهم كثيرون فأسسوا معهد الموسيقى الشرقى ، الغرض الاول من انشائه التعاون على تجديد الموسيقى الشرقية ، ونشرها والعمل على رقيها.

معهد الموسيقى الشرقى :

قلنا : إن تلك الجماعة هى نواة هذا المعهد ، إذ تكونت هيئته منها فى سنة ١٩١٤ وقد قام بمهمته على أتم وجه، حتى كانت سنة ١٩٢٥ حيث تم الاتفاق بينه وبين وزارة المعارف على إنشاء مدرسة للموسيقى ، وقد شمله جلالة الملك برعايته وافتتحه رسميا فى ديسمبر سنة ١٩٢٩ ، وقد أصبح عاملا قويا فى نشر الموسيقى وترقيتها ، كما ان أعضاءه مازالوا جادين فى النهوض به إلى غاية الكمال ، وبه فرع مدرسى لتعليم الموسيقى على أنواعها، ويشجع ذوى الاصوات الحسنة ، ويمنحهم مكافآت مالية ، ويتعلمون به مختلف أنواع الموسيقى .

هذه معلومات موجزة عن نظام المعهد ، ونحن نرجو له دوام التقدم في خدمة ذلك الفن الجميل وفى ظل جلالة مولانا الملك المعظم .

السيد عبد المطلب

فى اشتقاق كلمة صوفى

ردا على الاستاذ مرجليوث

بقلم الأستاذ

محمد لطفى جمعه



يظهر ان كلمة « صوفى » اثارت جدلا كبيرا فى الهيئات العلمية المختلفة ؛ بدليل ماوردنا من رسائل متعددة الوضع ؛ متباينة الفكرة ؛ وكنا قد كتبنا ردا طويلا على العلامة مرجليوث ؛ قصدنا به إلى تدعيم رأينا من غير ماتحيز أوتعصب ؛ وفى رفق ولين ، ولكن الرسائل التى وصلتنا ـ وجلها إن لم يكن كلها ـ شديد اللهجة ، اضطرتنا للاكتفاء بتقديم رد حضرة الاستاذ الكبير محمد لطفى جمعه على من عداه ، حيث جمع فى رده بين الطريقين ووفق بين أسلوبى أصحاب الردود .

والاستاذ لطفى جمعه ؛ كاتب من أكبر كتابنا الممتازين ؛ الذين لهم جولات صادقات فى ميادين العلم والأدب والاجتماع والثقافةعلى تباين فروعها .

ويعد الاستاذ جمعه ، زعيم من زعماء المدرستين القديمة والحديثة معا .

(الاستاذ لطفى جمعه)

وإذا كان القراء يرون فى أسلوبه شيئا من الشدة فمرجع ذلك لا إلى تعصب فى الرجل ـ كما يبدو لاول وهلة ـ وإنما يرجع إلى يقين الاستاذ بما يقرر .

وقديما قال افلاطون تلميذ سقراط « إننى أحب سقراط ، ولكننى أحب الحق أكثر منه » المحرر

قد اطلعت مصادفة على ملاحظة الأستاذ مرجليوث على البحث القيم الممتع الذى استوفاه الأديب الفاضل السيد عبدالعزيز مصطفي الأسلامبولى فى كلمة صوفي . وكان السيد عبدالعزيز قد عدد آراء تسعة فرفض الثمانية واستصوب واحداً وهو اشتقاق الكلمة العربية من كلمة يونانية معناها الحكمة . ويظهر أن الأستاذ مرجليوث ينكر ذلك ، و يأباه ، ولكن فى غير صراحة ، ولذا تراه ذكر مراجع ومصادر على صورة يسمح لنا بالقول بأنها غير مستقيمة فتراه مثلا ذكر نص ص ١٦٢ من كتاب الولاة وكتاب القضاة تأليف ابى عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى مهذبا ومصححا بقلم رفن كست

Rhuvon Guese طبع بيروت سنة ١٩٠٨ وليدن سنة ١٩١٢ من ضمن كتب إحياء ذكرى جيب وهو «وظهرت بالاسكندرية طائفة يسمون بالصوفية (في الاصل : الصوفية . واتبعنا الخطط ج ١ ص ١٧٣) يأمرون بالمعروف فيما زعموا و يعارضون السلطان في أمره فترأس عليهم رجل منهم يقال له أبو عبدالرحمن الصوفي »

ذكر هذا النص ولم يذكر نص صفحة ٤٤٠ من الكتاب نفسه وهو :

« كان عيسى بن المنكدر يقرأ وكانت طائفة قد أحاطت به يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فلما ولى القضاء كانت تأتيه وهو في مجلس حكمه فتقول « أيها القاضي ذهب الاسلام افعل كيت وكيت ، فيترك مجلس الحكم و يمضي معهم فكلمه إخوانه مثل ابن عبدالله الحكم وغيره فقال لابد من القيام لله عز وجل بحقوقه » وادعى أن الكندى أبدى رأيا (ماهو ؟) وأراد أن يؤيده بما ورد في « مروج الذهب للمسعودي » فأورد استدلال يحيي بن اكثم على كون الرجل صوفيا من أن «عليه ثياب بيض غلاظ مشمرة » وصور لنا ذلك الصوفي في هيأة الرجل الشجاع الذي يدخل على المأمون للمناظرة ، وان هذا الطلب وحده دل يحيي على أن الرجل صوفيا ، وأن الرجل بعد أن حادث المأمون عاد إلى رفاقه وقال لهم ملخصاً مقابلته مع المأمون « إنه ضبط أمر المسلمين حتى تأمن سبلهم و يقوم بالحاج و يجاهد في سبيل الله و يأخذ للمظلوم من الظالم ولا تتعطل الاحكام فاذا رضى المسلمون برجل فاجتمعوا عليه سلم إليه الامر وخرج إليه منه » فلما سمعوا « تقريره » عن مقابلته المأمون قالوا : مانري بهذا الامر بأسا وافترقوا . وذكر خبر المقدسي وغيره يؤيد به أن كلمة صوفية مشتقة من صوف . وهو بذلك يرغب أن يبعدهم عن كلمة الحكمة (صوفيا اليونانية) التي ردها العالم الاديب الاسلامبولى إليها ، ويريد أن يجرد هذه الفرقة المنتمية إلى الاسلام من صفة الحكمة والفضيلة . . وتمثل فيما تمثل به بنص للجاحظ أدخل فيه الصوفية في أهل النقص فقال « اذا كان المسلم فشلا يبغض العمل تظرف وأظهر تحريم المكاسب وعاد سائلا وجعل مسألته وسيلة الي تعظيم الناس له »

وفي هذا النص (ص ١٠٣ ج ١ من الحيوان) أن الشخص الذي كان يستميل الناس بلبس الصوف هو النصراني دون الصوفي المسلم. فهو ضد مرجليوث ، لانه كان يقول إن لبس الصوف هو العلامة الوحيدة التي يتميز بها الصوفي المسلم ، واستشهد بالكندي والطبري والمسعودي والاغاني والمقدسي وغيرهم ، فلما أورد نص الجاحظ رأى أنه ضده .لأنه يخص النصارى المترهبين بلبس الصوف وهو الذي نشاهده عند القساوسة من فرنسيسكان ودومنيكان وغيرهم .

أما الصوفيون فقد ذكرهم الجاحظ بغير اشارة إلى ثيابهم التي تميزهم ، وكان

الأولى بالاستاذ مرجليوث أن يحذف هذا النص من قائمة أمثلته ، ولكنه ذكره لحاجة فى نفسه ، وهى أن الجاحظ جعل الصوفية من أهل النقص ، وقد لفت هو نظر القارىء الى تلك الملاحظة وفسرها وأيدها بقوله « ويطابق ذلك ما أخبر به الكندي والمسعودى من معارضتهم أمر السلطان » وكأن الأستاذ مرجليوث يعتبر معارضة أمر السلطان نقصاً ، حتى ولو كانت المعارضة فى المظالم . ونحن نعجب من رأى كهذا عند رجل يعيش بين أمة أشهر صفة من صفاتها القومية معارضة أمر السلطان فيما لا يتفق مع المصلحة العامة والعدل والانصاف ، وكنا نعتقد أن الاستاذ مرجليوث يعتقد رأياً عكسياً وهو أن معارضة أمر السلطان فى الرذائل من الفضائل والكمالات وليس نقصا . غير أننا بالرجوع إلى نصوص الكندى والمسعودى تبين أن الكندى ذكر عنهم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر قبل ذكر معارضة السلطان ، ويفهم من سياق الحديث أن معارضة السلطان هى فى ذلك يعنى أنهم يطلبون اصلاحا . أما نص ص ٤٤٠ فهو فى هذا المعنى أظهر وأوضح ، فانه لما ولى عيسى بن المنكدر القضاء كانت تأتيه جماعة الصوفية فى مجلس حكمه فتقول « أيها القاضى ذهب الاسلام ! فعل كيت وكيت ، فيترك مجلس الحكم ويمضى معهم (للنظر فى شكايتهم) فكلمه إخوانه مثل عبدالله الحكم وغيره (أى نهوه عن القيام مع الصوفية للنظر فى ظلامتهم ولأحقاق ما يرونه حقا) فقال القاضى لأخوانه : لابد من القيام لله عز وجل بحقوقه .

وظاهر من هذا النص أن الصوفية كانوا يعينون القاضى على القيام بحقوقه اليه عز وجل ، وليست هذه من صفات أهل النقص ، وليس اذن خبر الكندى يؤيد تهمة الجاحظ اياهم بأنهم طائفة من أهل النقص كاليهود الذين يتنسكون فيبالغون فى السبت أو النصارى الذين يترهبون ! بل أكثر من هذا ، فقد روي الكندى نفسه أن الصوفية أتوا القاضى عيسى ابن المنكدر وقالوا « ان أمير المؤمنين (المأمون) قد ولى أبا اسحاق بن الرشيد مصر ، وإنا نخافه ونخشى ان يشد على يد أهل العدوان (ان يكون عونا لأهل الشر) فاكتب لنا كتابا الى المأمون بأنك لاترضى بولايته . » فاقتنع ابن المنكدر برأيهم وفعل ماطلبوا اليه وبلغ الكتاب المأمون فأحضر أبا اسحاق فقال : ما الذي فعلت فى أهل مصر ؟ اهـ (من ص ٤٤٠ للكندى)

وهذا النص نفسه يدل أيضا على شدة اهتمام الصوفية باستقامة الوالى ، وهذا الاهتمام لا يصدر عن نقص ، واذن فهو لا يؤيد الجاحظ .

وأما خبر المسعودى الذى يريد الاستاذ مرجليوث أن يقنعنا بأنه يؤيد الجاحظ فى وصفه إياهم بالنقص ، فقد جاء فيه وصف الصوفية بأنهم جماعة شبه سرية لهم رقابة معنوية على الخليفة

أوفدوا واحدا منهم ليتفاهم معه، فلما ناظره (وهو صاحب الثياب الغلاظ المشمرة) واقتنع بصلاحه واستعداده للتنازل عن الامر، اذا تقدم له من هو أفضل منه ، عرض حاله على رفاقه الذين كانوا ينتظرونه فى المسجد فأقروه وتفرقوا. فأين هذا من النقص الذى ألصقه الجاحظ بالصوفية اعتباطا أو انتقاما لأنهم من فرقة غير فرقته ، وطار به الاستاذ مرجليوث فرحا ؟

و بناء على ماسبق ذكره يسكن الاستاذ مرجليوث الى اشتقاق الكلمة من الصوف « وليس فى ذلك ما يدل على أنهم ادعوا حكمة ينتسبون اليها » وهذا بيت القصيد ومربط الفرس ، وغاية الغايات عند الاستاذ الذي يريد اقصاءهم عن الحكمة اليونانية ويرجعهم الى شكل الثياب .

وهذه شنشنة نعرفها من أخزم ، فليست هذه هى المرة الأولى التى يخالف فيها الاستاذ مرجليوث الحقيقة للانتقاص من قدر الاسلام والمسلمين ، فقد سبق له أن وضع كتابا فى ترجمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو حلقة من سلسلة « أبطال الأمم » . وبدلا من أن يسلك مسلك الأنصاف والحـايدة والبعـد عن الغرض فى سرد تاريخ النبي وأعماله وانتقاد مايرى انتقاده بالاسلوب العلمى ، تراه جعل من كتابه حملة شعواء على الاسلام ونبيه فاتهم الاسلام بالتعصب الذميم (ص ٢) وأن الاشهر الحرام لم يكن المقصود منها الحج وزيارة الاماكن المقدسة ولكن غايتها الحصاد وتناسل الانعام، وان سوق عكاظ كانت مكانا للفسق والاختلاط بالنساء ، وان محمداً صلى الله عليه وسلم ورث عن والديه بنية قوية تجعله يحتمل المتاعب ، ولكنه كان مصابا بالصرع (ص ٤٥)

فانظر التناقض بين قوة البنية والصرع !! واستدل على اصابة النبي بالصرع من إغمائه فى موقعة بدر ويوم أن كان صائما ففصد (عن المسند ج ١ ص ١٤٨) . ولم يدرك مرجليوث ان الاغماء فى ذاته لايدل على الصرع، ولكنه يدل على انتهاك القوى اوضعف عضوى في القلب ، وكلاهما لا يضير المصاب بهما . فانتهاك القوى طارىء على كل انسان وكذلك ضعف القلب أما الصرع فداء يدل على مرض فى العقل، و ينتهى دائما بالجنون فى حين أن (جاورز) كتب فى (ص ١٣٠) من كتابه : ان أعراض الصرع لم تكن موجودة عند النبي وهى معروفة للخاص والعام، واهمها عض اللسان ، وانبساط اليد فيقع منها ما كان بها (أى اليد) وانحطاط العقل بالتدريج .... كل هذه الاعراض الطبية العلمية لم يكن النبى مصابا بها ولا بواحد منها، ولم يعلم ان حالة منها قد حدثت له ، وقد كان اعداؤه ـ وكلهم من الاقوياء ـ واقفين له بالمرصاد ومتربصين لأى نقص يعتوره فيـذيعوه ، ولم يكن هـذا الداء الوبيل ليخفى عليهـم .

وادعى مرجليوث أيضا انه جاء من اسرة وضيعة (ص ٤٧) مع ان اسرة هاشم كانت اعظم فرع من دوحة قريش ، وقريش كانت أعظم قبيلة فى العرب . وادعى أن سدانة الكعبة لعبد المطلب أسطورة وليست حقيقة تاريخية (ص ٤٨) وأن الفيل الذي ساقه أبرهة على الكعبة كان اسمه

محمودا وقد سمى النبي باسمه لانه ولد فى تلك السنة عام الفيل (ص ٥٠) وأنه اعتبر الكلاب نجسة لانه كان يبغضها (ص ٥٣) وأنه لابد سافر عن طريق البحر لورود وصف سفر البحر في القرآن (ص ٥٧) وأنه سافر الي مصر لان كلامه عن مصر يدل على معرفة تامة بها (ص٥٧) مع ان (نولدكه) وهو مستشرق هولندى وليس من أصدقاء الاسلام ذكر في مذكراته حرف c ج ٢ : ان محمداً لم يكن يعلم ان المطر قليل في مصر قلة مطلقة، ولو كان سافر اليها لعلم تلك الحقيقة التي لاتخفى على أحد ممن يزور مصر . وأنه انتقم لجهله الشعر والكتابة بوضع القرآن على أسلوب السجع (ص ٦٠) وأنه كان شديد الطيرة (ص ٦١) مع أن الاحاديث الصحيحة تثبت أنه يكره الفأل والشؤم و ينهي عنهما . وأنه كان يتقاضي أجرا من الملذوع الذى يشفى بقراءة المعوذتين (ص ٦٢) وأنه صار رئيس لصوص أو قطاع الطريق Captain of Banditti (ص ٦٣) وان العناية بنفسه والمحافظة على حياته كانتا أكبر همه (ص ٦٥) وأن القرآن مكتوب بلغة تجارية لأن صنعة محمد كانت التجارة، حتى اعلان رأى المؤمنين فى اختياره، سماه مبايعة (ص ٦٩) وكان الاسلام فى بدايته نواة لجمعية سرية، وان محمداً كان بطيئا فى الكلام ولم يكن حاضر البديهة (ص٧٢) وانه لم ينتحل النصرانية لانه كان وطنيا لايقبل ان يدخل نيراً اجنبيا فى وطنه (ص ٧٧) وان محمداً كان يعتقد ان جودا (يهوزا الاسخريوطى) هو الذى صلب، وان النبي الصادق انتصر ونجا، وهو يتفق في هذا الرأى مع طائفة الجوليانية، (ص ٧٨) وكان فى بعض الاحيان ينطق بالفحش (ص ٨٣) وان أبا بكر و إن كانت له قيمة لا تقدر إلا انه لم يكن شريكا فى الجريمة Complice (ص ٨٠) أى جريمة خداع العالم، وان طريقة محمد في اظهار الوحى مثل طريقة الخواجا (! !) جوزيف شميث الغشاش المسيحي (ص ٩١) ولا فضل لمحمد فى ايمان خديجة، لأن ابن عمها ربما كان جهزها للثورة على عبادة الاوثان التي كانت فى مكة (ص ٩٣) يعنى أن محمداً لافضل له حتى فى التأثير فى زوجته الاولى التي كانت تحبه حبا فائقا والتي كان يحبها، وقال : انها لوعاشت ماتزوج من سواها (راجع حديث عائشة فى البخاري «أتفتأ تذكر تلك العجوز من قريش الخ») وأن عثمان لم يسلم الا لأنه احب رقية بنت النبي وأراد زواجها فجعل الاسلام ثمنا لذلك .

والكتاب يقع فى خمسماية صفحة، وهذا بعض ما جاء فى مائة منه، فما بالك بكل ما ورد فيه من المخازي والمساوىء المكذوبة الدالة على تعصب مرجليوث و بغضه الاسلام وحقده عليه وحملته على رسوله وعلى أنصاره ؟ والرجل يحقد على الاسلام من قديم الزمان ؟

محمد لطفى جمعه

الدين المقارن والبحث والميزان

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

عرفني صديق لي وأنا في نيويورك في سنة ١٩٢٤ برجل أميركي ، فقال « إنه ممن تخرجوا في مدرسة اللاهوت في شيكاغو » وخشي أن يثير هذا التعريف في نفسي شعوراً بأن صاحبه من أهل النظر الضيق والمجال المحدود ، شأن أكثر الذين يقتصرون في دروسهم الروحية على وجهة واحدة ، فاستدرك بقوله « ولكنه تعلم أن يشرح الدين على مائدة العلم بالنزاهة كما يشرح علماء الحيوان الأجسام توصلا إلى معرفة سرها ، ولكي يستخرجوا بالمقارنة فيما بينها الدساتير الحيوية التي تحكم عليها » فكأنه بهذا التعريف الودي الشخصي قد عرف صاحبه بأنه ممن درسوا الدين المتقابل ، وأن هذا العلم هو درس الأديان درساً بالمقارنة وتحليلها تحليلا علمياً نزيهاً لمعرفة سرها واستخراج الدساتير الاجتماعية التي تسير بمقتضاها .

ويعد هذا العلم من أحدث العلوم ، ولربما كان للاستكشافات الأثرية الحديثة في وادي النيل وبين النهرين وسورية ، ولاسيما أوراق البردى وطابق الخط المسماري وما فيها من قصص تناقلتها الأمم بعضها عن بعض - القدح المعلى في التشجيع على هذا العلم .

وعندي أن علماء علم الحيوان هم أعرف الناس بقيمة المقابلة والمقارنة في الابحاث العلمية ، لأن كثيراً من الأعضاء الأثرية في المخلوقات مثلا ، لا يفهم حق الفهم إلا بالمقارنة ، خذ على ذلك مثلا : الزائدة الدودية في الانسان - وهي الأعور عند عامة المصريين - فأن هذا العضو أثري في الانسان لا تعرف له وظيفة خاصة إلا ما ذهب اليه بعض الاخصائيين من إفراز داخلي يفرزه ، وقد قطع من أجسام الملايين من الناس ممن أصيبوا بالتهابه من غير أن يحدث فقده فيهم أثراً ، وهو كناية عن زائدة دودية الشكل لا يتجاوز طولها الأصبع ، وأما في بعض الحيوانات التي تعيش على الحشيش كالحصان مثلا ، فأن لهذا العضو وظيفة مهمة في الهضم ، وقد دعي في الانسان عضواً أثرياً لتضاؤله واندثار وظيفته ، وهكذا عرفنا بالمقارنة التشريحية معنى الزائدة الدودية في الانسان .

وقد تؤدي المقابلة في درس الأديان إلى إظهار شعائر أثرية انطوت وظيفتها في بطون الأيام وغابت حكمتها في تطور التاريخ ، أو قد نجد هذه الشعائر نفسها مطبقة في مجتمع آخر

غير مجتمعنا تطبيقاً عملياً يعود بالفائدة على مصلحة الأفراد ، أو قد نجد ميلا عاماً في الأديان نحو عقيدة معينة تبيح لنا أن نصوغها دستوراً شاملا ، كقولنا إن جميع الأديان التاريخية لا ترى الموت نهاية وجود الفرد ، بل هناك حياة أو شبه حياة بعده . ومع أن الدين في بابل وآشور وعند الاسرائيليين، هو رابطة بين الجماعة وربها أو أربابها أكثر منه رابطة بين الفرد وإلهه، ومع أن البحث عندهم في الحياة الآتية كان ممنوعاً تقريباً ، إلا أن وجود الانسان لم ينقطع في نظرهم بالموت، بل يستمر بعده ولكن بصورة خيالية مبهمة .

ونرى القبائل الأثرية التي شنت غاراتها على الشرق في الأعصر السحيقة قد اهتدت الى عقيدة بالآخرة قبل أن تنقسم الى فريقين: فريق الذين اكتسحوا الهند وفريق الذين اكتسحوا بلاد ايران ، وكانت هذه العقيدة قائمة على الجزاء الذي سيلاقيه المرء بعد الموت إن بالخير او بالشر، إلا أن هذا الفريق الفارسي أفاض في تصور الحياة الاخرى وفصلها تفصيلا دقيقاً فذكر البعث من القبور والفتح والفردوس للفرس وجهنم لكل خلق سواهم . فمن أشراط الساعة عند (زردشت) نبي الفرس أن الحية وهي رمز (اهريمان) او « إله الظلمة » تملت من مكمنها لتدمير جميع ما بنته يد (اهورامازدا) أو «إله النور» من الاعمال الصالحة، لكن « مهديا » او «مخلصا» من نسل (زردشت) يظهر في الوجود في نهاية السنين الالف الاخيرة لانقاذ البشر فيتم على يديه يوم الحشر فتنتشر أرواح الموتى وتعود الى اجسامها قادمة من مساكنها في بيوت التغريد أو جحيم البكاء ، وتجتمع الأسر بعضها مع بعض مرة ثانية للقاء العذاب النهائي الذي يطهرها من الأرجاس ، لأن ناراً تأكل الاخضر واليابس يستعر لهبها حتى إن الجبال تذوب من شدتها فيعوم البشر في حمم من المعادن المصهورة ثلاثة ايام متواليات . اما الصالحون من العباد فيمرون في هذه الحمم كأنهم في مغطس من اللبن، وأما الاشرار فيطهرون من أدرانهم ، والحية وأعوانها تلتهمهم النيران .

وفي الاصحاح العشرين من سفر « الرؤيا » في الانجيل ذكر السنين الألف علي طريقة (زردشت) هذه، وذكر الحية وإفلاتها من الهوة السحيقة التي ألقيت فيها لتضل الناس ولكن مصيرها كمصير تلك الحية التي سبقتها بنحو الف سنة نار حامية تشوي جلدها وتحرق عظامها .

وذكر الاستاذ (كارنبتر) في مقدمة كتابه « الدين المتقابل » أنه يوجد في قوس المذبح في بيعة (سوث لي) على بعد اميال الى الغرب من مدينة (اكسفورد) في بلاد الانكليز صورة القيامة والبعث على النمط المعروف في صناعة القرون الوسطى ، وعلى الجدار الجنوبي الملاصق صورة ميكائيل يحمل بيمينه ميزاناً في كفته الواحدة صورة الروح في الصلاة وبجانبها العذراء تحمل سبحة ، وفي الكفة الاخرى شيطان برأس ثور ينفخ في بوق ، وترتفع هذه الكفة ارتفاعاً مضطرداً، وإن كان شيطان آخر قد تسلق الى قضيب الميزان من فوق ليثقلها

ويدفعها إلى أسفل، وشيطان ثالث من باب جهنم من تحت يسعى لجذبها الى الهاوية . ويوجد على مدخل كنيسة « نوتردام » فى باريز مايشبه هذه الصورة .

وإذا فرد القارىء صحيفة من صحف البردى مأخوذة من قبر مصرى من قبور الطائفة الثامنة عشرة قبل ايام موسى وجد فيها مايشبه ذاك المنظر بعض الشبه . فهناك (اوزيريس) الحكم العدل « اله الحياة وملك الازل » جالس فى ردهة « إلهتى الصدق » ويؤتى بالروح الى هذه الردهة للحساب فيقرر لها مصيرها إن للسعادة او للشقاء ، فتقف امام اثنين وار بعين مقدراً أو محكماً وتنادى ببراءتها من وصمة الذنوب فتقول « لست شريرة ، لست لصة ، لست قاتلة ، لست شحيحة ، لست كاذبة ، لست محتكرة للطعام ، لست سالبة ، لست فاجرة ، لست ممن يسكب الدمع من أعين الناس .. » ثم تساق (وربما أمسكها من جانبيها إلهتا الصدق المذكورتان) الى الدينونة والحساب . فهناك قضيب الميزان قائم على عمود ويحرسه قرد برأس كلب هورمز تحوط « رب الموازين » . ولتحوط هذا فى الاساطير المتقدمة وظائف عديدة بحيث يرتقى شأنه حتى يصير عنوانا للادراك العالمى، ووظيفته هنا انه كاتم سر أوزيريس، وذلك باعتباره موقتاً ومخترعاً للعدد ، فيوضع فى كفة الميزان الواحدة قلب الميت وهو عضو الوجدان وفى الكفة الاخرى عيار او ثقل مربع ، وربما وضعت ريشة نعامة في بعض الاحيان كناية عن الصدق والاستقامة . أما تحوط فيقف بجانب الميزان وبيده سجل يسجل فيه النتيجة اذ تمر الروح لتنال جزاءها العظيم .

قال الاستاذ كارنيتر « إن المناظر والاشخاص مختلفة لكن الفكرة الاساسية المتعلقة بيوم الحساب واحدة وتجرى على نمط واحد . فهل هذا اتفاق عرضى فى الاستعارة والمجاز ياترى ؟ » وتشير صورة الميزان بطبيعة الحال الى تقدير القيمة ووزن القدر ، وهذا صاحب الزبور قد نادى من لوعة الاسى « لاشك ان الناس من أهل الدرجات الوطيئة هم باطل وأن الناس من الدرجات الرفيعة هم كذب، وفي الموازين هم جميعاً أخف من الباطل »

وجاء في الكتاب المقدس فى سفر دانيال أن اليد المحجبة كتبت على جدار قصر بلشزار كلمة (ثقل) العجيبة التى حوت الجملة المريعة « إنك وضعت فى الميزان فوجدت ناقصاً » .

وكان الحساب بالميزان للخيال الهندى القديم قبل بوذا (يعنى قبل المسيح بخمسمائة عام) جزءاً من منظر العالم الثانى . وفى تعاليم الفرس الاقدمين أن « رشنو » ملك العدل ترأس أمام الصديق الناصح « مثرا » الشفيع على وزن الارواح فوق جسر المصير المحتوم حيث تمر هذه الارواح إما للجنة وإما للنار .

(البقية على الصفحة رقم ٩٣٦)

الحياة العملية وانقلاب التفكير الغربي

للأستاذ محمد ثابت الفندي

كيف نفهم الحقيقة ؟

نكاد نفهم جميعاً من لفظ « الحقيقة » معنى واحداً وإن اختلفت ألفاظنا فى التعبير عن ذلك الفهم . فأنت إذا سألت أى إنسان فى مصر سواء أكان ممن له حظ من المعارف أو لم يكن عما يفهمه من هذا اللفظ ، فأنه سيجيبك بلاعناء ولا تفكير بعبارة تقرب من هذه « الحقيقة إنما هى تمثيل المعانى الذهنية للأشياء التى فى خارج الذهن تمثيلا مطابقاً لها »

فنحن نقول : « إن الأرض تدور حول الشمس » حقيقة من الحقائق لأن المعنى الذى نفهمه من هذه العبارة نعتقد أنه يمثل تماماً مايحدث فى الخارج من دوران الأرض حول الشمس . ونقول : إن زوايا المثلث تساوى قائمتين ، وإن الأجسام تتجاذب ، وإن المعادن تتمدد بالحرارة ، وإن الله موجود ، نقول عنها حقائق أيضاً لأننا نعتقد أن هذه الأقوال تطابق تماماً مايجرى فى الخارج وتماثل الواقع أتم مماثلة .

فمعيار الحقيقة عندنا هو مطابقة أفكارنا وتصوراتنا للخارج وتمثيلها للواقع . فاذا لم تمثل أفكارنا شيئاً من الأشياء الواقعية فأنا نقول عنها إنها وليدة الوهم والخيال ، ونعتبرها باطلة وليست حقيقية . فنحن نعد باطلا قول من يقول : بأن الجن موجود ، وإن السماء تمطر ذهباً ، وإن الأرض تقوم على قرن ثور ، لأننا نعتقد أن هذه التصورات لا تمثل أشياء موجودة بالفعل . إذن فالمعيار الذى نزن به الأفكار فنميز بين الحقيقة منها والباطل إنما هو المماثلة والمطابقة للخارج ، إذ الحقيقة عندنا هى الفكرة التى تمثل شيئاً موجوداً ، والباطل مالم يكن كذلك . هكذا نفهم نحن الحقيقة .

خطأ هذا الفهم

إلا أن الشوط الواسع الذى قطعه الفكر الانسانى فى مراقى العلوم والمعارف ، وأسلوب الحياة التى يحياها الانسان فى هذا العصر ، وانقلاب الأذواق والمشارب والملابس والنظم السياسية والاجتماعية والصناعية وغيرها ، كل ذلك استتبع انقلاباً خطيراً فى أسلوب التفكير والنظر الى الحقائق ، فانقلب بذلك المعيار الذى نركن إليه فى تقرير الحقيقة وتمييزها عن

الباطل . ولبيان ذلك نستحسن أن نحصر كلامنا في صنف من الحقائق لا يختلف فيها اثنان لوضوحها وجلائها مثل الحقائق الرياضية .

نحن جميعا نعتقد مثلا : أن المستقيم أقرب بعد بين نقطتين ، وأن من نقطة واحدة خارج مستقيم ما لا يمكننا أن نقيم من المستقيمات الموازية له إلا مستقيما واحداً . وأن مجموع زوايا المثلث الثلاث يساوى قائمتين .

هذه بعض الحقائق التى تبرهنها هندسة إقليدس ، نكاد نعرفها جميعاً ونجزم بصحتها ونسخر ممن تغيب عنه لبداهتها ، ونصفها دائماً بأنها «حقيقة» لماذا ؟ لأننا نعتقد اعتقاداً جازماً بأنها أفكار تمثل الواقع أتم تمثيل ، إلا أن الاعتقاد بحقيقتها يزول إذا علمنا : —

أن رياضيات أنشطين تقول بأن المنحني — لا المستقيم — هو أقرب بعد بين نقطتين .

وأن هندسة لو بتشفسكى (١٨٣٥) تبرهن على أنه من نقطة واحدة خارج مستقيم ما يمكن أن نقيم عدداً لا يتناهى من المستقيمات المتوازية ، بينما تبرهن هندسة ريمان (١٨٥٤) على أنه لا يمكن أن يقام مستقيم البتة من مثل تلك النقطة . وأن زوايا المثلث تساوى أقل من قائمتين وفقاً لهندسة لو بتشفسكى ، أو أكثر من قائمتين وفقاً لهندسة ريمان .

مما تقدم نخلص بأن المسائل الرياضية — وهى مثل أعلى للحقائق — أكثر من حل واحد ، وكل حل منها يدعى صاحبه أنه الحق الذى لا خداع فيه . فهندسات إقليدس ولوبتشفسكي وريمان ورياضيات انشطين كلها تدعى أنها كذلك ، ولكن أى واحدة منها تمثل الموجودات فى أنفسها ؟ إذا لجأنا إلى هذا المعيار الذي اعتدناه لنوازن بينها ، فإننا لن نصل إلى نتيجة حاسمة ، ذلك لأننا لن نعرف الموجودات في أنفسها ، إذ لو عرفناها لما تعددت الهندسات ، وإنما نحن نعرف تلك الموجودات عن طريق الأفكار والتصورات التي يخلقها عقلنا ليفهمها بها ، فتلك الهندسات وسائر التصورات العلمية ، إنما هى خلق واختراع عقلى وليست تصويراً وتمثيلا للأشياء ، فاذا نظرنا اليها من حيث هى تمثيل صادق ومطابق للأشياء ، فإننا لن نصل إلى نتيجة فى معرفة أيها المحقة وأيها المبطلة ، لذلك يجب أن نضع معياراً جديداً لمعرفة الحقيقة غير المعيار الذى تعودنا استعماله .

معيار الحقيقة الجديد هو العمل

والآن ماهو المعيار الجديد الذى يجب أن نستعمله لتمييز الحقائق ؟

لأجل أن نفهمه يجب علينا أن نتذكر أن أسلوب الحياة في هذا العصر — وخاصة فى أوروبا وأمريكا — يجعلنا ننظر إلى الناس والأشياء من وجهة عملية بحتة . فنحن الآن إنما نقدر قيم

الناس والأشياء بقدرماتدره من نفع وما تجيء به من فائدة فى الحياة العملية ، فالنجاح في الحياة العملية هو الذى يرفع الناجح و يعطيه قيمة ممتازة ، والفشل فيها يسلبه كل قيمة له . ومن ثم يتضح أن منطق الحياة الحاضرة يحتم علينا أن ننظر إلى « العمل » على أنه معيار سليم صادق فى تقدير القيم أياً كانت .

ولم ير مفكرو العصر الحديث بدأً من تطبيق هذا المعيار على الأفكار والمعانى وكل ما يكون معارفنا الانسانية ، فما كان منها مؤدياً إلى نتائج مفيدة في الحياة العملية يجب أن نعترف له بقيمة خاصة فنعتبره حقيقة ، ومالم يكن مؤدياً إلى نتيجة ما ، يجب أن نسلب عنه كل قيمة فنعتبره باطلا .

والأفكار هى قبل كل شيء اختراعات نخترعها كانخترع الآلات لاستخدامها والاستفادة منها. وهى فى أنفسها ليست حقيقية ولا باطلة ، وإنما هى تكتسب إحدى هاتين الصفتين بتطبيقها واستعمالها فى الحياة العملية ،فأن أنتجت فائدة انتقلت إلى عالم الحقائق ، وإن لم تنتج فائدةما ظلت فى عالم البطلان . ويشبه شلر ، الفيلسوف الانجليزى ، أفكارنا قبل إنزالها إلى ميدان العمل بمرشحى البرلمان . فالمرشح البرلمانى لا يصير عضواً حقيقياً حتى يخوض معركة الانتخابات ويحرز فيها نجاحاً كافياً يؤهله للدخول فى عالم النيابة ، كذلك الفكرة المرشحة إلى أن تصير حقيقة ، تظل فكرة مرشحة حتى تخوض معركة العمل وتحرز فيها نجاحاً كافياً ، عند ذلك فقط تصير الفكرة عضواً فى عالم الحقائق . والنجاح فى الحياة العملية معناه أن الفكرة التى نخترعها تزيد فى سلطاننا على الأشياء ، وتبسط من نفوذنا عليها ، وتدر علينا فوائد مادية أو أدبية ، وبالجملة تملأ فراغاً فى حياتنا لم يكن ليملأ بدونها .

وإذا أردنا أن نجمل ما تقدم فى عبارة موجزة فيمكننا أن نقول : إن أفكارنا كلها إنما هى اختراعات ككل الاختراعات الآلية ، وهذه الاختراعات لا تصير لها قيمة ما أو حقيقة ما حتى تقوم بخدمات عملية نفيسة ، لذلك يقول منشىء هذا المذهب العملى وليم جيمس : « إن امتلاكك لمعان حقيقية معناه امتلاكك لآلات نفيسة للعمل » (ص ١٩٥ من كتابه « المذهب العملى »).

المذهب العملى والحقائق العلمية

وهذا المذهب العملى يتقدم لتقرير كل الحقائق من أى نوع كانت حتى الحقائق العلمية، فليست الحقيقة العلمية عند أنصار هذا المذهب اكتشافاً لأمر موجود ، وإنما هى اختراع لأمر مفيد نافع يؤكد نجاحنا فى الحياة ويمد من سلطاننا على الأشياء . فمثلا فى علم الفلك ، كان يقال : إن الشمس تدور حول الارض، ويقال اليوم : إن الأرض تدور حول الشمس.

فأى الفكرتين أصدق وأحق ؟ يقول هنرى بوانكاريه ، العالم الرياضي الفرنسى « إننا لا نستطيع أن نقوم بتجربة لإثبات صحة إحدى الفكرتين بحيث تصير إحداها ممثلة للواقع والأخرى لا تصير كذلك ، فالفكرتان من هذه الوجهة متساويتان ، ولكننا إذا نظرنا اليهما من جهة النتائج العملية المترتبة عليهما فأن الفكرة الاخيرة تفوز بلقب « الحقيقة » وذلك لفائدتها فى تفسير جملة من المشكلات مثل اختلاف الليل والنهار ، وتعاقب الفصول ، والخسوف والكسوف ، والمد والجزر ، الى غير ذلك مما لا قبل للفكرة الاولى على تفسيره . فالفكرة الاخيرة مفيدة عملياً ولذلك فهى حقيقة . والأمر كذلك عند بوانكاريه فى حسم الخلاف بين الهندسات التي مر بنا ذكرها . فليست إحدى هندسات اقليدس ولو بتشفسكى وريمان حقيقة فى نفسها باعتبار أنها تمثل الواقع ، فهى كلها من هذه الوجهة متساوية . ولكننا إذا نظرنا اليها من الوجهة العملية ، أى من حيث النتائج المفيدة التى نستمدها من كل منها ، فأنا سنجد أن هندسة اقليدس تفضلها جميعاً لأنها اكثر ملاءمة وبساطة وسهولة ، ويمكن ان يقال مثل هذا فى سائر الحقائق العلمية .

ومما تقدم يرى القارىء أن المعيار الجديد لمعرفة الحقائق هو « العمل » فليست الحقيقة العلمية شيئاً نتلقاه من الخارج وتخضع له عقولنا ، وإنما هي شيء نخترعه من لدنا ونخضعه نحن لعملنا وفائدتنا وخيرنا ، فأن أفادنا حق للاختراع أن ينعت بأنه حقيقى .

المذهب العملى والحقائق الدينية والاخلاقية

معلوم أن أهم ما جاءت به الأديان فكرة « الله » وأهم مبدأ فى الأخلاق فكرة « الحرية » ولقد تخبطت المذاهب الفلسفية فى تقرير هاتين الفكرتين تخبطاً ليس عليه من مزيد . فمنذ فجر التاريخ الفلسفى نشب الجدال عنيفاً بين المذاهب المادية والمذاهب الروحية حول فكرة « الله » وآخر ما وصلت اليه المذاهب المادية أنها تقول : إن الله غير معروف وإن الكون إنما تكون بفعل القوى الطبيعية وحدها ، أما الروحية فتثبت بقوة تعدل قوة المادية أن الله موجود وأن العالم لم يكن إلا بفعله وخلقه ، فالخلاف بين المادية والروحية عميق ، ولا يمكن أن يفض إذا رجعنا الى معيارنا العتيق فى تمييز الحقائق ، لأن التجربة التى أحدثت العالم شيء مضى لا سبيل إلى إعادته للتثبت من هذا الاحداث ، أكان بفعل الله أو بفعل القوى الطبيعية وحدها ؟ فالمادية والروحية من هذه الجهة متساويتان ، ولكننا إذا نظرنا إلى « النتائج العملية » المترتبة على كل منهما فسيفض الخلاف وتترجح كفة الروحية بلا ريب ، ذلك لأن المادية تنبئنا بأن النهاية التي سيصل اليها الكون وفقاً لتطور القوى الطبيعية هي الموت والفناء والعدم ، وهذا ما يأباه رجاء الأنسان وما لا ترضاه آماله الطامحة إلى الخلود ، بينما الروحية تنبئنا بأن العالم قد يزول

باصطدام الكواكب أو بفقدان الحرارة، ولكنه مع ذلك لن يصيبنا مكروه لأن الله الذى قدر هذا الزوال يظل يرعانا ويحقق آمالنا . فمن الوجهة العملية البحتة نجد أن الروحية مذهب منشط ومرفه ومطمئن للنفس على المستقبل السعيد الذى تعدنا به الأديان، فهي حقيقة إذن .

وكما تقدم المذهب العملي لحسم النزاع بين المادية والروحية فأثبت وجود الأله لضرورة عملية بحتة، كذلك هو يتقدم لحسم النزاع بين مذهبي الجبرية والحرية فيثبت أننا أحرار غير مجبورين ولا مسيرين فى أفعالنا وذلك لضرورة عملية أيضاً . فاذا نظرنا إلى المذهبين من حيث النتائج فأنا نجد أن الاعتقاد بالجبرية مثبط للهمم قاتل للارادات مضعف للآمال ميئس من الحياة، في حين أن الاعتقاد بالحرية مشجع للهمم منشط على العمل موفر للانسان أسباب حب الحياة والجهاد فيها، فالحرية حقيقة أيضاً .

فالعمل هو الذى يعطى فكرتي الله والحرية قيمتها الممتازة، فاذا نظرنا اليها مجردين عنه فيصيران من الألفاظ الفارغة التى لا معنى لها البتة . هكذا يدعى المذهب العملي أنه يفسر كل الحقائق علمية ودينية وخلقية بمعيار « العمل » فبدلا من النظر الى الحقائق في أنفسها ينظر اليها من حيث قيمتها العملية . وهذا انقلاب فى أسلوب التفكير خطير .

محمد ثابت الفندى
ليسانسيه فى الفلسفة

الدين المقارن والبعث والميزان

(بقية المنشور على الصفحة رقم ٩٣١)

وأما فى الاسلام فقد ورد ذكر الميزان فى الكتاب العزيز فى مواضع كثيرة الدلالة على الدقة فى العدل فى « يوم الحساب » بحيث تكون قيمة المرء على قدر عمله لا على قدر دعاويه . ففى سورة الأعراف فى الآية الثامنة : « والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » وفى سورة الانبياء فى الآية السابعة والاربعين : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين . »

عبد الرحمن شهبندر

عوامل التربية

للأستاذ حامد عبد القادر

أستاذ التربية وعلم النفس

بدار العلوم وكلية أصول الدين

من المعلوم لكل إنسان أن النبات يتولد منه نبات مثله ، يحيا حياة مثل حياته ، ويسلك في النمو طريقاً مثل طريقه ، ويتأثر بما يتأثر به من العوامل ثم يدركه الضعف مثله ثم يفنى بعد انقضاء أجله لأسباب تشبه تلك الأسباب التي تقضي على أصله وتؤدي إلى فنائه .

ونرى مثل ذلك يحصل للحيوان ، فكل حيوان ينشأ عنه آخر مماثل لأصله في الصفات الجثمانية ، مشابه له في كثير من الصفات الخلقية ، ولا يشذ عن هذه القاعدة الانسان . فأنا نلاحظ أن ابن الطويل ينشأ طويلا ، وأن ابن الأبله ينشأ في الغالب أبله ، بل إننا نلاحظ أن لكل أمة من الأمم صفات تميزها عن غيرها ، ولكل جنس من الأجناس البشرية مميزات خاصة به ، فأولاد الصينيين يشبهون آباءهم في لون الشعر والبشرة وسحنة الوجه وشكل العين والأنف وكذلك ينشأ أبناء الهنود نشأة آبائهم ويشبهونهم في الأوصاف الخلقية وفي كثير من الميول الخلقية وكذلك يقال في أولاد العرب والمصريين والانجليز والفرنسويين .

وللجنس الآرى على العموم مميزات جثمانية وأخرى نفسية ، وللجنس المسمى بالسامى خواص يعرف بها يرجع بعضها إلى ملامح وجوههم وألوان بشرتهم وشعورهم ، والبعض الآخر يرجع إلى نزعاتهم النفسية ومذاهبهم الاجتماعية ، وهذه الصفات التي تميز أفراد أمة من أفراد أمة أخرى ويعرف بها الجنس الذى ينتمى اليه الفرد ، وهذا دليل واضح على أن هذه الصفات تنتقل من الآباء للأبناء .

وإن ناموس النشوء والرقي الظاهر الأثر في جميع الأجناس والأنواع من الكائنات الحية يدعونا إلى الاعتقاد بأن بعض الصفات الرئيسية التي ترجع إلى وظائف الأعضاء والتي يكتسبها أفراد نوع من الأنواع بالجهاد في الحياة بحكم قانوني « تنازع البقاء » و « بقاء الأصلح » تنتقل من الأصول إلى الفروع ، إذ لولا ذلك لما حصل الترقى ، ولكان من الضرورى أن يبدأ الفرد حياته بسيطاً ساذجاً محدوداً في أعضائه وفي وظائفها ، ولظل الانسان مثل غيره من الحيوانات محدود القوى قليل المواهب العقلية ، لا يمتاز عن أسلافه قليلا ولا كثيراً .

فمما لا نزاع فيه إذن أن الفرع إذا ترك وشأنه، فأنه ينشأ نشأة أصله لا يمنعه من ذلك إلا ظروف خاصة ستتبين لك فيما بعد . وانتقال صفات خاصة جثمانية كانت أو عقلية أو خلقية من الأصل إلى الفرع خاضع لقوانين تسمى قوانين « الوراثة » وهى العامل الأول من عوامل تكوين الانسان .

ومن الممكن تعريف الوراثة بأنها ميل طبيعى فى الفرع لمشابهة أصله فى تكوينه الجثمانى وفي وظائف أعضائه .

وهذه المشابهة على نوعين : (أولا) مشابهة الفرع لأصله المباشر (ثانياً) مشابهة الفرع لأصل من أصوله السابقة، ويدخل فى المشابهة سلوك الفرع مسلك أصله في النشأة والنمو وأسباب الضعف والانقراض ، والغرض الأساسى من هذه المشابهة هو الاحتفاظ بالنوع وبقاؤه بقاء صالحاً ، إذ أن بقاء الفرع لا يتحقق إلا ببقاء أفراده من جهة وبمشابهة الفروع لأصولها من جهة أخرى ، فلو لم تبق الأفراد لانقرض النوع ، ولو لم تشابه الفروع أصولها لنشأ نوع آخر .

ومن حيث إن أفراد كل نوع ستحيا حياة أصولها بوجه عام، وستكون مضطرة لمقاومة الظروف التى خضعت لها أصولها من قبلها كان من الضرورى للفروع أن يكون لديها من الصفات ما تستعين به على مقاومة تلك الظروف ، أى لا بد لها من أن تكون مزودة بالصفات والخلال التى اتصفت بها أصولها .

هذا اذا فرضنا أن الظروف والأوساط والبيئات اللاحقة هى هى الظروف والبيئات السابقة نفسها وعلى الأقل مشابهة لها، أما اذا حدثت طوارىء جديدة أو حصل تغير خطير في البيئات والأوساط عفواً او أريد تغييرها قصداً لتنشئة الأفراد تنشئة جديدة والسلوك بهم مسلكا آخر لغرض ما فأنه يصير من الضرورى فى مثل هذه الأحوال أن يحصل فى صفات الأفراد انقلاب تابع للانقلاب الذى يحدث فى البيئات التي يعيشون فيها .

وهذا الانقلاب خاضع لقوانين خاصة هى قوانين البيئة التى هى العامل الثانى من عوامل تكوين الانسان. والانقلاب الخاضع لقوانين البيئة يحصل بطريقين: اولها طريق الاستعداد الفطرى وثانيهما طريق الاكتساب الارادى ، ونقصد بالاستعداد الفطرى استعداد الكائن الحى للتكيف من تلقاء نفسه تكيفا يجعله صالحا للاقامة فى بيئته الخاصة قادرا على مقاومة عوارضها وطوارئها، وهذا النوع يشاهد فى الكائنات العضوية الدنيا والعليا معا ، غير أن حظ الحيوانات العليا من هذا الاستعداد وافر، وحظ الانسان منها أوفر وأكمل.

وربما كان من مميزات الانسان أنه أقدر الحيوانات على إعداد نفسه لبيئته بسرعة، فأننا نرى

أن الانتقال من بيئة الى أخرى قد يؤدى الي تغير بسيط فى لون البشرة ، والى انقلاب تدريجى في الصفات الأخرى الجثمانية وفى الاخلاق والعادات والعقائد، وقد يجبر الانسان علي الاحتراف بحرفة تناسب البيئة الجديدة .

كما أننا نلاحظ أن تغير البيئات الاجتماعية كالتصاهر والانتقال من مجتمع الى آخر أرقى أو أقل منه منزلة قد يحدث اختلافا بينا فى الصفات التي أخذها الفرد عن أسلافه ، وإن كان هذا التغير يختلف سرعة وبطء باختلاف الأفراد فى المرونة والجمود لدرجة أن أثره لا يظهر إلا بعد حين .

وإن التاريخ كفيل باعطائنا أمثلة كثيرة تبين صحة هذه الحقيقة، انظر مثلا الى اختلاط العرب بالعجم تجد انه قد أدى الى انقلابات سياسية واجتماعية وأدبية خطيرة في الحياة العربية وأحدث تطورات كبيرة فى المجتمع الفارسى لاسيما من حيث الدين واللغة والسياسة - وهاك مثلا آخر : التقاء الشرق بالغرب وجها لوجه مرتين : مرة فى معاهد العلم في الاندلس، وأخرى فى ساحات القتال أثناء الحروب الصليبية ، ذلك الالتقاء الذى نشأ عنه انقلاب عظيم في أوربة ربما يكون من أظهر نتائجه الأحياء العلمى والاصلاح الدينى اللذان حدثا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر .

ولا أذهب بك بعيدا ، فأننا نرى فى عصرنا الحاضر هذه الحقيقة تعمل عملها بوضوح وجلاء وذلك من جهتين ، فكثير من ابناء وطننا ينزحون الى اوربة طلبا للعلم او الراحة، ثم يرجعون مزودين بالعلوم والعادات والمذاهب الفلسفية والاجتماعية التى نرى لها من الآثار مالا يمكن إنكاره.

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نرى تيار الحضارة الأوربية يندفع الينا يحمله هؤلاء الأجانب الذين ينثالون علينا من كل جانب ، ويجلبون لنا من الاخلاق والعادات والتقاليد الحسنة والقبيحة والنافع والضار، ويعزز ذلك المجلات والصحف التي يحملها الينا البريد من الممالك المختلفة زاخرة بالعلوم وانواع الفنون والآداب ، فنجد أنفسنا أمام ذلك التيار الجارف مندفعين بعامل التقليد نحو التشبه بهولاء الأجانب والتخلق بأخلاقهم والتمسك بالكثير من عقائدهم بعقل وبدون عقل حتى أصبحنا فى حاجة الى ملاحظة قوية لتميز الاجنبي من المصرى.

ولسنا الآن بصدد البرهنة علي أن هذا النوع من نوعى الانتقال والتطور فطرى وضروري في آن واحد ، فقد ترغم الظروف بعض الامم على احداث انقلابات علمية واجتماعية يكون لها آثار حسنة في تغيير ثقافتها وتحويل تيار حياتها بحيث تكون أكثر استعدادا للمقاومة والمنافسة وأقدر على احتلال المركز اللائق بها بين الامم .

أما الانقلاب بطريق الاكتساب الأرادى فيراد به الانقلاب الذى تفرضه الارادة علي الفرد إن كانت هناك إرادة يقودها الفكر الصحيح .

وهذا مشاهد فى الانسان الذى يهذب نفسه بنفسه ويدبر شؤونه على حسب ما تسمح له ظروفه ويسلك الطريق الموصلة الى غايته ويبذل جهده في أن يصير عضواً عاملا فى المجتمع.

وإنما يسعى الانسان هذا السعى ويسلك ذلك المسلك ، لأنه يميل بفطرته لي التقدم، ويجنح بطبيعته نحو النهوض ويعزز ذلك الميل الفطري معيشته فى مجتمع يرغمه علي التنافس كي يحيا حياة طيبة شريفة، غيرأن وجود ذلك الميل الفطرى قد لا يكفى لسعى الانسان نحو التقدم ، فالطفل الصغير تنقصه الأرادة القوية و بعض البالغين تعوزهم التجاريب ولا يعرفون السبل التي يجب سلوكها معرفة تامة فمن العبث في مثل هذه الأحوال أن يترك الانسان فريسة تتعقبه الحوادث ، ولقمة يلتهمها الدهر ،ولعبة في أيدى البيئة تتصرف فيه كيف تشاء ، بل من الواجب علي أفراد المجتمع العالمين المجربين أن يكونوا هداة لأمثال هؤلاء الضالين ، وأدلاء لأبناء وطنهم التائهين، وهذه الهداية لا تتحقق إلا بالتربية.

ومن ذلك نرى أن الانقلاب الأرادى له نوع ثان ، هو الانقلاب الذى تفرضه إرادة المجتمع باتخاذ وسيلة خاصة تسمى التربية.

فالتربية إذن هى وسيلة أو أداة ، مدبرة يقوم بأدارتها الخبراء من أفراد المجتمع، ويكون الغرض منها إعداد النشء للحياة في بيئتهم الخاصة حياة كاملة.

وإن هذه الوسيلة لن تفلح ولن تأتي أكلها إلا إذا كان للأرادة الفردية أثر فعال فيها أى إرادة الفرد لابد أن تساعد إرادة المجتمع مساعدة جدية فعلية في سبيل الوصول الى الغرض المقصود .

وهذه الأرادة البشرية بنوعيها هي العامل الثالث من عوامل تكوين الانسان .

فمن ذلك نرى أن الحياة فى تقلب مستمر وتقدم مطرد ، وإنك لو بحثت عن عوامل هذا التقلب وأسباب ذلك التقدم لوجدتها ترجع إلى ثلاثة أمور هى : الوراثة والبيئة والارادة.

وهذه العوامل الثلاثة فى نزاع دائم وصراع مستمر ، فالوراثة قد تتغلب علي الآخرين كما أن البيئة قد تخضع الوراثة والأرادة لسلطانها ، ولكن الارادة في الأنسان هى أقوى الثلاثة وأشدها أثراً فى حياته ، اذ بها تمكنه السيطرة على العاملين الآخرين ، فيقتدر على تحسين الوراثة ، وإخضاع البيئة وإعداد النشء للانتفاع بما حسن من آثارها ومكافحة ما ساء منهما . والي الارادة يرجع الفضل الأول فى معرفة أسرار الطبيعة وفى اتخاذ هذه المعرفة وسيلة لتسخير عناصرها واستخدامها لمصالحه ولولاها لوقف الانسان حيث بدأ ، أو علي الأقل قريباً من حيث بدأ حياته علي ظهر البسيطة ، ولبقى حيواناً ساذجا لا يمتاز عن غيره من الحيوانات إلا قليلا .

واسنا بمغالين اذا قلنا إن تاريخ الحضارة الأنسانية هو فى الحقيقة تاريخ صراع مستمر بين الارادة البشرية من جانب ، و بين الوراثة والبيئة من جانب آخر

والآن نتكلم عن كل من هذه العوامل على وجه التفصيل : —

الوراثة

قدمنا لك ، أن الوراثة هى ميل طبيعى في الفرع ، لمشابهة أصله في تكوينه الجثمانى ، وفى وظائف أعضائه ، و يعرفها بعض العلماء تعريفا آخر فيقول إنها مشابهة الفرع لأصله .

والفرق الأساسي بين التعريفين هو أن الاول يجعل الوارثة ميلا طبيعيا ، و يعتبر المشابهة نتيجة ناشئة عن ذلك الميل ، أما التعريف الثانى فأنه يقول لنا إن المشابهة نفسها هى الوراثة .

وعندى أن التعريف الثانى أدق من حيث الوجهة اذ أنك اذا قلت إن فلانا أخذ عن أبيه الذكاء بالوراثة فأنك تريد أنه أخذه عنه بطريق المشابهة لا بطريق الميل للمشابهة إذ أن الميل لا يؤدي دائما الى الفعل . والوراثة تعمل عملها سواء أوجد ميل أم لا .

على أن هذا التعريف الثانى ينقص تقييد المشابهة بقيدين ضروريين : —

ذلك أنه لابد من أن نقول إن هذه المشابهة فطرية أو طبيعية ، لأن مشابهة الفرع لأصله لا تأتى عفوا كما أنها ليس لها شواذ ، فكل كائن عضوى يشبه ، اصوله دائما في كل زمان ومكان .

ولا بد كذلك من تقييد المشابهة بكونها مشابهة في أمور خاصة ، إذ أنه ليست كل مشابهة أمرا وراثيا ، ألا ترى أن الطفل يحاكى أباه أو أمه أو أحد أقاربه ، فى أقوالهم وأفعالهم؟ بل إنه قد يحاكي أحد أقرانه أو أحد الاجانب الذين يختلط بهم كثيرا فى بعض صفاتهم؟ فليس من المعقول أن تسمى هذه المحاكاة وراثية في ذاتها ، ولكنها ترجع الى نظرية عامة وقاعدة أخرى هى قاعدة التقليد .

فالمشابهة الوراثية مشابهة فطرية فى أمور خاصة ، وقد أشار التعريف الاول الى هذا التخصيص ، فقيد المشابهة بكونها فى التكوين الجثماني وفى وظائف الاعضاء .

فأذا أضفنا هذين القيدين إلي التعريف الثانى وقلنا إن الوراثة هي مشابهة الفرع لأصله مشابهة فطرية فى تكوينه الجثمانى وفي وظائف أعضائه كان التعريف حينئذ كاملا.

منزلة الوراثة

١ ــ فى علم الحياة . والوراثة بالمعنى السابق أمر معترف به في علم البيولوجيا أو علم الحياة بل إن هذا العلم يجعل للوراثة المنزلة الاولي فى تكوين الكائن الحي ، ولا يكاد يعترف بما

للبيئة والارادة من الآثار بدعوى أن آثارهما لا قيمة لها بالنسبة لآثار تلك . إذ أن ما تحدثه هاتان من تغيير أو تبديل في صفات النشء يكون قاصرا على جيل واحد، إذ أن معظم الصفات المكتسبة بالتربية إن لم تكن كلها لا ينتقل الى النسل بالوراثة كما سيأتي:—

٢ — في العرف والادب فالعلم الحديث يجعل للوراثة المنزلة الاولي من بين عوامل التربية ، وهذا مطابق لعرف الأمم ، فأنك تجد كتب الأدب في كل أمة محشوة بالحكايات والامثال التي يؤخذ منها أن الطبع يغلب التطبع كما يقول ابن خلدون ، و إليك حكاية ذكرها صاحب العقد الفريد :

قالوا إن ملكا من ملوك الفرس كان له وزير حازم مجرب ، فكان يصدرعن رأيه و يتعرف اليمن في مشورته . ثم إنه هلك ذلك الملك وقام بعده ولده معجبا بنفسه مستبداً برأيه ومشورته فقيل له : إن أباك كان لا يقطع امراً دونه (اى دون الوزير) فقال كان يغلط فيه ، وسأمتحنه بنفسي ،فأرسل اليه فقال أيهما أغلب على الرجل الادب أو الطبيعة ؟فقال : الوزير :الطبيعة أغلب لأنها أصل والادب فرع وكل فرع يرجع الي اصله ، فدعا الملك بسفرته فلما وضعت أقبلت سنانير بأيديها الشمع فوقفت حول السفرة ، فقال للوزير : اعتبر خطأك وضعف مذهبك متي كان ابو هذه السنانير شماعا؟ فسكت عنه الوزير وقال: أمهلني في الجواب الي الليلة المقبلة . فقال ذلك لك . فخرج الوزير فدعا بغلامه ، فقال التمس لي فأراً واربطه في خيط وجئني به ، فأتاه به الغلام ، فعقده في سبنيته وطرحه في كمه ثم راح من الغد الي الملك ، فلما حضرت سفرته أقبلت السنانير بالشمع حتى حفت بها فحل الوزير الفأر من سبنيته ، ثم ألقاه اليها فاستبقت السنانير اليه ورمت بالشمع حتى كاد البيت يضطرم عليهم نارا فقال الوزير : كيف رأيت غلبة الطبع على الادب ورجوع الفرع الى أصله؟ قال صدقت ، ورجع الي ما كان عليه أبوه .

وحكي السعدى الشيرازى الكاتب الفارسي الشهير ، والشاعر الاخلاقى الخطير ، فى كتابه المسمي كلستان (أي روضة الورد) إن طائفة من لصوص العرب كانوا يقيمون على قمة جبل وكانوا يسدون الطرق في وجوه القوافل ، فأخذ الرعية الرعب من مكائدهم وتغلبوا علي جيش سلطان تلك الناحية، لأنهم كانوا في مكان منيع وحصن حصين من المستحيل على الجند الوصول اليه .فتشاور أولو الامر فى كيفية الخلاص من هؤلاء ، لأنه إذا استمر حالهم علي هذا المنوال فأنه يصبح من المستحيل مقاومتهم، اذ أن معظم النار من مستصغر الشرر ومن السهل على شخص واحد استئصال الشجرة الحديثة العهد بالغرس ولكن اذا تركت دهرا طويلا ، فأنه لا يمكنه ذلك ، والسيل عند منبعه قد لا يبل الرداء ،ولكن اذا ترك فقد يملأ الدلاء والدلاء .

وأخيرا قر قرار أرباب الدولة على أن يعهدوا الى رجل بتجسس أحوالهم وتحين فرصة ذهابهم لشن الغارة علي غيرهم من الناس فيذيع الخبر و يعلم امراء الجند، فيتخيرون فريقا من أشدهم خبرة وعلماً بخدع الحرب ومكان الجبال ، فيرسلونهم ليختفوا في شعب الجبل ، فذهب الرجل والجنود واختفوا حتى اذا جن الليل ورجع اللصوص من غارتهم و ألقوا غنائمهم وأمتعتهم ونزعوا أسلحتهم واضطجعوا واستسلموا لسلطان النوم ـ ذهب الخبر الى الجنود فوثبوا عليهم من مكامنهم وثبة رجل واحد، وشدوا وثاقهم و ربطوا أيديهم علي ظهورهم ،ثم أحضروهم صباحا بين يدى السلطان فأمر بهم أن يقتلوا جميعاً.

واتفق أن كان من بينهم غلام حديث عهد بالشباب لم يطر شاربه ،ولم ينبت عزاره، فتقدم أحد الوزراء وقبل قوائم التخت بين يدى السلطان، وألقى بوجهه على الارض شافعاً لهذا الغلام الصغير وقال: أيها السلطان الكبير والملك الخطير إن هذا الشاب لم يأكل بعد من روضة الحياة ولم يتمتع بعنفوان الشباب وإني أرجو من كرم السلطان ومحاسن شيمه أن يمن عليه بدمه.فغضب السلطان لذلك وكاد يتميز من الغيظ ، وقال أيها الوزير إن نور الاخيار لا يهبط على الاشرار وتربية الانذال كوضع بندقة على سطح كرة ، فمن الأولى أن نقتلع دابر هؤلاء المفسدين ،وأن نقضي علي ذريتهم الملاعين ، ومن الأحسن أن نقتلع جذورهم ونهدم بنيانهم من أساسه ، فليس من الحزم أن نخمد اللهيب ونترك الجمرة متوقدة ، ولا من العقل أن نقتل الحية ثم نبقى علي نسلها .

وإن السحب إذا أمطرت ماء الحياة فلن تطعمك من الصفصاف فاكهة شهية ، فلا تضيع وقتك مع من انحطت قيمتهم فأنك لن تجنى الورد من الشوك(ولن تخرج السكر من أعواد الحصير)

فلما سمع الوزير كلام السلطان استحسنه وأمن عليه طوعا وكرها ، ثم قال: إن ما قاله السلطان أدام الله ملكه هو عين الصواب ، ولكن هذا الشاب أخذ عن هؤلاء الاشرار صفاتهم بنشأته بينهم فأصبح واحداً منهم ، وإن خادمكم المطيع يأمل أنه بصحبة الصالحين يتلقى دروس التربية ويأخذ عنهم آدابهم ، ويصبح طبعه مثل طبعهم ، لأنه لا يزال طفلا لم تتمكن في نفسه أخلاق البغي وصفات العناد التى اتصف بها هؤلاء الأنكاد ،ففي الحديث «ما من مولود الا و يولد على فطرة الاسلام ، ثم أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »

ألا ترى أن امرأة لوط أصبحت شريرة بمصاحبة الأشرار فحكم الله عليها بالعقم وانقطعت ذريتها ولم تكن من أمهات الانبياء؟وأن كلب أصحاب الكهف بمصاحبته الا ردح ن الزمان واقتفاء أثر الصالحين السنين الطوال صار كرجل من الاخيار ؟

فلما انتهى الوزير من هذا الحديث أقبل طائفة من ندماء السلطان وأضافوا أصواتهم الى

صوته في طلب الشفاعة من السلطان فيمن بدم الشاب للوزير ، وقال إني واهب لك حياته مع أني لا أرى فى ذلك مصلحة ثم أنشأ قائلا :

هل تدرى ماقاله الملك زال لرستم أمير جنده ؟ لا ينبغى أن تعد عدوك حقيراً أوضعيفا ، إنا نستصغر الماء وهو ينبع من منبعه ، ولكنه اذا عظم حمل الجمال والأحمال فى طريقه .

و بالاختصار حمل الوزير ذلك الغلام الى بيته وتعهده ، وأدر عليه الخير والنعمة ، وعهد بتربيته إلى أستاذ أديب كي يعلمه حسن الخطاب ولطف الجواب وسائر الآداب التى تتطلبها خدمة الملوك ، وما زال به حتى أدبه وأحسن تأديبه وحازت أخلاقه استحسان الجميع ، وقد حدث ذات مرة أن كان يتكلم الوزير بحضرة السلطان عن حسن أخلاق الغلام ، فيقول إن تربية العقلاء قد أثرت فيه وأذهبت عنه طبيعته وضلاله القديم فتبسم السلطان وقال :

غذيت بدارنا ونشأت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء فليس بنافع أدب الأديب

أى أن ابن الذئب يصير ذئباً ولو نشأ بين بنى الانسان .

و بعد مرور عام وآخر على ، ذلك اتصل الولد بطائفة من أو باش ذلك المكان ، واتصلوا به ، وقويت بينهم المودة واشتدت أواصر الأخوة ، ففى يوم من الايام وجد الفرصة سانحة له لارتكاب الجرائم ، فقتل الوزير وولديه وحمل من متاعه ما لايحصي وذهب الى غارة اللصوص وأقام حيث كان يقيم أبوه ، وأصبح من العصاة المجرمين ، فلما بلغ ذلك السلطان قرع سن الندم وعض على أنامله غيظاً ثم قال شعراً معناه :

كيف يصنع حسام قيم من حديد بليد
ما ليس برجل لا يصير رجلا بالتعليم ياحكيم

إن المطر الذى لا يختلف اثنان فى لطافة طبعه ورقة مزاجه
يسقى الشقائق في الحدائق والحشائش فى الارض المجدبة

وإن الارض المالحة لا تخرج السنبل فلا تضيع بذور العمل الصالح فيها سدى
والعمل الصالح مع الاشرار كالعمل السيء مع الاخيار
ووضع الندا فى موضع السيف بالفتى مضر كوضع السيف فى موضع الندا

هذه هى الحكاية ، ومهما يكن فيها من مبالغة أو انتحال ، فأنها ولا بد تعطينا صورة واضحة من عقلية الكاتب - الذى يعده مواطنوه والمستشرقون من أوربة ، من أكابر المفكرين ومن أساطين الاخلاقيين فى عصره ، و يبرهن على ذلك ما كتبه في كتابيه (الكلستان) السابق الذكر (والبوستان) وما ذكره في حكاياته .

وليس التاريخ الحديث وآداب العصر بأقل حظا من الأمثلة والحوادث التى تبرهن على تغلب الطبع على التطبع أو الوراثة على التربية، فقد روى أن أحد علماء أمريكا الذين ينتمون إلى جمعيات الرفق بالانسان أنه واسى شخصاً من قبائل الزنوج يسمى فيليبنو بدريتو Felipino Pedrito ورباه تربية حسنة وعلمه لغات عديدة ، ولكن ثقلت عليه وطأة المدنية فلم يلبث أن هجر العالم المتحضر واختفى عن الأعين، ثم عثر عليه عالم الماني وهو مقيم بين قومه وعشيرته يحيا حياتهم و يعيش معيشتهم الوحشية الساذجة .

و يشبه ذلك ماروى عن طائفة ميمى Meme ومن معه من الأقزام الذين أحضرهم بيرى Peary من أقاصى الجهات الشمالية إلى نيويورك فماتوا جميعا بالسل ولم يبق منهم إلا ميمى هذا الذى لم يأبه بالحضارة الامريكية فهجر نيويورك ورحل إلى موطنه الأصلى ناقما على المدنية آسفا على والده الذى مات مع من ماتوا وحنطت جثته وأودعت متحف التاريخ الطبيعى بنيويورك .

وما أصدق قول كارليل « ما التمدين إلا غشاء رقيق تظل تحته الطبيعة البشرية تحترق إلى الابد بنار جهنمية » .

وهذا يشبه قول المستركلد في كتابه تم تت تت Tom Tit Tot «انك إذا أزلت الغشاء الظاهرى للانسان المتمدين لوجدت فى الغشاء الباطنى الانسان المتوحش » .

وما أحسن قول اللورد بيرون فى هذا الصدد :

« نعم إن ابنى هو ابنى وهو منسوب إلى، ولكنى أرى أجداده الماضين غبر البشرة ينازعوننى فى هذا الملك العزيز لدى، فانهم يشوهون طهارة نفسه، ويكدرون صفاء روحه بما رسب فى أعماقها من نزعات شريرة مجهولة انتقلت اليه بالوراثة »

ولا نذهب بك بعيداً فان فى القرآن الكريم آيات كثيرة تشير إلى ما للوراثة من منزلة، فقد قال الله تعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام « رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً »

وقال تعالى حكاية عن سيدنا يوسف عليه السلام « وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء الا مارحم ربى » وقال أيضاً فى شأن من ضعفت نفوسهم لدرجة أنه لاينفع فيهم الوعظ والارشاد « إنك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء».

وستتاح لى فرصة فيما بعد للكلام على حديثين شريفين متعلقين بالوراثة هما قوله (ص) (تخيروا لنطفكم فأن العرق دساس) وقوله (إياكم وخضراء الدمن. قالوا: وماخضراء الدمن يارسول الله؟ قال : المرأة الحسناء في المنبت السوء)

وسنتناول البحث فى تعليل الوراثة و فى قوانينها وفي الفرق بين الصفات المكتسبة والصفات الوراثية في عدد آخر ان شاء الله تعالي

حامد عبد القادر

لسان الدين بن الخطيب

للبحاثة الكبير الشيخ أحمد الإسكندرى

استاذ الأدب العربى بدار العلوم

«لسان الدين الخطيب آخر شاعر نابه من شعراء الاندلس، وأول شاعر فى الاسلام قتله أعداؤه وحرقوا جثته، ومثلوا به ميتا. وقد استطاع الاستاذ الجليل الشيخ أحمد السكندرى أن يترجم حياته. و يحلل آثاره الشعرية فى أسلوب علمى دقيق، وكان من فضله أن يخص قراء (المعرفة) بهذه الثروة الادبية الضافية. وما من ريب فى أن (المعرفة) حين تشكر للاستاذ ذلك التفضل انما ترجو أن يكون لقرائها من ذلك اللون الطريف فى دراسة الشخصيات قدوة يتأثرونها واسوة يحتذونها»

المحرر

نسبه ومنشؤه

هو ذو الوزارتين الأديب الكاتب الشاعر الفقيه المتطبب المتفلسف المؤرخ أبو عبد الله محمد لسان الدين بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد الخطيب السلمانى. وسعيد الجد الأعلى أول من تلقب بالخطيب واشتهر أولاده ببنى الخطيب، وسلمان بطن من مراد من اليمانية نزلوا بعد الفتح بقرطبة، ثم أجلاهم الأمير الحكم الأموى عنها مع من أجلى من الأعلام عند وقعة الربض المشهورة فنزلوا طليطلة، ثم تشتتوا فى أواسط الأندلس حتى نزل أعقابهم ببلدة «لوشة» على مرحلة من غرناطة شمالا، ثم نزل سعيد الجد الأقرب للمترجم حاضرة «غرناطة» فحظى عند سلطانها، ونشأ له ابنه عبد الله أبو المترجم، فاستخدم لبنى الأحمر على مخازن الطعام وكان أديباً متطبباً واستشهد هو وابنه أخو لسان الدين فى الكارثة العظمى التى أنزلها الاسبان بجيوش المسلمين من دولتي بني مرين وبني الاحمر على ظاهر طريف سنة إحدى واربعين وسبعمائة.

ولد لسان الدين بغرناطة فى الخامس والعشرين من شهر رجب عام ثلاثة عشر وسبعمائة ونشأ على حالة حسنة فحفظ القرآن الكريم وجوده. وقرأ العربية على أستاذ الجماعة «أبى الحسن الفيجاطي» والخطيب «أبى القاسم بن جزى» ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الشيخ الامام «أبى عبد الله بن الفخار الألبيرى» شيخ النحويين لعهده، وتأدب بالرئيس «أبى الحسن بن الجباب» وأخذ الطب والفلسفة عن الامام «أبى زكريا يحيى بن هزيل» وتخرج فى كثير من العلوم.

تصرفه وخدمته في دولة بني الاحمر :

كان لسان الدين بن الخطيب فى حياة أبيه عالى الدرجة فى مناصب الدولة ، نافذ الامر والنهى، فولاه سلطانه أمير المسلمين «أبو الحجاج يوسف بن الاحمر » بانى الحمراء كتابة سره ولما يستكمل الشباب معززه بقيادة الجيوش، ثم تولى وزارته بعد استاذه ابن الجياب . واستعمله في السفارة الى الملوك ، واستنابه عنه بدار ملكه ، ورمى الى يده بخاتمه وسيفه ، واستأمنه على صوان حضرته ، و بيت ماله ، وسجون حرمه، ومعقل امتناعه ، فنهض بأعباء كل أولئك خير نهوض الي أن قتل سلطانه أبو الحجاج غيلة ، قتله أحد المغرورين وهو يصلى صلاة عيد الفطر سنة ٧٥٥ . فولى أمر الملك إبنه الاكبر أبو عبدالله محمد ، وكان له من أبيه أخوان شقيقان : أكبرها «اسماعيل» والاصغر «قيس» فألزم اسماعيل وأمه قصراً من قلعة الحمراء بقرب قصره مرفها عليه ، متممة وظائفه له، وكان لاسماعيل صهر من رؤساء بيت الملك فسعى له في الاستيلاء على ملك أخيه والتف عليه نحو مائة من ذؤبان الرجال . فانتهزوا فرصة تحول السلطان محمد وولده الي دار له في بستان خارج قلعة الحمراء للرياضة وترويح النفس . فتسوروا القلعة ليلا من جهة لم يكن تم بناؤها ، وقتلوا الحراس والحجاب وأطلقوا اسماعيل . وملكوا منافذ القلعة ، فوجد طرقها قد أخذت عليه ، وتضج بالسهام والحراب فلم يطق المقام . ونجا برأس طمرة ولجام ، فصبح بمدينة وادي آش فدافع عنه أهلها نحو شهرين ، ثم ضعفوا لمبايعة أكثر البلاد اسماعيل محمداً . فأتاه رسول صاحب المغرب أبو سالم المريني مستدعياً له الى حاضرة « فاس » فذهب اليه فأكرم مثواه .

نكبته الاولى

وقبض اسماعيل على لسان الدين واستصفى أمواله وعقاره فاستشفع له صاحب فى إطلاقه والاذن له فى الذهاب الى المغرب ، فأطلقه فذهب الى «عدوة »المغرب وتلقاه سلطانها بالقبول فأقام بالمغرب ردحا من الزمن يسبح فى بلدانه ثم ألتى العصا بمدينة «سلا» منتبذاً عن سلطانه المخلوع الى أن اضطرب فتل اسماعيل ، واستبد عليه صهره بالملك . فانتشرت الفتنة فى الاندلس وخرج علي هذا الرئيس « عثمان بن يحي » شيخ الغزاة، ودعا المخلوع ومن جلا اليه من أهل الاندلس لاستنقاذ البلاد ــ ولما لم تكن لهم قاعدة حربية بالأندلس يبثون منها الدعوة . و يزكون نار الثورة . استنزلوا صاحب « فاس » عن مدينة « رندة » بشفاعة ابن خلدون المؤرخ . ومنها غزوا « مالقة » فاستولوا منها علي « غرناطة » واسترد محمد ملكه ، وهرب اسماعيل وأخوه بالاموال والنفائس الي ملك « قشتالة » فغدر بهما وقتلها وأخذ أموالها .

وبعث محمد في طلب أهله ومخلفاته فى فاس فأرسلت مع « ابن الخطيب » اليه ففرح السلطان محمد بقدومه ورد اليه مناصبه ومكانته من الدولة . إلا أنه رأى ثمة منافساً عظيما له عند السلطان هو شيخ الغزاة « عثمان » فما زال يكيد له ويحذر السلطان بطشه حتي قبض عليه وأهله وأودعهم السجن ثم نفاهم عن البلاد . وخلا لابن الخطيب الجو ، وغلب على هوى السلطان وانفرد بالحل والعقد . فغصت به بطانة السلطان وحاشيته وخاصة « ابن زمرك » تلميذه وقد كان تولى الكتابة لابن الاحمر قبل قدومه — فتفننوا فى السعاية به ، وما زالوا بالسلطان حتي أحفظوه عليه .

نكبته الثانية

فلما أحس (ابن الخطيب) منهم الشر ، أعمل الحيلة فى الفرار الى السلطان (عبد العزيز) صاحب المغرب بتلمسان . وكان قد استدعاه اليه سراً من قبل ، فاستأذن سلطانه فى الذهاب لتفقيش بعض السواحل ، ومن هناك عبر الى المغرب فتلقاه صاحبه بالترحيب ، وخاطب ابن الأحمر فى إرسال أهله وولده إليه بالمغرب فبعث بهم اليه ، إلا أن ابن الخطيب جد فى ترغيب عبد العزيز بانتزاع ملك الأندلس من بنى الأحمر ، وعلم بذلك السلطان محمد بن الأحمر ، وطلبت إليه بطانته أن يعجل بنكبة ابن الخطيب قبل أن يستتم مراده وينفذ تدبيره ، وأخذوا يكيدون له كيداً ، فبعث ابن الأحمر إلى عبد العزيز قاضيا من قضاته الى المغرب لمحاسبة ابن الخطيب ومقاضاته على ألفاظ وقعت منه فى كتاب « المحبة » توجب الكفر ، وطلب حكم الله فيه ، فصم عبد العزيز عن ذلك ، وأنف أن يخفر ذمته ، وقال لهم : (هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ؟) إلا أن السلطان عبد العزيز مات وخلف صبياً صغيراً ولاه وزيره ابن غازى الملك فخاطبه ابن الأحمر بمثل ما خاطب الملك المتوفى ، فأغلظ الرد ، فجرد ابن الأحمر جيشا لاجتياح بلاد السواحل التى لهم بالأندلس ، وأوعز إلى أحد أمراء بيت الملك من (بني مرين) أن يطالب بالملك ، وساعده فى ذلك على شرط أن يتخلى عن أملاك (بنى مرين) بالأندلس وأن يسلمه ابن الخطيب ، وأرسل لتأييده جيشا أندلسيا ، فتم للتأثر أمره ، وبويع سلطانا على المغرب ، وهو (أبو العباس أحمد المرينى) وقبض على ابن الخطيب بأمر سليمان بن داود بن زمرك سفير بنى الأحمر فأحضر في « المشور » فى مجلس الخاصة ، وعرض بعض كلمات وقعت له فى كتابه فى (المحبة) فعظم النكير عليه فيها ، ووبخ ونكل به وامتحن بالعذاب ، يشهد ذلك الملأ ثم نقل الى محبسه واشتوروا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه ، وأفتى بعض الفقهاء فيه بكفره ، ودس سليمان بن داود لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله . فطوقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاءوا فى لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر وقتلوه خنقا فى محبسه وأخرج

شلوه من الغد فدفن ، ثم نبشه السفهاء من قبره وجمعوا له حطبا وأضرموا عليه النار فاحترق شعره واسود جلده فأعيد الى حفرته ! وكان فى ذلك انتهاء محنته ، وعجب الناس من هذه الشنعاء التى جاء بها سليمان القائد وعدوها من هناته . وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه ودولته (١) وكان قتله سنه ٧٦٦ هـ .

ذكاؤه

كان ابن الخطيب أمة فى الذكاء وتوقد القريحة . ولا أدل على ذلك من نفوذ خاطره ونبوغه فى كثير من العلوم والصناعات: مابين معقول ومنقول ومشهود ، وتفوقه على الأتراب والأقران في الاضطلاع بسياسة الملك ونجاحه فى سفاراته الى ملوك المغرب وملوك الاسبان وهو بعد شاب لم يكتمل شبابه حتى أعقب ذلك فيه شدة الأرق فقضى أكثر حياته لا ينام الليل إلا غراراً – على براعته فى الطب – حتي لقب بذى الحياتين، كما كان يلقب بذى الوزارتين وكما لقب بعد موته بذى القبرين لدفنه مرتين، ومع هذا الأرق الدائم لم ينحرف مزاجه وبقى سليم الحواس الظاهرة والباطنة، وأكثر مؤلفاته إنما دبجتها براعته فى سكون الليل ،وخص النهار بتدبير شئون مملكة تكالب عليها الأعداء ،فهى منهم بالمقيم المقعد من تعبئة جيوش وارسال امداد وسفارات الى ملوك المغرب وأفريقية لاستنجادهم، وكيد للخصوم، ودفع لمكايدهم وتأثيل لثروة ، وإنشاء لقصور و بساتين ، مما لا ينهض بأعبائه إلا افذاذ الرجال وقليل ماهم.

أخلاقه

وكان ابن الخطيب عالى الهمة محباً للاستئثار بعالي الامور ومناصب السلطان والانفراد بالمجد ، وقد حمله ذلك على المركب الصعب فى حياته، فأدى ذلك إلي الافراط بالجد في العمل وتحصيل العلم حتى برز فى علوم وصناعات شتى حتي الطب ، وحتى التصوف ! ودفعه إلى مصاولة كل عظيم يتوهم أن يزاحمه عند السلطان في الجاه والرياسة، وعند الناس فى ذيوع الصيت ورفعة المنزلة ، فكان يكيد لهم عند السلطان حتى يجفوهم ، أو ينفيهم من بلاده ، أو يقلقوا هم من مكانهم فيزايلوا البلاد خشية نزول مكروه بهم . فأذكى نيران العداوة بينه و بين كثير من أهل الفضل ، فلم يألوه كيداً وسعاية ، ولم يألهم هو تجريحا وتعجيزاً وسباباً وهجاء وتجرد من نصفتهم فى تراجمه لهم فى كتبه علي عكس إطنابه و إغراقه فى تقريظ أوليائه وصنائعه – فلم يكن مؤرخا عادلا فى حكمه . وممن نكبهم بسعايته عند ابن الاحمر « الغنى بالله محمد » شيخ الغزاة ،والمجاهدان « عثمان » وأبوه « يحيى » . وعثمان هذا هوالذى قام بنشر الدعوة

---

(١) عن ابن خلدون ملخصا

إلى إرجاع السلطان محمد إلى ملكه ، وقاد الجيوش على « مالقة » و « غرناطة » حتى فتحهما وأسقط اسماعيل وصهره المستبد عليه عن عروشهما ، وممن أقلقهم وأقض مضجعهم عن الاقامة بالأندلس ، صديقه الذى استدناه إلى الأندلس – ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون المؤرخ المشهور – عند مارآه ينبل فى عين ابن الاحمر ، لوفرة علمه وأدبه وحسن تهذيبه وتوفقه فى نجاح سفارته عند ملك « قشتالة » (١)

ومن أخلاقه ما يخلق به أن يسمى منه رياء ، وهو انتحاله مذهب المتصوفة والزهاد والوعاظ فى كثير من رسائله وتآليفه ، وخاصة فى كتاب « المحبة » حتي لا تكاد تميز بين كلامه فيه ، وكلام أمثال شيوخ القوم من المغاربة : كابن عربى ، والقشيرى ، وأبى مدين – على رغبة شديدة فى تأثيل الثروة ، وترقية العيش ، وتولع بانشاء القصور وغرس البساتين – حتى في أيام نكبته ودار غربته ونشاط أعدائه فى الكيد حتى نعوا عليه ما أنشأه من الضياع والقصور والبساتين فى ظاهر مدينة فاس وأرباضها قبيل القبض عليه فى نكبته التى كانت فيها نفسه – وعدوا ذلك غفلة منه عن حوادث الزمان وأمنا لمكر الله .

وقد كتب القاضي ابن الحسن من أعيان « مالقة » من كتاب مطول بعث به الي ابن الخطيب بعد تحوله عن الاندلس الى فاس :—

« ... فشرعتم فى الشراء وتشييد البناء [illegible] ادلهادم اللذات . هيهات هيهات : تبنون ما لا تسكنون ، وتدخرون ما لا تأكلون ، وتؤملون ما لا تدركون . أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة . فأين المهرب مما هو كائن ؟ ونحن انما نتقلب فى قدرة الطالب شرقتم أو غربتم ، والايام تتقاضى الدين وتنادى بالنفس الفرارة الى أين ؟ الي أين ... »

على أن لسان الدين نفسه يعظ غيره بأشد مما وعظ به ، كقوله :—

« ... وانتم تدرون انكم فى أطوار سفر لا يستقر دون الغاية رحله ، ولا يتأتى معها إقامة ولا مهلة من الاصلاب ، الى الارحام ، الي الوجود ، الى القبور ، الى النشور ، الى احدى دارى البقاء . أفى الله شك ؟ فلو أبصرتم مسافرا فى البرية يبنى ويغرس ويمهد ويعرس ، ألم تكونوا تضحكون من جهله وتعجبون من ركاكة عقله ؟ ووالله ما أموالكم ، ولا أولادكم وشواغلكم عن الله التى فيها اجتهادكم الا بقاء سفر فى قفر ، أو إعراس فى ليلة نفر ، كأنكم فيها مطرحة تعبر فيها المواشى ، وتنبوعن خيرها المتلاشي . انما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم »

« يتلى » احمد السكندرى

(١) ذكر ذلك ابن خلدون فى سيرة حياته فى الجزء الثامن من تاريخه

الشخصيات البارزة التي عرفتها

بقلم الكاتب الالماني اميل لدويج

عربها بتصرف الاستاذ محمد أمين حسونه

« يزور الكاتب المؤرخ اميل لدوفج مصر فى الشهر الحالى ليضع مؤلفه النفيس عن وادى النيل . وقد رأينا بهذه المناسبة أن ننقل الى قراء (المعرفة) مقالا نشره بمجلة Current History الامريكية عن الشخصيات البارزة التى أتيح له معرفتها وسبر غورها »

خطر ببالى ذات شتاء أن أمضى شطراً منه فى منطقة الألب لأستمتع بدفء ولذة الجبال في أوقات الشتاء ، وكان مما استرعى نظرى هناك ، وفى منطقة « التيرول » تلك الكنيسة الفخمة الواقعة على الرابية المشرفة على جبال الالب ، والتى اشتهرت منذ القرون الوسطى ، بأثرية ناقوسها وفخامته ، فلما خطر ببالى زيارته صعدت الى القبة للتفرج عليه ، فتملكتنى الدهشة والعجب . . إذ كيف أن صورة « لشيلر » يعلقونها إلى جانب صور القديسين الأبرار كتذكار لمقطوعته الخالدة « نشيد الناقوس » ؟ « شيلر » الكاتب الشاعر عدو الكنيسة الكاثوليكية ، يجعلونه رمزاً للقداسة والخلود ؟ ولكن لا عجب فشهرته كشاعر ومخلد لذكرى « ناقوس الكنيسة » هى التي حدت بهم إلى وضعه فى مثل هذا الموضع الذى يرتكز عليه . وهكذا تكون الشهرة حامية للاغلاط . إن غلطة « كوك » المشهورة رفعته إلى مصاف العظماء ، وقذفت باسمه الى أول قائمة المكتشفين خالدى الذكر ، ولم تكشف لعبته إلا بعد مرور فترة طويلة من الزمن .

إذن فالشهرة ليست بمعناها المعروف « العظمة » . فأن شهرة الانسان لا تهدينا إلى تقدير مناحى عظمته فى ثوبها الحقيقى ، وإلا كان من حقنا أن نفاخر « بشارلى شبلن » عن « برجسون » مع أننا كمؤرخين في عنقنا دين تجب تأديته للاجيال المقبلة ، هو تصحيح الأخطاء التي تلابس أولئك الذين يستحوذون على الشهرة من طريق المخادعة ، ومع كل فهناك أسماء كثير من الرجال حازوا الشهرة والعظمة معاً ، وكان تاريخ شهرتهم كسجل للحوادث التي وقعت في عهدهم . كرمبراند ، وواشنجتون ، ونابليون ، وجوت . إذ أن تاريخ كل فرد من هؤلاء يهدينا إلي تاريخ عصورهم . وتأثير البيئة التى نشأوا فيها فى تكوين عظمتهم ونبوغهم الفذ .

وقديما ذكروا انه ليس من حق الانسان ان ينعت نفسه « بالسعادة » وهو لا يزال حيا يرزق ! ! فاذاً جاز لنا ان نحكم بأن حياة الانسان إن هى الا رواية تمثل مشاهدها على المسرح

في مكنة « فصل خامس » منها أن يطفىء أنوار فصول أربعة سبقته ، ومن المحتمل أن تكون هذه الفصول الأربعة اشد روعة وتأثيراً من الفصل الخامس . وعلى ضوء هذه النظرية لا يمكننا أن نحكم على رجل ما، ولا أن ننعت رجلا ما اشتهر فى حياته بالعظمة ، ولا أن نخلع عليه هذا الثوب مادام حيا ، فربما كان فضفاضاً عليه ، وربما حدث فى أخريات ايامه ماجعله يشوه هذه الصفحات الناصعات التى تكون قد ملأناها حمداً وثناء عليه.

إن سرعة انتشار الأخبار تمكننا من معرفة اسم أى رجل اشتهر فى أقل من لمح البصر فاسم « ليندبرغ » قاهر الجو، عرفه فى ليلة واحدة خمسمائة مليون شخص من اقاصى منشوريا الي جنوب افريقيا واستراليا . كذلك كان الأمر « لكوك » حين نسب لنفسه اكتشاف القطب الشمالى ولو أن خدعته عرفت فيما بعد ، ولكن بعد فوات الفرصة وبعد ان رسخ اسمه في قلب كل انسان كمكتشف خالد الذكر ! !

إن الآلة التى تخرج لنا العظماء اليوم غيرها قبل خمسين عاما مضت،فليس الرجل العسكرى هو الذى ينال إعجاب الشعوب فى هذا الجيل او فى الاجيال المقبلة ، أو ان من حقنا تدوين اسمه فى سجل العظماء كما فعل قيصر ، ونابليون ، والاسكندر ، كلا !! إن الشعوب اصبحت لاتتهافت على معرفة اسم القائد المنتصر فى الميدان ، ولكنهم يتساءلون عن اسم الآلة الجهنمية التي احرزت التغلب ، وخفقت فوق ربوعها بنود النصر . خذ اسم الماريشال هيندنبرج مثلا فليس يتطرق الى الذهن ان شهرة اسمه راجعة الى عظمته الحربية وحدها ، بل لذلك الاعتقاد السائد فى النفوس ، وهو اعتباره « كأب للشعب » وأنه رجل الساعة فى المانيا . والاعجاب اليوم لا يحوط الجيوش الظافرة في ساحات الوغى ، وانما يحوط ذلك «الجندى المجهول» الجامع لرفات الانتصار والانكسار ،حتى إن الزهور وباقات الرياحين اصبحت تقدم اليه من اكبر الملوك الى احقر طبقات الدهماء كدليل على الاحترام ! !

ان اسماء وشهرة كبار القواد الذين خاضوا غمار الحرب الماضية ، وكان النصر حليفهم فى المعارك الكبرى ، قد تضاءلت وكادت تتلاشي . كذلك سيكون الامر مع بلسودسكي ومصطفى كمال وموسوليني ، فسوف يصبح اسم كل منهم خرافة سائدة فى افواه الاجيال المقبلة . إنك لاتعلم مقدار مايحيط بكل بطل منهم من الخرافات والاعتقادات الباطلة لدى أممهم، لقد رفعوهم الي مافوق مصاف الآلهة والقديسين .

من يحرز الشهرة اليوم ؟ إن رجال الالعاب الرياضية وابطال الملاكمة هم وحدهم الذين يسودون الشهرة دون غيرهم ، كذلك نجوم السينما : اما الاولون فلأن الجماهير تساهم بقسط وافر من الشهرة التي يحرزونها ، وذلك من طريق المراهنات فى مبارياتهم، واما رواد السينما فيشاطرون ايضا في الأعجاب بالكواكب التي تظهر علي الشاشة الفضية بملابسها الزاهية .

ولأن هؤلاء وهؤلاء يملأون فراغ قلوب الجماهير بالعطف عليهم فى كل آن ، ولأن ملامحهم وصورهم مطبوعة فى كل قلب وفي مخيلة كل ناشيء بفضل الصحافة المصورة التي تمهد لهم سبل الشهرة عن طريق الدعاية . إن كاروزو كان أشهر من غيره من المغنين فى الزمن السالف لفضل « الفونغراف » فى تخليد صوته .

إن مهمة المؤرخ دقيقة وعسيرة فى هذا العصر ، فالمؤرخ لايعتمد على الشهرة وحدها في تدوين العظمة كشهرة ، وإنى كواحد من ابناء هذه المهنة ، لا يحق لى مطلقا ان أخدع نفسي وقرائي باثبات الشهرة كعظمة ، اني لا أجد الآن موسيقيا بعد « مولر » واذكر « ليبرمان » فى أول قائمة الفنانين العالميين ، واسائل نفسي وقرائى عن « كاتب القرن الحالي » الذى يحق له احراز هذا اللقب الجليل والذي له الفضل فى تربية ملكة الذوق لجيلنا الحاضر فلا أجد غير « برنارد شو » كما كان فولتير كاتب القرن الثامن عشر . نعم ان هناك كتابا وشعراء يفوقون « شو » سواء في قوة الاخراج أو متانة الابتكار والتراكيب ، وأذكر منهم دانتزيو ، وأبمان ، وورولان ، ومان ، وهمسون . ولكن « شو » قد أثر بتعاليمه ومداعباته واستهزائه على لب القارىء أكثر من سواه .

واذا خطر ببالنا ان نتكلم عن السياسة. حق لنا أن نقول بأن رجالها قد احتضروا واختفوا من الأفق سراعا، ويلسن ، ولينين ، وكليمنصو ، اما «لويدجورج » فشيخ رجال السياسة الحاليين «وموسوليني» اخطرهم واصغرهم ، ولكن اذا تحدثنا عنه كسياسى أيحق لنا ان ننعته بالبطولة الخالدة ، والعظمة الحقة ؟ كلا ! ! ان الحكم المستقبل وحده. وموسوليني اليوم يؤدى دوره علي خشبة المسرح ، فقد انصبت الانوار عليه من كل جانب فأخفت الرتوش و «المكياج» الذى يخفى شخصيته الحقيقية تحته والتي تظهره أمام الجماهير فى ثوبه الخيالى كمعبود للشعب . انه لا يزال في الفصل الثالث من الرواية التي تعهد بالقيام بدور البطل فيها ، وليس لأحد ان يتكهن عما اذا كان الستار سيسدل عن تصفيق واعجاب او استهزاء بتمثيله.

واذا ذكرت سياسى الجيل الحاضر فاني اتحدث عن «فينز يلوس »اليونانى« وما زاريك» التشيكوسلوفاكى: فالاول سياسى محنك ، والثانى حكم بنى وطنه لعشرين عاما خلت، كما ان الزعماء السياسيين المضطهدين — لسان حال الشعوب المظلومة — قد احرزوا الاعجاب بمبادئهم الاشتراكيه : وضربوا أحسن الامثال لأممهم فى التضحية، وأخص منهم بالذكر« مكسويني » محافظ كورك الذى ذهب ضحية الاخلاص، «وغاندى» رجل الهند — بل الشرق — الوحيد.

نترك ذلك جانبا لنتحدث عن رجال العلم والصناعة . فالجيل الماضى كان حافلا بهم ، ما جيلنا الحاضر فمفتقر الى الكثير من شخصياتهم البارزة — فانه لا يوجد اليوم علماء للآثار القديمة جديرون بأحراز هذا اللقب الجليل ، حتى ولا فلاسفة ، ولا مؤرخون يستطيعون أن يرووا ظمأ الجماهير المتعطشة الى نظريات حديثة ، ولا علماء في الأقتصاد

والتشريع كعلماء القرن الماضي من الانجليز أو الالمان .

إن عالمنا اليوم لا عمل له سوى الجمع بالنسبة الماضي، والتمهيد بالنسبة للمستقبل : ومع كل فهنالك شخصيات برزت في بعض الصناعات التي يفتقر العالم اليها . «فبركاند» و «آيد» النرويجيان انتشلا شعوبا من شر المجاعات باقدامهما على استخراج النيتروجين من الهواء ، و «هابر» و «ارنست» و«رينوس» اول من احدثوا نظريات جديدة بشأن السوائل ، كذلك «بور» الدانماركي «وبلانك» الالماني ، والى جانبهم تأخذ «مدام كوري» مكانتها العلمية العالمية كامرأة واصلت البحث والدرس بعد موت بعلها بعشرين عاماً . والمكتشفون وعلي رأسهم «نانسن» و «شاكلتون» أثمن ما نملك اليوم بين ايدينا من ذخيرة .

أما علماء النفس فعلى رأسهم «فرويد» الذي أيقظ بنظرياته الحديثة شعور ألوف المثقفين ويجيء دور «انشتين» شيخ علماء الحكمة الطبيعية ، والذي أزال بنظرياته الكثير من الاعتقادات التي كانت راسخة في أذهان علماء القرون الماضية، وأظن أن روح نيوتن ترقص طربا في صندوقها بوستمنستر تقديرا و إعجابا بنبوغه .

والصناعة : فهنالك «مركوني» الايطالي الى جانب «اركو» و «اخوان رايت» الى «فورد» الى جانبهم أبطال الصناعة، والذين لهم الفضل في ابتكار اللاسلكي والطيارات و بناء الكباري وحفر الترع وتشييد المصارف ومحطات الكهرباء والخزانات . ولكن أين هم أولئك الأبطال ؟

من هم أساتذة الصناعة والفن اليوم ؟ من يعرف منشأ جسر اليثون أو ارث الخامس أو خزان اسوان علي النيل احدى عجائب الدنيا الحديثة ؟ من الصعب أن نعرف كل هؤلاء الابطال ، إذ أن الشركات قد خيمت علي جهود الافراد وجهود الابطال قد أدمجت في أعمال الشركات .

وعندما تنحدر الشمس الى المغرب ونجد مكانها النور الكهربائي !! لمن نتوجه بالشكر كل ليلة على هذه المنة ؟ لمن الفضل في سر اتصال الامم بأسلاك التلغراف ؟ لمن الفضل في نقل الرسم والصوت من مكان قصى فوق ثلوج سيبريا الى عبيد الكونغو مثلا ؟ إن احداً لم يستطع ولم يتمكن من إذلال العلم وتسخيره في اغراضه ليفيد به المجتمع كما أفاده الخالد الذكر «اديسون»

وهكذا نأتي في النهاية لنشيد بذكر أكبر عالم نظرى الي اكبر مخترع عملي اولهما الماني والثاني امريكي : كلاهما نشأ فقيرا معدما ليس مدينا لأحد الا لعبقريته ونبوغه وهما «ايماتيس» الذي وهب الثقافة وحرية الفكر الي العالم و «بررومانيس» الذي اختطف النور من الآلهة ليهديه الى البشرية تنير به غياهب ظلماتها . هما : «اينشتين» و «اديسون» .

محمد امين حسونه

روح التجديد

فى الأدب الدرامى الحديث

قبل أن نبدأ في الخوض فى هذا الموضوع المتشعب الأطراف ، المتعدد النواحى، يجدر بنا أن نحدد المعنى الذى نرمى اليه بكلمة تجديد ، تلك الكلمة التي ندأب على استعمالها الآن فى مصر فى هذا العهد الانتقالى الذى نثور فيه على ما ورثناه من عادات وتقاليد ، ونحاول أن ننهض بتلك النظم الاجتماعية والسياسية التى كانت سبباً فى تأخرنا ، ونسعى فى تحرير فكرنا الحبيس .

وحرية الفكر هى أثمن وأنبل حق سعى الانسان فى الحصول عليه — الذى طال تقييده أجيالا وأزماناً جعلت حياتنا أقرب الى حياة القرن الخامس عشر منها الى حياة القرن العشرين .

وفى الواقع أن كل حركة لا بد أن تتبع فى سيرها الناموس الطبيعى ، فتبدأ بدور الظهور ثم تأخذ فى النمو والتقدم حتى تصل الى أوجها، ثم بعد ذلك تمر بدور الاضمحلال والضعف تتقلب فى هـذا الدور الاخير مدة تختلف بين الطول والقصر ، ولا يلبث أن يأتى الزمن الذى ينتبه فيه الناس الي أن تلك الحركة التي كانت فتية ناضرة قد سعى اليها الهرم والكبر فأفقدها قوتها وطلاوتها ، فيشعرون بأن الحاجة ماسة الى التجديد داعية الى الثورة على ما أتت به تلك الحركة من مبادىء وما سنته من عرف وتقاليد .

هذا هو التجديد بمعناه المفهوم الآن، فهو ينطبق على السياسة والاجتماع والدين كما ينطبق على الأدب والفن .

متى بدأ ذلك التجديد فى الادب بوجه عام ؟ الواقع اننا لا نستطيع أن نحدد مبدأه بسنة معينة إلا من باب التجوز فقط . فكما أنه ليس فى مقدورنا مثلا أن نعين اليوم الذى يبدأ منه فصل الربيع لأن جميع فصول السنة متداخلة فى بعضها كذلك لا نستطيع أن نحدد بالضبط مبدأ التاريخ الحديث او الحركة الرومانتيكية .

نستطيع إذن :ــ للسهولة ــ إن نقول وإن حركة التجديد بدأت سنة ١٨٨٠ ولا تزال مستمرة الى وقتنا هذا ، كما إننا نلاحظ أن بعض النقاد أمكنهم تقسيمها الي دورين : الدور الاول

ويقع ما بين سنة ١٨٨٠ وسنة ١٩١٤ اى الى قيام الحرب العظمى ، وهـذا الدور معظمه هدم . لأن المجددين يهاجمون فيه فساد الأنظمة والعادات والتقاليد والمذاهب السائدة فى ذلك العصر ، ولا يصفون دواء لتلك الحالة.

والدور الثانى و يبدأ من قيام الحرب العظمى و يستمر الى وقتنا هذا ، و يسود في هذا الدور البناء

وكان المبدأ الادبى السائد قبل اواخر القرن التـاسع عشر هو المذهب الرومانتيكى ذلك المذهب الذى أعفى الاديب من التقيد بالاوضاع والمقاييس الكلاسيكية ، ودفع به الى تفضيل الشعور على العقل، والغريزة على الثقافة، والعاطفة على التميز وحسن الادراك، وغير المحتمل على المحتمل ، بل ذهب به الى الاعتقاد بأن الفرد اهم من الجماعة . وان الفضيلة والعقل فى الادب لا يفضلان الشعور والهوى . ونستطيع ان نلخص ذلك المذهب الرومانتيكى فى انه يدعو الي شيئين اثنين: الشخصية Indiv idualism والمثالية Idealism .

اما الحالة الاجتماعية فلم تكن قد تطورت الى ما هى عليه الآن . فالمرأة كانت لا تزال معتكفة فى دارها تقوم بشئونها المنزلية خاضعة تمام الخضوع لزوجها ووالديها . كذلك كان الابناء لا يستطيعون الخروج عن طاعة والديهم ، بل كثيراً ما يتحكم الاخيرون فى ارادة ابنائهم و يطبعونهم بالطابع الذي يريدونه غير حاسبين لميولهم ونزعاتهم اى حساب . ولم يكن الناس قد نبذوا بعد الدين ظهريا في شئونهم المدنية والاجتماعية ، فكان لا بد لكل زواج أن يعقد فى الكنيسة ، وان يبارك القسيس العروسين ، و يقوم بكل ما يتطلبه هـذا الحفل من طقوس دينية . هذا علاوة على ان الأدباء كانوا قلما يطلقون لأقلامهم العنان، و يخوضون في المواضيع التى كانت تعتبر خارجة على الناموس الاخلاقى لذلك الوقت .

بدأ المجددون امثال بردسلي وابسن وبتلر ونيتشه حملتهم على تقاليد ذلك العصر وابتدأوا عصر الهدم الذى انتهى تقريبا بنهاية القرن التاسع عشر . ثار هؤلاء على مساوىء المذهب الرومانتيكي وما يتطلبه من إغراق فى الخيال وبعد عن الحقيقة ، وما ألقاه في روع الناس من تعلق بالمثالية ونزوع عن الصدق فى تصوير الحياة الانسانية كما هي دون مغالاة او اغراق فكان « جوستاف فلوبير » و « اميل زولا » في فرنسا و « تشيكوف » في روسيا يمهدون السبل أيضا لنشر ذلك المذهب الجديد مذهب الواقعية Realism .

لم يقتصر الأمر على الثورة علي المذاهب الأدبية، بل شملت هذه الثورة كل مرافق الحيـاة السياسية والاجتماعة فأخذ الناس ينفرون من أية سلطة مهما كان شأنها ، واندفعت المرأة تكافح فى ميدان الحياة منافسة الرجل فى كل ما يذهب اليه ، وأخذ الابناء يقفون في وجـه والديهم فشعروا بأن لهم قلوباً تحس غير احساس آبائهم واجدادهم ، وأن لهم شخصية بل إن لهم

عقولا يجب أن تتحرر من يد تلك الارادة الابوية التى تريد أن تسمهم بميسمها وتطبعهم بطابعها .

وصفنا الآن حركة التجديد فى الأدب بوجه عام ، والواقع انه من الضرورى أن نبدأ بالأعم فالأخص .

الأدب الدرامى ما هو الآن ، إلا نوع من انواع الأدب يتأثر بجميع المؤثرات التى يتأثر بها هذا الأخير . ومن المؤلم أن نذكر هنا أن الأدب الدرامي لايوجد ولم يتم ويتطور الا في اوربا .

أما باقى القارات وخصوصا آسيا وافريقيا فليس فيهما أدب درامى مطلقا ، وعندى أن سكان هاتين القارتين مازالوا بعيدين كل البعد عن الحياة الحقة ، بل هم متأخرون عن اوربا بما لايقل عن خمسة قرون .

ولو أن التجديد في الدراما يشتمل على مميزات عامة تشترك فيها معظم امم اوربا ، الا أن ذلك التجديد يأخذ طابعا خاصا فى كل . ولذلك يحسن أن نتكلم عن كل بلد على حدة مبتدئين بالنرويج لأنها أول أمة حملت لواء التجديد في الأدب الدرامى على يد ابسن Ibsen الذى يعد بحق أبا الدراما الحديثة .

كيف استحق ابسن هذا اللقب ؟ وما الذي استحدثه فى الدراما ؟



(هنريك ابسن)

الواقع أن اهتمام الكتاب الدراميين قبل ابسن كان ينصب علي الحبكة المسرحية والحركة في الدراما ، ولا يهتمون كثيرا بالفكرة . فأذا نظرنا مثلا الى سكريب وساردو الفرنسيين وجدنا انهما لا يحفلان بالدوافع والتيارات والافكار التى تتفاعل وتتجاذب في القصة بل هما يحصران كل همهما فى حبك المواقف وخلق المفاجآت والبحث وراء ختام مثير لكل دراما . أما ابسن فلم يكن يحفل لكل هذا . فكان يدع حبك القصة فى الدرجة الثانية ويوجه كل همه الي الفكرة التى يريد أن يبثها فى قصته ويعنى عناية شديدة بالتحليل النفسانى لأشخاص الرواية .

ولكن الجديد فى ابسن هو انه جعل من الدراما وسيلة إلى الاصلاح الاجتماعى ، ومن هنا أخذ جميع كتاب اوربا عنه هذه الفكرة . اما رسالته في الحياة فتتلخص في أنه وطن العزم علي

تحرير النفس الانسانية ـ غير ناظر في ذلك إلى صاحب هذه النفس، فلايهمه إن كان رجلا او كان امرأة ـ وتخليصها من كل قيد، كما كان واثقا ومؤمنا شديد الايمان بمستقبل الانسان.

ويلحق النقاد كاتبا آخر بابسن وهو سويدى يقال له سترندبرج. ويقابلونه به. أما سبب هذه المقابلة فهو أن ابسن اطلق عليه لقب نصير المرأة خطأ، وذلك عقب اصداره لرواية بيت الدمي Doll's House التي يطلق عليها قصة تحرير المرأة، ولقد سبق أن قلنا إن ابسن كان يرمي الي تحرير النفس الانسانية غير ناظر إلي المرأة او الرجل، ولكنه مع ذلك عرف بذلك اللقب، ومن هنا نشأت المقابلة.

كان سترندبرج أقل من حيث المواهب والعقلية من ابسن. نشأ بائسا وجعل كل همه احتقار ابسن لانتصاره للمرأة فأخذ يتحامل عليها فى كل دراماته مثبتاً أنها اصل كل شر ومصدر كل بلاء علاوة على ضعفها وقلة كفايتها.

اما في انجلترا فلم تبدأ حركة التجديد في الادب الانجليزى عامة إلا بطبع رواية بتلر Samuel Butler طريق كل حي The Way of All Flesh سنة ١٩٠٣. اما قبل ذلك فكان يسود في انجلترا المذهب الفكتوري نسبة الي الـ Victorian Age وهذا المذهب يمثل عصر الانتقال بين الرومانتيكية والوقعية.



(صمويل بتلر)

لم ينتقد بتلر في روايته هذه التقاليد والعادات السائدة في زمنه بل صورها كما هي ولكنه تعمد ان يظهر الجوانب السيئة منها، فأعطانا صورة والدين حاولا الوقوف في طريق ارادة ابنهما ولكنهما لم يفلحا. وأرانا ايضاً كيف ان الدين اتخذ كمبرر لمعاقبته، وان قوانين التربية وما جرى عليه العرف والتقاليد ـ اتخذ وسيلة لغشه وخداعه. حاول والداه أن يقنعاه بأن الواجب يوحي اليه بكذا وكذا، ولكنه كان قد سئم ما يمليه عليه الواجب كما يفهمه الناس في ذلك العصر.

ولا يحملنا هذا علي الظن بأن بتلر اساء تصوير هذين الوالدين، بل علي العكس فقد جعلهما يتخلقان بأحسن الاخلاق والسجايا المعروفة في ذلك الوقت.


(برنارد شو)

كانت رواية بتلر هذه اكبر ضربة أصابت ما اصطلح عليه الناس في ذلك العهد . فانبعث برنارد شو وجالسورزى وجعلا يسخران من العادات ، والتقاليد الفيكتورية .

وابتدأ شو ، فى مهاجمة المثالية مبينا للناس أنها أس كل بلاء ومصدر ذلك الفساد الاجتماعى السائد في ذلك الوقت ، وأخذ يلقى فى روعهم أنه لم يحمل الوالدين في رواية بتلر على سلوك هذا المسلك سوى تمسكهم بالمثل العليا الرومانتيكية الفاسدة . وأن الانسان له واجب أساسى نحو نفسه ، فاذا اطلقت له الحرية فى اتباع ما تمليه عليه غرائزه فانه سرعان مايعرف الضار من النافع و يكتشف دوافع أخرى مانعة تقابل تلك الغرائز .

لم يقف برنارد شو عند هذا الحد بل ثار على ما تواضعت عليه الأديان وحارب ما لحق بها من الوان المودات وصنوف الازياء على ممر الاجيال والعصور .

أما في الأدب الدرامى فيمكننا أن نعتبر شو مجددا للدراما الانجليزية بل ومن المجددين في الدراما فى كل أوربا .

يشترك برنارد شو مع ابسن فى أنه اتخذ الدراما وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعى ولكنه يختلف عنه من ناحية أخرى . شو اشتراكى كبير يفهم الاشتراكية حق الفهم و يدخل في دراماته كثيرا من المحاورات بين الطبقات الصناعية سالكا فى ذلك طريقا جديدا يعتمد على الذكاء . ولكنه لم يقتصر على هذا الباب بل ملأ رواياته بالتهكم المر اللاذع منتقدا جميع الطبقات ، ورائده في ذلك العقل وحسن التميز والادراك أو كما يعبر عن ذلك الانجليز ب :
Common Sense

ويمكننا اعتباره أول من أدخل المحاورات الطويلة والفقرات المسهبة فى الدراما دون أن يجعل الملل يتسرب الى نفوس النظارة فتضيع طلاوة الرواية و يضيع على المؤلف أهم غرض له وهو التأثير على الجمهور .

ولكن توجد ناحية أخرى فى درامات شو لم تتعرض لها أو قل إن للرجل فلسفة دينية يحاول أن يبثها فى كل رواياته . يعتقد شو أن الله لم يبلغ درجة الكمال بعد ، وأنه يسعى لأدراك هذه الغاية متخذا لذلك أية أداة أو واسطة تروق له . فاذا وافقته تلك الواسطة تركها تسير فى تحقيق غرضه ، والا اهلكها أو عدل عنها الى غيرها .

فهو يرى أن الله لم يخلق الانسان عبثا وأنه لو كان يستطيع أن يحقق غرضه من خلق العالم دون ايجاد الانسان لما بعث به الى هذه الدنيا . زد على ذلك أنه خلقنا لنعمل ونكافح ورسم لكل منا نوع العمل الذى سيلقيه على عاتقنا ، غير أنه يتركنا نضرب فى الارض حتي يتهيأ ذلك العمل لنا فنسير في تحقيقه ، فاذا نجحنا تركنا واذا اخفقنا أهلكنا .

وتوجد هناك مدرسة أخرى غير مدرسة شو ملأت الدراما بالمباحث النفسية والجنسية وزعيم هذه المدرسة هو هربت لورنس .



(هربرت لورنس)

أما فى المانيا فقد اتخذ المذهب الرومانتيكي في الأدب طابعا خاصا يختلف عن باقى أوربا . « ففشته » سلك مسلكا خاصا لم يسلكه أحد إذ قال : إن الفن لا يصح أن يعبر عن الحقيقة بل إنه يتجه دائما الى المثل الأعلى . وتفرع من ذلك مذهبان مذهب اليأس الذى ضمنه جوت في رواية آلام فرتر ويسمى أحيانا Wertherism ثم مذهب التسامي Transcendentalism ولكن المتسامين الالمان لم يغفلوا عن قيمة العقل كباقي الرومانتيكيين بل ابتدعوا مذهب المثالية الذي صار يعتبر الفن غاية لا وسيلة ، وهذا منتهى ما يمكن أن يصل اليه الفن.

جاء بعد ذلك هين الشاعر وأخذ فى السخرية من المثالية وعقبه نيتشه فأعطى للالمان مثالية أخرى تعتمد على المادة وإرادة القوة.

ثار المجددون من كتاب الدراما من الالمان على مذهب شيلر فى كتابة القصص المسرحية لأنه كان يعتمد على المثالية ، واتخذوا من المسرح وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعى كما فعل إبسن . وأهم هؤلاء المجددين هبل Hebbel و بوهن Buhne وأوبتمان Hauptmann وسودرمان Sudermann

أما فى فرنسا فما زال كتاب الدراما يعنون عناية شديدة بفن كتابة الدراما والحبكة المسرحية ، ولاشك انهم يعتبرون اساتذة الكتاب الأوربيين فى هذه الناحية . غير أن هذا صرفهم عن الاهتمام الكافى بالموضوع والفكرة الي الاهتمام بالشكلية Formalism فعاق ذلك حركة التجديد عندهم ، زد على ذلك أن المزاج الفرنسي رومانتيكى بطبيعته .

شغل ساردو المسرح الفرنسي بذلك النوع حوالى ربع قرن ، ثم جاء بعده اسكندر دوماس الصغير فأدخل على المسرح الفرنسى ذلك الصنف الناعم من الدرامات الذى يعتمد على فكرة أو مشكلة عامة و يسمى أحيانا Problem Play وأعقبه هنرى بك Pecque فمهد بروايته الغربان الطريق إلى المجددين الذين اتخذوا الطبيعة وحيا لالهامهم أمثال : ستندهال Stendhal الذى سخر أيضا

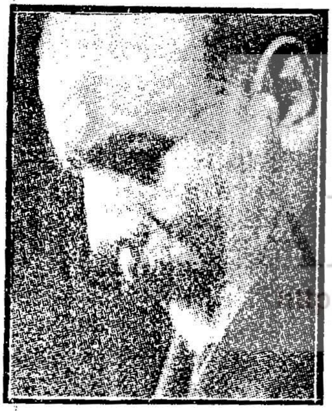
من الروما نتيكية وموريس مترلنك Maeterlinck . وهناك جماعة أخرى من الكتاب سلكت مسلك ابسن وحاولت جعل الدراما وسيلة من وسائل الاصلاح الاجتماعى مثل : جورج كورتلين Courteline وأوجين بريه Brieux ولكن مع كل هذا كانت روايات إدمون روستان تثير عند تمثيلها عاصفة من الاستحسان والتقدير، مع اعتمادها على الشيء الكثير من الروما نتيكية والمثالية مثل « سيرانو دى برجراك » . أما اذا نظرنا الى مذهب الواقعية الجديد فأننا نجد انه لا يتلاءم بحال من الاحوال مع المزاج الفرنسى،لذلك حار به بشدة پول كلودل Claudel وجول رومان Romains وشا لفلدراك .

أما نصيب روسيا من التجديد فى الدراما فقد تم على يدى « انطون تشيكوف » . وهذا يعتمد كل الاعتماد على الواقعية و يستمد شخصيات دراماته من الطبيعة رأسا ، وكان هذا الكاتب أيضاً مسرفا فى تجديده حتى إنه ثار على كل الاوضاع والقيودات التى تقيد كاتب الدراما وجعل ابطال دراماته يعرفون النظارة بأنفسهم في مونولوجات طويلة وايماءات غير متصلة ، الأمر الذى جعل النقاد يعتبرون درامات جوركى وتولستوى وتشيكوف وثائق تاريخية هامة .

وفى باقي الممالك الاوربية اتبع كتاب الدراما الطريق الذى استنه لهم إبسن . ففي ايطاليا نجد الكاتب الكبير لويجى بيراندلو Pirandello يتخذ فلسفة بركلي مادة لدراماته .

أما فى أمريكا ، فيتخذ كتابها نماذج لهم من مختلف الدرامات فى اوربا غير أننا نلاحظ في كتاباتهم تغلب الروح الفرنسية .

وأما فى مصر فيكفيني أن أقول : إنها مازالت تعتمد علي الاوربيين فى كل شيء ؟



لويجي بيراندلو

ابراهيم خورشيد
بكالوريوس فى الآداب

المعرفة

وجهتها نشر الثقافة العامة ، والبحث الحر

تصدر فى أول كل شهر افرنجى

علم الحياة ..!

في الحياة غلطات بالغات ، يقتطف المفكر من أغصانها كل يوم ثمرة .. ساعات تمر ، وأيام تسير ، وأعوام تمضي ، وحوادث تجري ، فمن لم يتخذ لنفسه من الحياة دروسا تنفعه في مستقبل أيامه قمين به أن يحيا مع العجماوات . !

رب سائل يقول : هل للحياة دروس ؟ وما هي ؟ وأين هي ؟. أجل ، ان للحياة دروسا وهي نوعان : الأولى فردية ، ينتفع بها الفرد ، والثانية عامة يستفيد منها المجموع. وأما ما هي؟ وأين هي ؟ فهي تلك الحوادث التى تجرى للأفراد والجماعات في غضون الزمن وبين طيات الدهر .!

وكيف نستطيع أن نأخذ من الحياة تلك الدروس حتى تكون لنا نبراساً نستضيء بها فى حنادس الأمور ؟ هذا سؤال يجول بخلد البعض ممن يريدون اكتشاف الحقائق والوقوف عليها بيد أنه وشيكا ما يعلمون أن ذلك ممكن بالتأمل فى الحوادث التي مرت على الأشخاص الذين يعيشون فى هذا المعترك الأنسانى ، وانتزاع العظات المتباينة ، والعبر المختلفة من تلك الحوادث فهي أعظم الدروس وأعمقها أثرا فى الشعور النفسي وابعدها غوراً في الانقلاب الفكرى .

من (موليير Moliére) ومن شكسبير Shakespeare ومن تولستوى Tolstoï وغيرهم من هؤلاء الذين تقام لهم التماثيل بين ربوع أوروبا وتلقى فى أعيادهم التذكارية الخطب والأشعار التي ملؤها الاشادة بأفعالهم العظيمة وأثارهم الخالدة ، أليسوا هؤلاء رجالا مفكرين نظروا الي الحياة نظرة المتأمل وأخذوا يتلقون دروسها العالية فتخرجوا فيها أساتذة عظاء ، وانتزعوا لنا من بين جنباتها دررهم النفيسة التي ترمي كل واحدة منها الى غاية خاصة ؟ انهم تناولوا بعض معاني الحياة وصاغوها فى قالب مخصوص ثم البسوها حلة قشيبة جذبت النفوس اليها فأصبحوا بعملهم هذا عظاء واستحقوا منا الاجلال والتبجيل واضحت اسماؤهم مدونة فى التاريخ الذهبي فى سجل الخالدين . !

الطريق ليس بوعر المسالك ، والسبل ممهدة لكل طارق ، فلم لا يتقدم المرء ويكون مفكرا فيتناول تلك المعاني التى تمر أمامه فى كل آونة وحين ، ويستخرج لنفسه ولأمته عبراً سامية يتعظ بها كل من له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد ؟.

(البقية على الصفحة رقم ٩٧٦)

تاريخ البيمارستانات

في العهد الاسلامى

بقلم الدكتور احمد بك عيسى

— ٤ —

أرزاق الاطباء في خدمة المارستانات والخدمة الخاصة

كان للاطباء علي وجه العموم من لدن الخلفاء والملوك والأمراء الاحسان الكبير والافضال الغزيرة والجامكية الوافرة والصلات المتواترة وكانت ايضا تطلق للأطباء مع الجامكية الجراية وعلوفة للدابة التى يركبونها ، اما المرتبات الشهرية فقد كانت كما يأتى :—

١ — اطباء الخاص ، وكانا اثنين ، لكل منهما فى الشهر خمسون دينارا (١) ولمن دونهما من الاطباء (وهم نحو ٣ أو ٤) المقيمين بالقصر لكل واحد منهم عشرة دنانير (٢) ولكل طبيب بالمارستان منه ما يقوم بكفايته (٣) فكان للاطباء بالمارستان على العموم جامكية خمسة عشر ديناراً وكان لبعضهم رزقان أى ثلاثون دينارا فى كل شهر لعملين مختلفين كرضى الدين الرحبي فقد أطلق له صلاح الدين بن يوسف أيوب في كل شهر ثلاثين دينارا (٤) ويكون ملازما للقلعة والبيمارستان ، وبعد وفاة صلاح الدين اطلق له الملك المعظم عيسى بن الملك العادل خمسة عشر ديناراً ويكون مترددا الي البيمارستان وكان لبعضهم كجبرائيل الكحال الف درهم فى كل شهر (٥) وكان لما سويه جامكية من الفضل فى كل شهر سمائة درهم (٦) وعلوفة دابته ثم زيد الي الفي درهم ومعونة في السنة عشرة الف درهم وعلوفة ونزل.

وممن كان يأخذ رزقين جبريل بن عبد الله بن بختيشوع فكان يأخذ برسم الخاص ثلاثماية درهم شجاعية نسبة إلى الامير علم الدين سنجر الشجاعى، و برسم البيمارستان ثلاثماية درهم شجاعية سوى الجراية وكان لعزالدين بن السويدى جامكية في أربع جهات (٧) فى البيمارستان النورى ، وفي بيمارستان باب البريد بدمشق وللتردد على قلعة دمشق و لتدريسه فى الدخوارية .

وكان من أطباء أمير سيف الدولة بن حمدان من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين، ومن يأخذ

(١) الدينار خمسة عشر فرنكا فرنسيا «خطط على باشا مبارك ج ٤ ص ٤٦» (٢) «صبح الاعشى ج ٣ ص ٥٢٥» (٣) «ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٤٤» (٤) «ابن القفطى ص ١٤٨»
(٥) «ابن القفطي ص ١٥٢» (٦) «الدرهم يساوي قرشين اميريين أو نصف الفرنك تقريباً»
(٧) «ابن ابى اصيبعة ص ٢١٦ ج ٢»

ثلاثة ارزاق لتعاطيه ثلاثة علوم ، وكان فى جملتهم عيسى النفيس الطبيب فكان يأخذ ثلاثة ارزاق: رزقا للنقل من السريانى الي العربى، ورزقين آخرين بسبب علمين آخرين (١)

ولم يكن حسن موقع الاطباء لدي الخلفاء والملوك واطلاق الجمكيات الوافرة لهم — بمانع من ان يشتغل بعضهم فى البيمارستان احتسابا ،فقد كان كمال الدين الحمصي يتردد على البيمارستان الكبير النورى يعالج المرضي فيه احتسابا (٢)

وقد بلغ بعض الاطباء من حسن الحال ورغد العيش الي درجة عظيمة، فقد بلغ بختيسوع فى زمن الخليفة المتوكل فى الجلالة، والرفق، وعظم المنزلة، وحسن الحال، وكثرة المال، وكمال المروءة ومباراة الخليفة فى اللباس والزى والطيب والفرش والضيافات والتفسح فى النفقات، مبلغا يفوق حد الوصف (٣).

وإنا نأتي هنا بثبت (٤) ما كان لجبريل بن بختيشوع من الرزق والرسوم والصلات ليعلم القارىء مقدار ما وصل اليه رزق أحد الاطباء فى ذلك العهد.

ذكر أن رزقه كان برسم العامة في كل شهر من الورق عشرة آلاف درهم، وبرسم الخاصة في المحرم فى كل سنة من الورق خمسون الف درهم وثياب بقيمة عشرة آلاف درهم ، ولفصد الرشيد دفعتين فى السنة مائة الف درهم ، ولشرب الدواء دفعتين في السنة مائة الف درهم، ومن أصحاب الرشيد كل سنة علي ما فصل مع ما فيه من قيمة الكسوة وثمن الطيب والدواب من الورق أربعمائة الف درهم، وتفصيل ذلك :-

٥٠ الف درهم من عيسى بن جعفر و٥٠ الف درهم من زبيدة أم جعفر و٥٠ الف درهم من العباسة و٧٠ الف درهم من فاطمة و٣٠ الف درهم من ابراهيم بن عثمان و٥٠ الف درهم من الفضل بن الربيع و١٠٠ الف درهم كسوة وطيب ودواب و٨٠٠ الف درهم من غلة ضياء بجنديسابور والسوس والبصرة والسواد و٧٠٠ الف درهم من فضل المقاطعة.

وكان يصير اليه من البرامكة فى كل سنة من الورق الف الف واربعمائة الف درهم وتفصيل ذلك ٦٠٠ الف درهم من يحي بن خالد و١٢٠٠ الف درهم من جعفر بن يحي الوزير و٦٠٠ الف درهم من الفضل بن يحي .

وذلك سوى الصلات الجسام فأنها لم تذكر فى هذا المدرج ، فانظر رعاك الله إلي هذه الثروة التي لايحلم بها أحد فى هذا الزمان وقد استمرت كذلك عشرات السنين.

كراء عملية جراحية

من المستملح ان يعرف اهل زماننا الحاضر مقدار ما كان يطلب الطبيب في العصر السالف

---

(١) « ابن القفطى ص ٢٥٠ » (٢) « ابن ابي اصيبعة ص ٢٠١ ج ٢ » (٣) « ابن القفطي ص ١٠٢ » (٤) « ابن القفطي ص ١٤٢ »

أجرا على عملية، لذلك رأيت ان اذكر هذه القصة على سبيل الاستطراد، قال احمد بن يونس: حضرت بين يدى ابن وصيف وقد احضر سبعة أنفس لقدح أعينهم (اي لعمل عملية الماء النازل فى العين وهو الكتركتا) وفى جملتهم رجل من أهل خراسان أقعده بين يديه ونظر الى عينيه فرأى ماء تهيأ للقدح، فساومه على ذلك واتفق معه على ثمانين درهما (أي ماقيمته جنيهان مصريان) وحلف أنه لا يملك غيرها، فلما حلف الرجل اطمأن وضمه الى نفسه فوقعت يده على عضده فوجد فيها نطاقا صغيراً فيه دنانير، فقال له ابن وصيف ماهذا؟ فتلوي، فقال له ابن وصيف قد حلفت بالله وأنت حانث وترجوه رجوع بصرك اليك؟ والله لا أعالجك اذ خادعت ربك. فطلب اليه فأبى أن يقدحه وصرف اليه الثمانين درهماً ولم يقدح عينه. (١)

مدارس الطب واجازات الاطباء

ذكرنا ان طلبة الطب كانوا يتلقون علومه على اساتذتهم فى البيمارستانات اذ كانت تهيأ لهم الايوانات الخاصة المعدة والمجهزة احسن تجهيز بالآلات والكتب يقعدون بين يدى معلمهم، بعد ان يتفقدوا المرضى، وينتهوا من علاجهم كما كان يفعل ابو المجد بن أبي الحكم في البيمارستان الكبير النوري وان بعضا من مشايخ الطب وكبار رؤسائهم كان يجعل له مجلساً عاما لتدريس صناعة الطب للمشتغلين عليه في منزله او فى مدارس خاصة أوقفت لهذا الغرض.

وقد ذكر ابن أبي أصيبعة ص ٢٣٩ أول: أن الفيلسوف الامام العالم أبا الفرج بن الطيب كان يقرىء صناعة الطب في البيمارستان العضدى ويعالج المرضي فيه. وفى ص ٢٤٤ أول أن ابراهيم بن بكس كان يدرس صناعة الطب في البيمارستان العضدي لما بناه عضد الدولة وكان له منه ما يقوم بكفايته وقال في ص ٢٥٣ أول: إن «زاهد العلماء» الف كتابه فى الفصول والمسائل والجوابات التى أجاب عنها في مجلس العلم المقرر فى البيمارستان الفارقى وكان في بيمارستان احمد بن طولون خزانة كتب كانت في أحد مجالس البيمارستان وكان فيها ما يزيد على مائة الف مجلد في سائر العلوم. ص ٤٧٢ النجوم الزاهرة.

كما وقف في سنة ٦٢٢ هـ ١٢٢٥ م مهذب الدين عبد الرحيم بن على حامد المعروف بالدخوار شيخ الاطباء ورئيسهم داره بدمشق «المدرسة الدخوارية» شرقي سوقة المناخلين عند الصاغة العتيقة قبلى الجامع الاموى ووقف لها ضياعا وعدة أماكن يستعمل منها ويتصرف فى مصالحها وفى جامكية المدرسين وجامكية المشتغلين بها وكان أول من درس بها بعد واقفها فكان الشيخ مهذب الدين رحمه الله اذا فرغ من البيمارستان وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم يأتى الى داره ثم يشرع فى القراءة والدرس والمطالعة، ولا بد له مع ذلك من نسخ فاذا فرغ منه أيضاً أذن للجماعة فيدخلون اليه، ويأتى قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين، وكان يقرىء كل واحد منهم درسه، ويبحث معه فيه، ويفهمه إياه بقدر

طاقته و يبحث فى ذلك مع المتميزين منهم إن كان الموضع يحتاج الى فضل بحث أو فيه إشكال يحتاج الي تحرير.

وكان لايقرىء أحداً إلا و بيده نسخة من ذلك الكتاب الذى يقرؤه ذلك التلميذ، ينظر فيه و يقابل به فان كان فى نسخة الذى يقرأ خطأ أمره باصلاحه. وكانت نسخ الشيخ مهذب الدين التى تقرأ عليه فى غاية الصحة وكان أكثرها بخطه وكان أبداً لا يفارقه الى جانبه مع مايحتاج اليه من الكتب الطبية، ومن كتب اللغة كتاب الصحاح للجوهرى والمجمل لابن فارس وكتاب النبات لابى حنيفة الدينورى، فكان إذا جاءت فى الدرس كلمة لغة تحتاج الي كشفها وتحقيقها ظرها فى تلك الكتب.

ثم مرض وتوفى في يوم الاثنين صفر سنة ٦٢٨هـ، ٢٤ ديسمبر سنة ١٢٣٠م، ووصى الشيخ مهذب الدين عبدالرحيم(١) أن يكون المدرس فيها الحكيم شرف الدين علي بن الرحبي.

افتتاح المدرسة الدخوارية

لما كان فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الآخر سنة ٦٢٨هـ، ١٨ فبراير سنة ١٢٣٠م حضر الحكيم سعدالدين ابراهيم بن الحكيم موفق الدين عبدالعزيز والقاضى شمس الدين الخواتيمي والقاضى جمال الدين الخرستانى والقاضى عزالدين السنجارى وجماعة من الفقهاء والحكماء وشرع الحكيم شرف الدين ابو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحبي فى التدريس بها فى صناعة الطب واستمر على ذلك و بقى سنين عدة ثم صار المدرس فيما بعد الحكيم بدرالدين المظفر بن قاضى بعلبك، وذلك أنه لما ملك دمشق الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود ابن الملك العادل كتب للحكيم بدر الدين بن قاضى بعلبك منشورا برياسته على سائر الحكماء فى صناعة الطب وأن يكون مدرساً للطب فى مدرسة الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن على المعروف بالدخوار وتولى ذلك فى يوم الاربعاء رابع صفر سنة ٦٣٧هـ، سنة ١٢٣٩م ثم درس بعده عمادالدين الدنيسرى(٢) ومحمد بن عبدالرحيم بن مسلمة كمال الدين الطبيب (المتوفى سنة ٦٩٧هـ، سنة ١٢٩٧م). والجمال المحقق احمد بن عبدالله بن الحسين الأشقر وقد ولي مشيخة الدخوارية وتوفى سنة ٦٩٤هـ، سنة ١٢٩٤م. وامين الدين سليمان بن داود الدمشقى (توفى سنة ٧٣٢هـ، ١٣٣١م. ثم شهاب الدين بن الشهاب الكمال توفى سنة ٧٣٢هـ، ١٣٣١م(٣))

احمد عيسى

(١) «ابن أبى أصيبعة ص٢٤٤ ج٢» (٢) «كتاب تنبيه الطالب وارشاد الدارس»
(٣) «عن تنبيه الطالب ج ٢».

المريخ الكوكب الغامض

عاد المريخ الى الاقتراب من الأرض مرة أخرى منذ بضعة أشهر ، وعاد تساؤل الفلكيين: هل توجد حياة فوق ذلك الكوكب ؟ وهل تعيش هناك كائنات عاقلة ؟ وماذا يكون شكلها إن وجدت ؟ وقضى الفلكيون أياماً سعيدة يرسمون الخرائط لسطح الكوكب بهمة ، ويشاهدون التغيرات التي طرأت عليه بعد اقترابه الأخير منذ سنتين .

ويجد الفلكيون صعوبة لا تقدر في دراسة المريخ نظراً لصغره المتناهي : فهو في أقرب بعد له عن الارض لا يزيد حجمه عن قطعة من النقد المعدنى عندما ترى على بعد ربع ميل ، وهو في هذه الحالة يبعد عنا بمقدار ٣٥ مليوناً من الأميال . إلا أن التلسكوب يستطيع أن يخفض ذلك البعد بنسبة ٥٠٠ مرة ، وبذلك ترى المريخ كما لو كان على بعد ٧٠٠٠ ميلا ونشاهده حينئذ كما نشاهد نفس القطعة المعدنية على بعد ياردة واحدة .



(صورة المريخ الفوتوغرافية كما أخذت في مرصد مونت ولسن بامريكا بوساطة تلسكوب كبير قطره ٦٠ بوصة)

فاذا نظرنا الى المريخ بوساطة مرقب مقرب فانا نرى فى سطحه قرصاً وردى اللون يتناثر عليه عدد عظيم من العلامات الخضراء القاتمة وفى الطرفين المتقابلين لهذا القرص نشاهد بقعتين مستديرتين لونهما أبيض. ومما يستلفت النظر فيهما انهما تتسعان وتضيقان فى الشتاء والصيف على التوالى . ويرجح أن هاتين البقعتين يكونان منطقتين قطبيتين تتسعان في الشتاء لتراكم الثلج وتضيقان صيفاً لذوبانه .

وفى أثناء ذوبانهما فى فصل الصيف المريخى يبين المرقب الطيفي Spectroscope أن الجو المحيط بهما يكون متشبعاً ببخار الماء ، وان موجة من الاخضرار المتزايد تنتشر من أطرافهما فوق كل العلامات المعتمة التي سلف ذكرها .

والغريب في أمر المريخ انه خال تماماً من البحار والمحيطات ، وتلك الصحائف المائية التي تبدو على سطحه ليست إلا صحائف مؤقتة تحيط بالقمم الثلجية التى تذوب صيفا . والجزء

الأعظم من المريخ هو فى الحقيقة صحراء مقفرة ، يلطف جدبها تناثر بعض المناطق النباتية الخضراء هنا وهناك .

ومع وجود السحب بالمريخ فان جوه لا مثيل له فى بعض اجزاء ارضنا كالقطبين مثلا فعند قطبي الارض تحجب السحب البيضاء كل شيء فيسود الظلام . ولقد أماطت دراسة المريخ اللثام عن وجود اكسيجين بجوه ولكنه اقل مما هو فى جو الارض ، ويرجح انه يعدل الكمية الموجودة منه في هواء اعلى نقطة بجبل افرست ، وعلى هذا اذا انتقل احدنا الى المريخ فان وجهه يزرق سريعا ثم يهلك لعدم وجود الاكسيجين الكافي لتنفسه .

ولقد استطاع الفلكيون ان يقيسوا درجة حرارة المريخ فى جملة مواضع منه : فدرجة الحرارة فى الظهر فى المنطقة الاستوائية منه تعدل درجة حرارة يوم من ايام فصل الربيع فى انجلترا . الا انه في الشتاء وفى الليل يصير الجو بارداً جداً حتي انه لوصح وجود اناس به لتحتم عليهم جميعاً ان يأووا الي المشاتي الدافئة كما يفعل الاغنياء فى كوكبنا .

اما عن وجود الحياة به فيمكننا ان نجزم بوجود النبات . اما الانسان المريخي فأمر لاجواب يجمع العلماء عليه . ولقد قامت ضجة حول وجود ترع وقنوات بالمريخ ، وشوهدت فعلا برقب مقرب فوجد أنها تخترق الصحارى من كل جهة موصلة بين المناطق النباتية المختلفة ، ومعظم تلك القنوات دقيق الصنع ، وتكون شبكة من المستقيمات المتلاقية فى نقط معينة علي نظام هندسى بديع مما يجعلنا نعتقد انها من صنع مهندس حاذق خططها للري ، فمظهر تلك القنوات الهندسي هو الذى يجعلنا نظن ان هناك انسانا مريخيا .

ولعل اغمض ما فى المريخ تلك التغيرات الشديدة التي تلحق اشكال المساحات النباتية الشاسعة ، فانه ليحدث كثيرا ان منطقة من مناطق النبات تأخذ فى التغير والتبدل حتى انه ليأخذنا العجب الشديد عندما نرى مساحة عظيمة من النبات قد تحولت الى منظر جديد لم نألفه فى المريخ ، فمثلا منذ سنه ١٩٢٦ أخذت « بحيرة الشمس » — التي كانت في الخرائط القديمة للمريخ ثابتة الشكل — تعاني تغيرات عظيمة شوهدت مستمرة ايضا في سنة ١٩٢٨ .

ولقد فسر هذا التغير بأنه اراحة للارض من الزرع كما نفعل نحن فى اراضينا الزراعية ، الا ان هذا التفسير مازال فى حاجة الى مشاهدات تدعمه . ويعتقد بعض العلماء انهم لو توصلوا الي معرفة حقيقة هذه التغيرات فان جارنا المريخ لن يصير بعد غامضا ؟ ث ...

مذهب الملكات العقلية

للاستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس

بمعهد التربية وكلية أصول الدين

— ٢ —

بينا في مقالنا السابق شيئاً عن نشأة مذهب الملكات العقلية ، واستخدام العلماء الأقدمين له كوسيلة لتقسيم العمليات العقلية وتبويبها ، ثم لتعليل القوي العقلية وشرح عملياتها ، وكيف تطورت فكرة الفلاسفة عن الملكات من اعتبارها مجرد قابلية العقل للقيام بعمل معين الى القوي الفعالة البسيطة التى لا يمكن تحليلها الى عناصر أبسط منها ، وكيف اتسعوا فى بحثها فلم يتركوا ظاهرة عقلية صعب عليهم تفسيرها وإدراك عملها وتحديد وظيفتها إلا وخلقوا لها ملكة جديدة ، حتي صار عدد الملكات أربعين أو يزيد . وبينا كذلك تفننهم فى تحديد مراكز الملكات في الجهاز العصبي وسائر أعضاء البدن ، وكيف استغل (جال، واسبورزهايم، والاخوان مولر) هذا التقسيم وجعلوه أساساً لبناء علمي فراسة الرأس والوجه على أساس جديد .

وسنبين الآن كيف تشكك العلماء فى هذا المذهب حتي توصلوا أخيراً عن طريق علم النفس التجريبي الى هدمه والحكم ببطلانه .

٦ — أوجه بطلان المذهب .

حمل الغزالى زعيم فلاسفة الاسلام حملة شعواء على مزاعم أفلاطون وأرسطو واتباعهما فى طبيعة النفس وخواصها . وقفى على أثره الكثير من علماء الاخلاق ، فأنكروا النفس الشهوانية التى تتطلب إشباع الشهوات الحسية وحاجات البدن الطبيعية ، ولم يسلموا بغير النفس العاقلة المفكرة . وفي هذا يقول ابن مسكويه : « إن تشوق النفس الى ما ليس من طباع البدن، وحرصها على معرفة حقائق الأمور الألهية وميلها إلي الأمور التى هى أفضل من الامور الجسمية وإيثارها لها وانصرافها عن الأمور واللذات الجسمانية ـ يدلنا دلالة واضحة علي انها جوهر أعلى وأكرم جدا من الأمور الجسمانية — فأذن كانت أفعال النفس إذا انصرفت الي ذاتها فتركت الحواس مخالفة لأفعال البدن ومضادة لها فى محاولاتها وايراداتها فلا محالة أن

جوهرها مفارق لجوهر البدن ومخالف له في طبيعته » (١) ويؤكد « أن شوقهـا الى افعالها الخاصة بها أي العلوم والمعارف مع هربها من أفعال الجسم الخاصة به هو من فضيلتها » (٢) وينزهها عن الرذائل التى هى أضدادها أي الشهوات الرديئة الجسمانية والنزوات الفاحشة البهيمية وكذلك يقول ردا على استقلال النفوس الثلاث بعضها عن بعض وتنازعها بالصورة المتمثلة في أقوال المتأخرين. إن « هذه الأنفس الثلاث إذا اتصلت صارت شيئا واحداً، ولكنها باقية التغاير، و باقية القوى فتصير في بعض الاحوال شيئاً واحداً وفى بعض الأحوال أشياء مختلفة ـــ ولذلك يقول قوم إن النفس واحدة ولها قوى كثيرة، وقال آخرون : بل هي واحدة بالذات كثيرة بالعرض و بالموضوع (٣) . وتجد الكثير من هذا في أقوال الغزالى التى يكفر بها أرسطاطاليس ومن أخذ عنه من فلاسفة الاسلام كابن سينا والفارابى .

أما فى أوروبا فقد حاول العلمـاء هدمه عن طريق الفلسفة قبل أن يهدمه علم النفس الحديث . ففي المانيا بدأ الفيلسوف « كانت » حملة المعارضة بارجاع العمليات العقلية كلها الى نوع واحد وهو الادراك أو التمثيل Vorstellung الذى جعله أساسا للوجدان والارادة (٤) وأيده فى هذا (فورلاندر، وشلايماخر، وبنيكا، ودروبيش (٥) وغيرهم) ممن رفضوا أن « يتصوروا العقل مسرحا لحرب داخلية بين الملـكات وبعضها » التى يكون مثلها على حد قول « فورلاندر » كالامبراطورية الجرمانية الرومانية يتعصب فيهـا الأمراء « الملـكات » سلطة الامبراطور « العقل » أو أن تكون الحياة العقلية كما يقول « شلايماخر » مأساة أظهر ما فيها مؤامرات الشعب ودسائس الحكام » (٦)

أما فى فرنسا فقد حوره (ديكارت) تحويراً بليغاً أخرجه عن معناه الاصلى من الناحية الموضوعية الى الناحية الفاعلية النفسانية بارجاع كل الملكات وسائر الأعمال العقلية الى الفكر أو الشعور ، وقد فصل هذه النقطة تفصيلا جلياً بقوله :

« أنا أقصد بالفكر كل ما يحل فينا ـ أى فى عقولنا ـ فنشعر به من تلقاء أنفسنا مباشرة وبناء على هذا تكون الأرادة والفهم والتصور وكذلك الأدراك الحسى والأحساس كلها تفكير ـ أى ليس لها ملكات خاصة ـ فالعقل وحده هو الذى يدرك ويعى » (٧)

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق : الطبعة الحسينية ص ٥و٦ (٢) التهذيب ص٨

(٣) التهذيب ص٤٣ (٤) راجع Sully: Mind. P.50 (٥) Vorlander, Schleiermacher Beneke, Droblsch.

(٦) راجع Maher : Psych. P.39

(٧) Descartes. Principles of Philosophy, Part 1, P. 9

وقد لخص هذه النقطة بجملته المأثورة : «أنا أفكر فاذا أنا موجود ـ Cogito ergo sum وهو بهذا يرد كل مظاهر الكائن الحى التى تشعر بوجوده وكينونته : « التى كانت تنسب قبله الى النفوس المتعددة أو القوى العقلية الى قوة واحدة وهى التفكير أو الأدراك على اعتبار أن الأدراك يشمل كل ما يحدث فى نفوسنا فنشعر به» (١) ويزيد هذه النقطة توضيحاً بقوله : « إن حقيقة وجودى أنا لترتبط ارتباطاً وثيقاً بحقيقة حدوث الفعل الشعورى المحدود ، وليس وجودى مستمداً من الشعور ذاته ـ كما ظن معارضوه ـ وإن كان لا يتمثل ولا يتحقق إلا في وجود الادراك . فكلاهما عاملان لا ينفصلان فى كل موقف ، أو فعل محدود يحدث في فترة محدودة من الزمن» (٢) ونشير هنا إلى أنه لم يقصد بالتفكير الادراك المجرد، وإنما الأدراك الحسى المميز ولذلك قال بالتخصيص Cogito ergo sum ولم يقل بالتعميم Cogitatio ergo ens أو entitas

أما قوة القوى أو ملكة الملكات التى تقوم بعملية التفكير المتضمن لسائر العمليات العقلية فهى فى نظره العقل وحده . فيقول :

« وأقول إن الجوهر الذى يقيم فيه التفكير مباشرة هو العقل Mens, Esprit ولم أقل Anima لأن هذه يقصد بها عادة شيء متجسم (٣) ويلخص (ديلافورش) الموقف بقوله : « إن التفكير هو الادراك الحسى أو الشعور أو العلم الباطنى الذى يشعر به كل منا مباشر بنفسه عند ما يدرك ما يفعله وما يعرفه » (٤) والخلاصة أن (ديكارت) وأتباعه ردوا كافة الأعمال العقلية الى العقل Mens sive auimus أو النفس المفكرة غير المستمدة من قوى البدن والتى لا تسكن في البدن كما يسكن القبطان السفينة وإن كانت تندمج فيه لتحس وتشعر أى يكون لها احساسات ونزعات وشهوات يتكون من مجموعها الرجل الحقيقى (٥)

وعلى أثر (ديكارت) هب لمعارضة المذهب في فرنسا (ريبو) و (تين) و (جماعة الوضعيين) وكان لهم (هارتلي) واتباعه من أنصار مدرسة (التداعى) ضربة قاسية . وفى أوائل هذا القرن بدأ (براون) الحملة من جديد وتبعه (بيلى وصللى) (٦)

(١) (ديكارت) تعاريف ص ٨٥(1875) Définitions: Resp. ad Sec. Obj. P.85

(٢) Méditations . Intr. P.22, Part 2, P.501

(٣) راجع رده على الاعتراض الثانى Reply to the Second Objection . Garnier Tome 2, P. 78 - 84

(٤) De la Forge, De l'Esprit, ch. III P. 14.

(٥) راجع الفصل الخامس من Méditations

(٦) Ribot, Taine, Positivists, Hartley, Associationists' Brown, Bailey, Sully

وكذلك قضى علماء النفس والفسيولوجيا حتى القرن الثامن عشر على نظريات (جال) و (اسبورزهايم) فى علم الفرينولوجيا وعلم فراسة الوجه (١)

وكذلك لم يخل علم النفس فى القرن السابع عشر ، من هجمات أنصار هذا المذهب أمثال: « بلاتن » و « بنديكتوس » و « هوفمان » و « بوكين » (٢) .

أما علماء النفس التحليلي ، فقد عارضوا المذهب من النواحى الآتية :

(١) وحدة العقل : العقل وحدة كاملة لا يمكن تجزئتها ، وعملياته متصلة متجانسة ، تربطها روابط ثابتة ، تجعلها كحلقات السلسلة الواحدة ومجرى الشعور ، وأن تكون من وحداتها ما يمكن تمييزها بعضها عن بعض ، إلا أنه قد يزيد عن مجرد مجموع الوحدات التى يتكون منها . وما هذه المظاهر النفسية المتعددة ، والعمليات العقلية المتباينة التى نسبها الأقدمون إلى ملكات مسؤولة عن إحداثها وخلقها ، بسوى صور لشيء واحد ، وهو العقل . (٣)

وبعبارة أخرى ليست الحياة العقلية بمجموع حالات مختلفة ، أو عمليات مميزة ، وإنما هى وحدة كاملة تتضمن جزئيات مرتبطة ، تتمثل فى العمليات العقلية التى يقوم بها العقل فى آن واحد ، أو فى أدوار متعاقبة (٤) كذرات الجزئية الكيمائية للعنصر الواحد .

(٢) نقص التحليل : لم يعن أنصار المذهب بتحليل الملكات المزعومة إلى أبسط أصولها ، أو دراسة الحالات المختلفة التى تتمثل فيها ، فقد اعتبروا ملكة واحدة ما هو فى الواقع مجموع أعمال عقلية ، كل منها يصح أن يكون فى ذاته ملكة مستقلة فقد يصح أن يكون هناك فارق بين تذكر الانسان للوجوه ، وتذكر أسماء أصحاب هذه الوجوه .

(٣) خطأ التأمل الباطنى : واعتمدوا كذلك كل الاعتماد على التأمل الباطنى ، وفاتهم عملية الادراك ، أو الارادة ، أو حالة الانفعال التى تبدو كاملة أثناء اللحظة التى يقومون فيهم بالتأمل الباطنى قد تكون فى ذاتها نتيجة لسلسلة تغيرات طويلة ، كل حلقة من حلقاتها مهدت الطريق لما بعدها من الحلقات ، فحكمهم على العملية العقليـة عامة إنما هو فى الواقع حكم على جزء واحد ، أو حلقة خاصة من هذه العملية ، أو نوع خاص ، قد لا ينطبق على كل ما سواه من الحالات . فالحكم على شخص واحد بأنه جبار الذاكرة ، لمجرد ملاحظة أنه علم بكل أطراف الموضوع الذى نعالجه ، وبكل مراجعه والتسرع فى استنتاج أن هناك شيئاً عاماً أو قوة موجودة بالفعل اسمها ملكة الذاكرة — حكم فاسد لا يمكن تطبيقه على كل الناس.

وهب علماء النفس التجريبي لمناقشة هذا المذهب من الوجهة العملية وتمحيصه بطرق عملية

(١) راجع (صالى) العقل ص ٥٠ (٢) Platen, Benedictus, Hoffmann, Rankin

(٣) ماهر . علم النفس ص ٣٧ (٤) علم النفس التحليلي ص ١

سنشرحها فى مقالنا المقبل ، وكلهم من العلماء الأعلام أمثال : « ثورنديك » و « كارى » و « سلايت » و « ونش » (١) . فأثبتت نتائجهم إثباتاً قاطعاً لا شك فيه ، تؤيده البراهين العلمية والمشاهدات ، أن ليس هناك شيء يصح أن يطلق عليه لفظة ملكة بالمعنى الفلسفى القديم . وتتلخص نتائجهم فيما يأتى : —

(١) ليست الملكة فى ذاتها حقيقة كائنة بالفعل ، أو قوة تسبب حالة عقلية خاصة ، أو تحدث عملا خاصاً ، ولا هى بمجموعة حالات إدراكية أو عقلية من نوع واحد تتشابه تمام المشابهة حتى يصح أن يطلق عليها اسم ملكة عامة .

(٢) نعرف كذلك بالتجارب الشخصية والعلمية أنه ليس هناك ملكة واحدة تسمى ملكة الذاكرة يصح ان تكون قوية أو ضعيفة على وجه العموم فى فرد واحد — فقد يسهل على المرء تعرف صور بعض الاشخاص أو تذكر ملامحهم فى حين انه يتعذر عليه فى نفس اللحظة ان يتذكر اسماء هؤلاء الاشخاص وكذلك قد يسهل على الفرد تذكر تواريخ الحروب والحوادث الهامة في التاريخ بقدر ما يصعب عليه تذكر أرقام التليفونات أو الاحصائيات العلمية ، فى حين أن الأساس فى الحالتين واحد وهو الأرقام ، وقد اثبتت تجاربى التى قمت بها فى انجلترا انه قد يسهل على الانسان تذكر الالوان الحمراء التى تمثل مجموعة اللون الأحمر بقدر ما يصعب عليه تذكر الالوان الزرقاء ، مع ان الاساس في الحالتين واحد وهو اللون ، وكذلك وجدت ان لا علاقة مطلقا بين تذكر الاشكال المنتظمة والاشكال غير المنتظمة بحيث يصح ان يكون المرء قويا جداً فى تذكر إحدى المجموعتين وضعيف جداً فى تذكر المجموعة الثانية — على ان الاساس ايضاً واحد فى الحالتين وهو الخطوط (٢)

(٣) تمرين الملكة الواحدة فى ناحية معينة عن طريق التكرار قد يؤدى الي تحسين هذه الملكة في هذه الناحية فقط .

ولكنه لن يحدث اى تغيير جوهرى فى النواحى الاخرى لهذه الملكة او في أية ملكة أخرى ترتبط بها فى أية ناحية من النواحى ، فتقوية الاستنتاج فى عمليات الحساب لا يقوى الاستنتاج فى أية مادة اخرى ، ولا حتى فى علم الجبر ، وقد وجدت كذلك ان تقوية ذاكرة الاشكال ذات الخطوط المستقيمة لا يصحبه أى تغيير في تقوية ذاكرة الاشكال ذات الخطوط المنحنية .

---

(١) Thorndike, Cary, Sleight, Winch. (٢) رسالة للكاتب بالانجليزية عن : طبيعة ذاكرة الألوان والاشكال Specific Nature of Colour and Form Memoris

وأدت نتائج الباحثين في بعض الملكات الرئيسية الي نتائج هامة يحسن أن نشير اليها في شيء من الايجاز لتتمة البحث وان كنا سنتناولها بالاسهاب في مقالنا التالى :

الزاكرة : —

ـ ١ ـ من الثابت أن هناك أنواعاً رئيسية للذاكرة مستقلة عن بعضها تمام الاستقلال ولا تربطها ببعضها أية روابط . فيصح أن يكون الفرد قوياً جدا في أحدها أو بعضها وضعيفا في البعض الآخر (١) كذلك تؤيد التجارب أن هناك ذاكرات رئيسية كل منها تستند الى حاسة خاصة كالذاكرات السمعية والبصرية الى آخره ، وكل منها تنقسم بدورها الى أنواع ثانوية يربطها عامل واحد و هو الصفة العامة للنوع الرئيسي الذى تتفرع منه، وقد نصل بزيادة التحليل الي أنواع ابسط من هذه وهكذا حتي نصل الي عناصر أولية لاعدد لها تكون كالجواهر الفردة و يصبح حقيقة ما اعتبره (استاوت) فرضا « لما كانت الذاكرة في الواقع تتمثل فى قدرة العقل على استرجاع الحوادث الماضية وتذكرها كما حدثت وجب أن يكون لكل تجربة ماضية ذاكرة خاصة » (٢)

وعلي هذا تنقسم الذاكرة أولا الي اقسام رئيسية تمثل الحواس التي يستقبل العقل عن طريقها المؤثرات الخارجية ـ بصرية وسمعية وذوقية الخ ـ وتنقسم البصرية ـ بدورها الى أقسام ثانوية للأشكال والألوان والوجوه والحروف الخ . وقد وجد المؤلف أن لكل لون من ألوان الطيف الشمسي ومجموعته الخاصة ذاكرة مستقلة بذاتها . وكذلك تختلف قوة تذكر الاشكال المنتظمة ذات المعنى عن الاشكال غير المنتظمة التي لامعنى لها . (٣)

ـ٢ـ فلا صحة إذاً للقول بأن هناك ملكة عامة تقوم بكل عمليات التذكر.

ـ٣ـ والتمرين علي حفظ شيء معين قد يساعد على تسهيل حفظ هذا النوع بذاته . ولكنه لايؤدى إلى أى تحسين فى باقي الأنواع أو بعضها مالم يكن هناك عامل مشترك بين النوعين (٤)

ـ٤ـ علي أنه من المرجح أن للتمرين نهاية طبيعية لايحصل بعدها أى تحسين مهما بذل من الجهد في الحفظ والتمرين .

---

(١) راجع مقال الكاتب عن النسيان في مقتطف فبراير سنة ١٩٣٠

(٢) (استاوت) : دليل علم النفس الكتاب الرابع الفصل الثالث

Stout .Manual , B k . 4 . C 3

(٣) راجع مقدمة رساله المؤلف

(٤) راجع مقال « سلايت » في مجلة علم النفس البريطانية الجلد الرابع S ight

الانتباه : —

ليس هناك مصدر واحد أو مؤثر أو سبب خاص ينتج الحالة العقلية التي نطلق عليها كلمة الانتباه (١) وليس هناك مقياس واحد يصح ان نقيس به عمليات الانتباه المعقدة وانواعه المختلفة (٢) لأنه يترتب على طبيعة المؤثر الموضوعيـة والشوق والرغبة الشخصية فى تتبع حالة معينة — والشوق في ذاته مركب من حالات مختلفة متعددة ليس بينها أدنى ارتباط. (٣)

فمن العبث القول بأن هناك ملـكة خاصة تدفع العقل الي الانتباه لـكل شيء (٤) أو أنها قابلة للتمرين .

الخيال

وكذلك أثبتت التجارب أن الخيال ليس بملـكة عامة يمكن تدريبها وتنميتها عن طريق الدرس والاطلاع . لأن مجرد زيادة المعرفة بأنواع متعددة من العلاقات الفـكرية لا تهيء العقل لأكـثر من العمل بمقتضى هـذه الارتباطات . ولـكنها لاتخلق قوة الابتـكار والتشابيه والاستعارات ، والمحفوظات التي يملأ بها طلاب الأدب عقولهم لاتفيدهم فى أكثر من أن تجعلهم مقلدين لا أكثر ولا أقل . فحفظ ضروب الشعر وألوانه المختلفة لمن لا يدرك معنى الشعر إدراكا ساميا ويتذوق مافيه من جمال لايخلق منه إلا شويعراً بسيطا يحاكى مقامات القدماء كما تحاكى الببغاء لغة الانسان .

الملاحظة

تختلف وجهات نظر الناس عند ملاحظتهم لشيء واحد . فالجيولوجي يرى في الحجر الواحد ما ينبؤه عن عمره وعمر طبقته والعصر الذي تـكون فيه. أما الـكيميائى فيهتم بملاحظة تركيبه الطبيعي والعناصر الداخلة فيه . أما عالم المعادن فيرى فيه عرق الذهب ان كان من الـكوارتس أو الاسبستوس إن كان من السربنتين الازرق . وعالم الجغرافيا يرى فيه تأثير المـطر والرياح وسائر عمليات التحات وهو حجر واحد لم يتغير . ولذلك تختلف وجهات نظر الناس فى ملاحظة الشيء الواحد باختلاف رغباتهم وميولهم ودراساتهم وسابق معرفتهم وعلمهم به .

والواقع ان الاستمرار علي ملاحظة شيء معين او دراسته من ناحية خاصة قـد يصرف الذهن عن ملاحظة الأشياء الأخرى أو دراستها من نواحيها المختلفة فليست هناك اذن ملـكة للملاحظة حتي يمكن تدريبها .

---

(١) Watt, Economy and Training of Memory P. 37

(٢) Rusk, Exper. Education P.41

(٣) Arnold. Attention and Interest P. 42

(٤) Baldwin . Psy. P. 444

الاستدلال والحكم

قد ثبت أخيراً أن ليس هناك أدنى ارتباط بين الاستدلال المنطقي في القضايا الرياضية والاستدلال في اي نوع آخر من القضايا ، فالمحامي الفذ الذى يستخلص من قضايا الأجرام أدلة وأساليب لاتخطر علي بال قد يعجز عن تلمس البرهان في مسألة حسابية بسيطة او نظرية هندسية . وان كل نوع من انواع الحكم يتطلب معرفة خاصة وطريقة ممتازة للتفكير . فالقول بأن هناك ملكة للاستدلال والاستنتاج والحكم ، وأن دراسة الرياضيات كما يقول أفلاطون وارشميدس وفيثاغورث أو دراسة اللغة اللاتينية كما كان يقول علماء التربية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، هى خير طريقة لتدريب ملكة الاستدلال والحكم وتغذيتها هو قول باطل .

الارادة :

تترتب ارادة الفرد على عقليته ومبادئه وعواطفه ونزعاته و بالجملة على شخصيته . ولما كانت هذه العناصر مختلفة في الاشخاص المتعددين وغير متساوية فى الشخص الواحد فليست هناك إذاً قوة أو ملكة عامة يصح أن تسمى إرادة . والشخص الذى يقال عنه قوي الأرادة هو فى الواقع يخضع لاشياء معينة أو يقوم بأعمال خاصة توافق نزعاته وميوله وتنيله السرور واللذة على حساب الأمور الأخرى التي لا يميل اليها بطبيعته ، فنستهجنها في الاشخاص الآخرين كثيرا ماترمى الي العناد وصلابة الرأي وعدم الميل للاقناع بالحجة الدامغة فهو فى الحق ضعيف فى الناحية التي يقول أو يريد أن يظهر أنه قوى فيها ؟

محمد مظهر سعيد

علم الحياة

(بقية المنشور على الصفحة رقم ٩٦٢)

كيف يمكن للانسان أن يصلح نفسه وغيره ؟ أليس بتلافى غلطات الغير واجتناب الوقوع فى زلات الآخرين ؟ . ! وما فائدة التواريخ التى نقرأها ؟ أهى لمجرد التسلية وقطع الوقت ؟ لا، لا، إنها صورة حية ندرس بوساطتها احوال الأمم الغابرة وماحدث للشعوب السالفة من خفض ورفعة ، فنقف على مواضع الضعف منها فنتجنبها ، وعلي مواضع القوة فنأخذ بأسبابها ومسبباتها ؟

محمد سعيد بخت ولى

الجمال فى النثر

« اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق ، اقرأ
وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم »
(قرآن كريم)

إن هذه السبائك الذهبية، أو العقود المنظمة اللؤلؤية التى صاغتها يد القدرة الربانية، ورتبتها على أكمل نظام فى الأحكام فى عالم البلاغة ، من رتب عوالم الطبيعة ونظمها على أكمل صورة فى الحسن ، لذلك ترى بين هذه الكلمات العاليات ، و بين بدائع عوالم الطبيعة اتصالا قوياً كالاتصال بين الجسم والروح، يشهد بذلك من تذوق شيئاً من طعم البلاغة فى الكلام العربى فاستجلى وجدانه شيئاً من ماء حسنه العذب السلسبيل ، ولكن لم كان هذا الاتصال ؟ وكيف كان هذا الجمع العجيب بين الكلام الذى هو صورة لفظية تشف عن المعانى المكنونة فى النفس و بين هذه العوالم الطبيعية من حيث اشتمالها على أنواع من الجمال؟ جمال كل صورة فى الطبيعة إنما هو التئامها مع الغرض الذى خلقت له . هذا القانون مستمر فى أجزاء المادة أسماه الفلاسفة وحدة النظام فى المبدعات الدال بضرورة البرهان على وحدة المبدع الذى خلق الأشياء ورتبها بمحض مشيئته فجعلها على ذلك النظام الذى يونق أعين الناظرين .

الكلام مقاطع صوتية كالبناء الذى يؤلف مجموعة صورة هندسية لها دولة ما فى عالم الحسن كذلك كان مجموع هذه المقاطع الصوتية يمثل لك المعانى النفسية كاملة الافادة بحيث تقرأ فى هذه المقاطع صورة النفس بترتيب من أتقن كل شىء ، ولكن هل خامر فكرك يوما أن أبدع صورة هندسية عنى بها أبرع الحائزين قصب السبق فى مهنة البناء شابهت بجمالها وما اشتملت عليه من إحكام فى عالم الحسن مشهداً ما من مشاهد الطبيعة من حيث الجودة والاتقان وتركه (تركه هذا المشهد) فى عين البصير ذى الوجدان الحى والقلب الحى من الاثر الشعرى ؟ قال كارليل الانكليزى : « ألا ترى الزهرة مع أنها لم تنسجها يد ناسج فقد كسيت من الحلل مالم يكسه سليمان عليه السلام فى ريعان ملكه » وهى كلمة ينسبها كارليل الى التوراة وهذا كلام صحيح ، فان ما كسيه سليمان عليه السلام ، إنما هو نسج المخلوقين وصنعهم ، أما الزهرة ، فانما نسجت حللها إبداعاً يد القدرة الربانية ، وشتان ما بين صنع المخلوق وصنع الخالق وإنما قدمت هذه الكلمات ، ليعرف أن الكلام فى عالم البلاغة ، كالبناء فى عالم البنيان فمن الكلام ما حاز درجة متوسطة فى الحسن فهو يشبه بناء له جمال . ومن الكلام ما غزر حسنه لما اشتمل عليه من جمال

لفظه و بديع تركيبه لجمال معناه، فان الألفاظ أثواب المعانى ولكن الثوب اللفظى يشف عن معناه كما يشف الزجاج الصافى عن الماء الصافى ، فاللفظ دوما تبع للمعنى بحيث متى وضح المعنى في النفس وضوحا كاملا تبعه ضرورة تبعية اللازم الملزوم لفظه الذى هو ثوبه لأن مدلولات المعانى أسماؤها ، وهذه (الأسماء) مرتكزة فى النفس أثناء التصور فما على الكاتب الا الأجادة فى التفكير قبل الاصابة فى التعبير والتصوير اللفظي.

هذه حقيقة يجب أن يتنبه اليها الكاتبون فيعرفون أن ما ينسبونه الى اللغة العربية من القصور أثناء الترجمة إنما إلى قصورهم عن إدراك ذلك، ومن هنا يتبين لك كما سأزيده إيضاحا بعد إن شاءالله تعالى. أن البلاغة في القول ، إنما هو للبلاغة فى المعني ، ولأرجع الى تحقيق ما كنت باحثاً فيه وهو أن من الكلام أيضاً ما يقع درجة سامية فى الحسن فهو دون الكلام المعجز وفوق مرتبة الوسط فهو يشبه أبدع ما أحكمته يد الصناعة من الآثار المشهودة ، ولكن اذا علمنا أن الجمال فى صناعة المخلوقين مهما بلغ من الجمال فهو (أعني جمال ذلك المصنوع) إضافي لأنه ما من صورة صناعية تصور العقل بلوغها أسمي ذرى الحسن الا وقد جاء انسان فأبرز ما هو خيراً منها وأجمل وأشد أثراً فى النفس . هذه قاعدة مستمرة في عوالم الصياغة .

كذلك قد كان التفاضل بين مراتب كلام المخلوقين من الشعراء والادباء والحكماء والفلاسفة فأنك لاتجد صياغة شعرية بديعة إلا وجدت ما هو أبدع منها ، كذلك قد كان شأن آثار الادباء والحكماء والفلاسفة ، فما من نظرية لم تبلغ درجة البديهة لانها أصبحت من التجربيات إلا وجدت ما هو خير منها وأعجب للعقل وأشد تضامنا للوجدان متى عقلها الجنان حتى تصل الى كلام معجز ، معجز فى معناه ومعجز فى لفظه وهو تركيبه وأسلوبه في تنسيقه واختيار كلماته بحيث لو بحثت اللغة لما وجدت كلمة واحدة تقوم مقام هذه الكلمة وتفى ما وفته باعتبار التئامها مع ما قبلها وما بعدها وأما إعجازه فى معناه فمن حيث إن ما أثبته هو الثابت فى عقول النظار، وما نفاه هو المنفى فحقه هو الحق وباطله هو الباطل وهو بعد هذا له صولة على النفس ذات القلب الحي لمجرد سماعه.

وهذه الصولة ، وان شئت فقل الدولة (فأن للكلام دولة) هي موسيقاه العالية والموسيقى فى الكلام ، هى عبارة ، عما اشتمل عليه ذلك الكلام ، من المعانى التى تخضع لهيبتها أعاظم الفلاسفة ، فكلام مثل هذا الكلام بلغ درجة الاعجاز من الظلم والانحراف عن الجادة الرشيدة أن يشبه بأجمل بناء في الدنيا بل العقل يقضى بصورة قاطعة أن ينظر بينه في الجمال و بين جمال الطبيعة، لجامع الاتصال بين الكلام المعجز و الطبيعة (أعني قوانينها وعوالمها) وذلك مادام مصدر الكلامين الكلام النفسي والكلام الخلقى واحداً ، وما دام المصور واحداً وهو الله عزوجل ، إلا أن عوالم الطبيعة على سبيل الابداع والاختراع ، اما الكلام

(البقية فى الصفحة رقم ٩٨٢)

بشار بن برد

للأستاذ أحمد حسنين القرنى

مقدمة

لكأن الأدب منذ كان ، وكانت السياسة — خصمها العنيد ، وهى عدوته اللدود ، لا ينتهى ما بينهما من نضال ، ولا يقف عند حد ، فالنصر دولة بينهما ، لا تستأثر هى بالغلبة وحدها ، ولا يختص بها بمفرده .

وليس الأدب من حيث هو أدب خصما للسياسة من حيث هى سياسة ، إنما تتمثل الخصومة فى رجال الأدب ورجال السياسة . الأولون بأقلامهم و بأقوالهم ، والآخرون بسيوفهم ومدافعهم . وما ذاك إلا لأن الأدب نزاع برجاله إلى الحرية البريئة المطلقة . والسياسة نزاعة برجالها إلى القهر والاستبداد . فطالما كانت الحرية خصما للاستبداد ، فالأدب خصم للسياسة .

ورجال السياسة يحتاجون الأدب والأدباء ، ويفتقرون إليه و إليهم ، فيستدرجونهم حتى يمكن أن يستغلوا أثرهم فى النفوس ، وسلطانهم على القلوب ، فالأدب وحده هو الذى يستطيع الوصول إلى قرارة النفوس ، والدخول إلى الصميم من القلوب ، ولكن السياسة لا تقوم إلا على أساس من الأرهاب والأخافة ، ولهذا فبمقدار الأدب السياسى تكون سلطته الروحية على أعوانه وأنصاره .

و إذا استقر ذلك فى ذهنك عرفت لم قال موسى النبى مخاطباً ربه « وأخى هرون هو أفصح منى لساناً ، فأرسله معى ردءاً يصدقنى . إنى أخاف أن يكذبون » .

وعرفت كذلك لم منح الله نبيه محمداً سحراً و بلاغة ، وعرفت بعد ذلك أن السياسة لا بد لها من استخدام الأدب فى أغراضها ومآربها .

ولقد عد المؤرخون أن لغة العرب مدينة فى بقائها الطويل لأثر بيئتها فيها ، تلك البيئة التى كان أبرز ظاهرة فيها تقاتلهم المستمر ، وتطاحنهم على العيش ، وتزاحمهم على الحياة حيث يثيرون حفائظ القلوب و يبعثون كوامن الشجن بشعرهم وخطبهم ، فيثيرون حمية الجبان ، و يدفعونه إلى ميدان القتال بيد خفية هى يد الأدب القوية .

فالأدب والسياسة ، إذن ، لا يكادان يفترقان ، ولكنهما فى الوقت نفسه عدوان لدودان . ولئن كان التاريخ قد حدثنا عن أدب مزق السياسة ، وبددها ، وشتت شملها فقد حدثنا كذلك عن سياسة جنت على الأدب جناية لها أثرها الباقى ولو فنيت القرون والأجيال.

* * *

بشار بن برد شاعر من فحول الشعراء ، له أسلوبه ، وله تجديده ، وله علمه العالى الخفاق ، وقد راح ضحية السياسة وجنت عليه ، فجنت على الأجيال التى تعاقبت منذ زمن الدولة العباسية حتى الآن ، وجعلت الجم الغفير يقتلون الأيام تلو الأيام ، ويضيعون السنين تعقبها السنون فى البحث عن شعره وأدبه اللذين راحا ضحية السياسة .

وهذا الأدب ، وذاك الشعر هما مناط بحثنا .

الدولة العباسية

١ ـ عاشت الدولة الأموية ، ما عاشت ، عربية الصبغة فى كل ناحية من نواحى حياتها ، يتلقى عظماؤهم وأبناء أمرائهم الأدب عن الصحراء وساكنيها ، ويستلهمون الشعر والأدب سماءها الصافية ، وبساطتها المغرية ، وظلوا كذلك حتى غمرهم النعيم ، وحتى تأمر مترفوهم ، فبدأت الشيخوخة تتمشى فيها عضواً فعضواً ، والفناء يدب فيها قليلا قليلا ، حتى قام بنو العباس ، يظاهرهم الفرس ، بدعوة خفية إلى دولة جديدة تثأر من بنى أمية الذين نكلوا بالحسين وأبنائه وأذلوهم . ونجح أولئك الدعاة ، أو إن شئت فقل نجح الفرس فى الرغبة التى توجهوا إليها ، وقام عبد الله السفاح خليفة يعمل السيف فى رقاب بنى أمية ، يقتل أبناءهم ، ويتولى على أموالهم ، يعضده أبو مسلم الخرسانى الذى اختلفوا فى أصله ونسبه ، ويكفيك أن تعلم أنه ولد بأصبهان ، مدينة من صميم مدن فارس .

لم يكن أولئك العباسيون بالمغمورين حتى يقال أقامهم الفرس وأحيوهم ، ولم يكن الفرس من التفاهة ، بحيث يصح للتاريخ أن يهمل ذكرهم . أو بعبارة أخرى لم يكن العباسيون بالناكرين للمعروف حتى يتجاهلوا ضيعة الفرس فأوسعوا لهم صدر المكان من حاشيتهم ، بل أقاموا عاصمة ملكهم على حدود بلاد فارس ، لتكون همزة الوصل بين المتعاونين ، وفتحوا لهم باب المراكز على مصراعيه فولجوه ، وصاهروا العرب ، وأفرخوا فى ذلك العش الأمين ، وامتزجت أنسابهم بأنساب العرب حتى لم يعودوا يتميزون عنهم .

ومات السفاح وورثه فى ملكه أبو جعفر المنصور ، وترسم خطوات سالفه .

إلا أن الطبيعة دائماً تبعث فى قلب الأصيل خوفاً مزعجاً من الدخيل ، وذلك الخوف هو الذى جعل المنصور يهدر دم أبى مسلم ساعدهم ومعينهم على قيام دولتهم ، بل الآخذ الحقيقى

بيده إلى أريكة العرش يستوى عليها ملكا يأمر فيطاع . وقد قدمت لك أن العباسيين من صميم العرب يعرفون للجميل مكانته ، فلم قتله ؟ ولم أهرق دمه ؟

أمران كانا يتنازعانه — بلا ريب — قبل القضاء على أبى مسلم : اعترافه بالجميل له ، وفرقه من هذا الدخيل . وكلما هب بترجيح أحد الأمرين وقف له الآخر حائلا حتى أمعن أبو مسلم فى شعو بيته وغرق فيها ، وعندئذ استباح قتله آخذا بسبب ظاهرى تافه . فوضع القتل أساسا سيكون له أثره في شاعرنا المترجم له ، بل فى نكبة البرامكة التى سيظل التاريخ يذكرها وحسبك الآن أن تذكر أن أبا جعفر المنصور هذا هو والد المهدى الخليفة الذى عاصره شاعرنا وتقرب منه ثم نكب لحسابه ، وأن تعلم كذلك أن بشارا من اصل فارسى ، كما أن ابا مسلم من اصل فارسي ، وأن بشارا أديب ، والمهدي سياسى ، فان عرفت هذا جميعه ، وعرفت ما قدمناه لك من مستحكم العداء بين الأدب والسياسة استطعت أن تكون لك رأيا يعضد رأينا فيما سنذهب اليه فى تعليل نكبة بشار .

(٢) و إن يكن التاريخ لم يقطع بأقدمية تاريخ الفرس عن تاريخ العرب الا انه جزم بأسبقيتهم فى العلوم والسياسة والحكمة، وابناؤهم الذين امتزجوا بالعرب ، إنما داخلوهم وهم على ما هم من بصر بالعلم والأدب والسياسة والحكمة ، وحذقوا اللغة العربية وتلقوها عن جلة علمائها ، فأصبحوا قادرين على صياغة الأفكار الفارسية في القالب العربى الرصين . فبزوا العرب فى الأخيلة الشعرية الرائعة ، والمعانى الأدبية السامية وكونوا للأدب دولة فارسية تقوم الى جانب الدوله العربية السياسية .

لكل هذا اصطبغت الدولة العباسية بالصبغة الفارسية فى الأدب وخالفت فى ذلك الدولة الأموية .

(٣) فى طليعة السنة الخامسة والخمسين من الهجرة كان فى البصرة رجل من اصل فارسى من سبي المهلب بن أبى صفرة منكوبا فى بنيه لاتلد له زوجته إلا كل من شوهته الطبيعة وكانت تلك الزوجة في حمل يدنيها من الوضع ، وكان الأمل يحي هذين الأبوين ، والاحلام توحى اليهما صورة مولود فتان الطلعة ، أو على الأقل صحيح البدن ، ثم يأذن الله أن تأتى الساعة التى يتحقق فيها أملهما أو يفجعان فيه ، واذا بالزوجة تتمخض فتلد ، ويتحطم الامل بولادة طفل أكمه ، أعمى ، جاحظ العينين ، قد تغشاهما لحم أحمر مفزع .

• ذلك الأب هو برد بن يرجوخ الفارسي الأصل ، العقيلى بالولاء إلى بنى عقيل العرب ، وذلك المولود هو بشار بن برد .

ويأبى القدر السادر فى قسوته أن يدع بشاراً فى تلك الخلقة المشوهة التى كونه عليها ، وعلى هاتين العينين السيئتين اللتين سرى سيرهما مسرى المثل حتى قال المخلد بن على السلامى

وهو يهجو ابراهيم بن المدبر ويدعو عليه :

رأيتك لاتحجب الود إلا إذا هو كان من عصب وجلد
أرانى الله وجهك جاحظياً وعينك عين بشار بن برد

لم يدعه القدر على هذا المظهر المفزع حتى أحل به بلاء الجدرى فزاده سوءا على سوء ، وحتي رمى جسمه بالافراط فى السمن فصار أعجوبة الناس فى القبح والشناعة ، وحتي قال عنه الأصمعى « وصف بشار فكان أقبح الناس عمى ، وأفظعهم منظراً » بل حتي ليقال إن امرأة أزعجها بكاء طفلها ، وأعجزها السبيل إلى إسكاته بشيء يفزع له و يخاف منه فلجأت إلى صائغ ترجوه أن يصطنع لها « عفريتاً » تخيف به هذا الطفل الذى ابتليت بنحيبه المتواصل وإذا الصانع يردها خائبة لأنه لم ير عفريتا فيصوره ، وإذا هى توالي البحث عن وجه مخيف فلا تجد إلا وجه بشار كفيلا بأسكات هذا الطفل المتمرد فتحتال عليه حتي تصل به إلى الصائغ . وهناك تقول له في سذاجة (ها هو سيدى فافعل) و يجيبها الصائغ ، و يقف بشار مبهوتا لا يدرى مما يدور حوله شيئا . ثم يتهدد الصائغ فيفضي اليه بالأمر و يكتم عنه اسم المرأة .

و ينصرف بشار وفى قلبه حفيظة على الناس ، وفي صدره نقمة على القدر . أما نقمته على القدر فلم تبلغ من القدر شيئا ، وأما حفيظته على الناس فستتبين أثرها فيما سنورده عليك من شعره وأدبه

احمد حسنين القرنى
مدرس بمدارس النهضة المصرية الثانوية وكلية الفرير

الجمال فى النثر

(بقية المنشور على الصفحة رقم ٩٧٨)

الالهى القدم فهو على سبيل الأفاضة لمجرد الكرم الالهى والرحمة (وهي تنزله آية آية بواسطة الأئلة واتصال عناية بمخلوقاته . إنما الحادث هو هذه المقاطع الصوتية والحروف الحية وقد قيل:

صويته جمالك عنا وإننا بشر من التراب وهذا الحسن روحانى

والبيت فارق صحيح بين جمال المادة الذى يحده العقل لأن له حدوداً دقيقة فى الجمال الروحى. ومن هنا تدرك إدرا كا تاماً أن جمال الكلام الالهى لا يتصور له حدود فكلما غاص العقل بحثا فى محاسنها إزداد اقتطافا لأزهاره وورود

محمد زاكى عثمان

الدعوة الاسماعيلية وآدابها

الدكتور حسين الهمدانى

- ٢ -

كانت الحرة الملكة ، متبحرة فى العلوم ، وفنانة فى ميدان السياسة ، وفى أمر الحروب ، يعول عليها أمراء الجنود ، وباستحقاق استعبدت ملوك اليمن ، وكانوا لها طائعين . حتى إذا دنت منها المنية ، وشعرت بانتهاء الأجل أقامت الداعى ذؤيب بن موسى فى الدعوة ، وجعلته لدعاة اليمن القدوة والدليل .

ومما مدحت به الحرة الملكة الصليحيـة قول الداعى الأمير الخطاب بن أبى الحسن (١) صاحب مدينة الحريث حيث قال :

همم النفوس على النفوس مدارها　　وبها تبين كبارها وصغارها
إن النفوس فروع أجسام وما　　تبديه من همم النفوس ثمارها
وحياة أفضلها التقى إذ بالتقى　　تحوى بها مما ابتغت آثارها
كوحيدة الزمن التى أضحى التقى　　وشعارها من محضه ودثارها
رضى الأئمة سعيها فتوطدت　　فى الأرض دولتها وقرارها

توفيت السيدة الملكة فى سنة ٥٢٣ ، ودفنت فى جامع ذى جبلة ، وقبرها إلى اليوم مزار جميع الفرق الاسلامية ، ويعترف بفضلها الخاص والعام .

ولم تفارق الدنيا إلا وقد أقامت الداعى الذؤيب بن موسى ، وعضدته بالداعى الخطاب ابن أبى الحسن ، فقام بالدعوة إلى الامام الطيب فى حياتها وبعد وفاتها .

فأما الملك ، فانه صار فى عدن ونواحيها الى «تعز» «والجند» «وجبلة» لبنى زريع بن أبى السعود الجشمى الهمدانى إلى أن أزالهم ابن مهدى عن التعكر ، وغير ذلك من المعاقل والمدن ، وبقى عدن فى أيديهم ، حتى أزالهم منه الملك المعظم توران شاه بن أيوب . وملك صنعاء وأعمالها السلطان حاتم بن أحمد الهمدانى ، وملكها بعده ابنه السلطان على بن حاتم وأولاده ، حتى دخل اليمن الملك طغتكين بن أيوب ، فزالت بعد وفاة السيدة الصليحية كل قسوة سياسية من الدعوة ، وإن كانت الدعوة سعت غير مرة لحصول القوة السياسية فى البلاد اليمنية فانها لم تزل الدعوة جمعية باطنية دينية .

---

١ - أنظر فهرست الكتب الخطية العربية فى مكتبة ليدن بهولاندا

ومن اكبر نتائج هذا الفصل بين الدعوة والسياسة ، هو محافظة آداب الدعوة الاسماعيلية القديمة التي توجد فيها كتب ابى يعقوب السجستانى وابى حاتم الرازى (من كبار المؤلفين والدعاة في أيام المهدى بالله الفاطمى) وكتب الداعى جعفر بن منصور اليمن والقاضى النعمان (فى أيام الخليفة المعز بالله الفاطمى) وكتب احمد حميد الدين الكرمانى (حجة العراقين وداعي دعاة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى) وكتب المؤيد فى الدين الشيرازى باب الخليفة المستنصر بالله) وكتب بدر الجمالى وغيرهم من الدعاة والمؤلفين .

وانتقلت الدعوة الفاطمية المستعلية المعروفة بالدعوة القديمة من مصر الى اليمن ولم يبق بمصر أثر من هذه الدعوة بعد انقراض الدولة الفاطمية .

توفى الداعى الذؤيب فى سنة ٥٤٦ وقام بعده الداعى ابراهيم بن الحسين الحامدى بالدعوة ومن اكبر تصانيفه (كتاب كنز الولد) وهو موجود فى خزائن كتب الدعوة . فقام بعده ولده الداعى حاتم بأمر الدعوة فى جزيرة اليمن — وللداعى حاتم بن ابراهيم تأليفات كثيرة ، ومن أجل تصانيفه كتاب (تنبيه الغافلين) وكتاب (تحفة القلوب) .

اهتم دعاة اليمن بدرس رسائل إخوان الصفا فنجد ذكر هذه الرسائل أول مرة فى تأليفات الداعى ابراهيم بن الحسين الحامدى ، فصارت الرسائل وكتب الدعاة المؤلفة فى أيام الفواطم عمدة لهذه الدعوة . إن آداب الدعوة اليمنية المتأخرة ، هى مجموعة من الرسائل المذكورة والمؤلفات الاسماعيلية المتقدمة .

وقد يطول ذكر الدعاة ومؤلفاتهم إن استقصيته ولكنى أشير الآن فقط لاسم الداعى على بن محمد بن الوليد القرشى المتوفى فى سنة ٦١٢ ه واسم كتابه المهم (كتاب دامغ الباطل) الذى الفه ردا على كتاب المستظهرى للغزالى ثم جاء فى افق الدعوة اليمنية الداعي عماد الدين ادريس القرشى الآنف الذكر فى سنة ٨٣٢ ه وله تصانيف كثيرة فى علوم شتي وأمامكانه فى آداب الدعوة فجليل لأنه بلغ فى تاريخ آداب الدعوة نهاية لم يبلغها بعده أحد وأما مؤلفاته فمهمة جدا لأنها تحتوى على تاريخ هذه الدعوة وآدابها وأصولها ولأنها جامعة للآداب الاسماعيلية المتقدمة ومن تأليفاته الجليلة (كتاب عيون الاخبار) في سبع مجلدات وكتاب (نزهة الافكار) وكتاب (روضة الاخبار) وديوان ضخم . وكتاب (زهر المعاني) وغيرها .

انني سأنشر فى المستقبل كتاب زهر المعاني وهو كتاب جامع لأصول الدعوة الباطنية الجليلة . إن هذا الكتاب لا يطلع مستجيب الدعوة على مافيه إلا بعد استفادته آداب الدعوة كلها بأذن الداعى المطلق ، وهو صاحب الأمر كما أشار مؤلف هذا الكتاب فى مقدمته

حيث يقول : « وأنا آخذ عهد الله الأكيد وميثاقه الشديد علي من صار كتابى هذا إليه أن وقف عليه ولا اطلع على مافيه إلا بفسح من إليـه الأطلاق ممن يعطى مما أعطاه ولى الله بالاستيجاب والاستحقاق أخ . »

وإنى أقسم هذا الكتاب إلى أربعة أقسام كما يلى :

(١) التوحيد (Theology) الباب الأول — فى إثبات المبدع واستشهاد الموجودات إلى هويته . الباب الثانى ـ فى سلب الأسماء والصفات عن المبدع . الباب الثالث ـ فى مواقع أسماء الله الحسنى ، ومن المستحق أن يشار بها إليه .

(٢) عالم الأبداع وعالم الجسم والطبيعـة (Cosmogony) الباب الرابع — فى صفة وجود عالم الأبداع فى أول وهلة وتساويهم فى الوجود على التفصيل والجملة . الباب الخامس — فى سبق الأول من عالم الأبداع الأول إلى التوحيد ، وما اختص به لسبقه من إمداد بنور التأييد . الباب السادس — كون الأبداع الأول لعالمه أولا ، وعلة بها تواليهم وتتاليهم على الولاء . الباب السابع — فى ذكر المنبعث المكنى عنه باللوح ، وماله من الشرف على عالمه وأنه يتلو الأول ويقفوه فى جميع مراسمه . الباب الثامن — فى توالى مراتب علم الأبداع وتفاضلهم على قدر سبقهم . الباب التاسع — فى عاشر الرتب وتخلفه وإنابته ، وما ألزم من تدبير العالم الذى عليه وجب . الباب العاشر — فى الهيولى والصورة وما وجد عنهما من الأفلاك والامهات ، وما نضد فيها على أحسن الترتيب والثبات . الباب الحادى عشر — فى ذكر المواليد التى هى المعادن والنبات والحيوانات ، وكيف ظهر صفوتها وخلاصتها الذى هو الانسان .

(٣) الانسان (Anthropology) . الباب الثانى عشر — فى ذكر آدم الكلى الأول وما استحقه من المقام الأشرف الأسنى الأكمل ، وذكر دوره ، الذى هو دور الكشف والظهور ، وما كان . الباب الثالث عشر — فى ذكر الأنبياء ، الذين قاموا بالشرائع والمستقر منهم والمحمل للأمانات فى الودائع ، وذكر من قام بعدهم من الأبناء والخلفاء . الباب الرابع عشر — فى ذكر محمد ، ومقامه الأفضل المحمود ، وما استحق من الفضل . الباب الخامس عشر — فى ذكر على وحتى محمد . الباب السادس عشر — ذكر فاطمة البتول والسبطين وكون الأمامة رجعت بعد الحسن مستقرة ، لا تخرج عن عقب الحسين . الباب السابع عشر — فى ذكر الأئمة من درية محمد . الباب الثامن عشر ـ فى ذكر الأمامة والأمام ، وماعبر به من ذكر الناسوت واللاهوت فى الناسوت واللاهوت فى الكلام . الباب التاسع عشر ـ فى ذكر الحدود .

(٤) القيامة والمعاد (Eschatology) . الباب العشرون — فى ذكر القائم ، سلام الله على ذكره ، الذى هو للنطقا والأئمة الختام وبه الكمال لعدتهم والتمام ، وما يكون على يديه من الثواب والعقاب ، والصعود فى زمرته إلى العالم الروحانى ، الذى إليـه المرجع والمآب . الحادى والعشرون — فى ذكر المعاد .

حسين الهمدانى

الارادة والغريزة

للأستاذ عبد اللطيف النشار

كن كيف شئت فأنت أنـ   ت كما خلقت وما تريد
إن الارادة والغريـ   زة مظهرا شيء وحيد
تختار مصطراً فعقـ   لك يتبع الطبع العتيد
والعقل عند الناس كالأظـ   فار فى أيدى الأسود
خلق الضرورة فيهما   وهى الارادة فى المريد
من ساد ساد لأنه   لم يستطع أن لا يسود
ولقد تقول لم التقلـ   ب فى الحظوظ وفى الجدود
قد يسعد العانى الشقى   وربما شقى السعيد
مهلا فكل ضرورة   فى النفس تنقص أو تزيد
زدها تزدك تبصراً   ولكل مقدرة حدود
فى كل وخزة مطلب   رأى لطالبه جديد
كن كيف شئت فأنت أنـ   ت كما خلقت وما تريد

عبد اللطيف النشار

اللغة العربية ومقامها بين اللغات

أتينا فى الكلمة السابقة (١) على دعوى جمود اللغة وقدمها ، وقعودها عن مسايرة الفكر فى هذا العصر فكشفنا غطاءها و بينا خبيئها . وأخرجناها من لفائفها وما يحيطها من إبهام ، ونزعناها من سدائلها وما يكتنفها من إبهام . فظهرت أنها لا أصل لها . ولا مساغ لتصديقها.

وكان أن مرت بنا فترة من الزمن توترت العلاقة بيننا و بين الاستاذ الفاضل صاحب «المعرفة» قليلا ، فأوقفنا فى الطريق دون التكملة . أما وقد زال والحمد لله ما كان بيننا من سوء فلا ضير إذن من العود إلى الاتمام :

وسنعرض اليوم الى دعوى أخرى يعتبرها — أولئك القاصرون فى اللغة العربية — حجر الزاوية فى بنائهم وهى دعواهم أن اللغة العربية تعجز عن نقل الثقافات الغربية الينا وما يبرزه علماء أوربا وأدباؤها من علم وأدب وفلسفة واجتماع وما إلى ذلك مما يطول فيه باعهم وتقصر عنه أفهامنا .

ولم ندر والله كيف يتسنى لامرىء أن يستسيغ هذا الكلام وعنده شىء من التفكير الصحيح ، اللهم إلا اذا أسف عقله وأمده بعد بخيال كسيح . وما لمثل هذا نكتب لأننا لا نطمع فى إقناعه اذ أنه لا يشعر إلا بمقدار ما فى نفسه من مادة الشعور لا بمقدار ما فى شعوره من مادة الحقيقة — كما أننا لا نحب أن نقف باللغة العربية عند حدود الاعصر البدوية الاولى فنطلق الجمل على « الاكسبريس » والهودج على عربة (بولمان) ونحصر سيال الفكر الجارف فى ذلك المفيض الضحل لأن طبيعة الحياة وسنة الترقى تقضيان بالمبادلة الفكرية والتعاون العقلى منعا لانقطاع الصلة بين الشعوب ودفعا للعزلة بين الامم . وإذن فلننظر هل اللغة العربية صالحة ؟ لايجاد تلك الصلة أم يقعد بها العجز دون إيجادها ؟

كان عصر الدولة العباسية عصر ترجمة وانتاج عقلى استعرضت فيه طائفة كبيرة من آراء اليونان وخصوصا عهد « المأمون بن الرشيد » الخليفة العباسى فانه أقام « بيت الحكمة » فى « بغداد » فى القرن الثانى للهجرة وجمع فيه صفوة مختارة من أساطين العلماء المشتغلين بالنسخ والترجمة « كيحيي بن ماسويه وحنين بن اسحاق وابنه اسحاق بن حنين وحبيس الاعشم »

وكان أول عهد احتكاك العرب بتلك الآراء مقرونا باسم « عبد الله بن المقفع » ولم نسمع بأن اللغة العربية ضاقت يوما بنقل تلك الثقافة على اختلاف أنواعها وتباين ألوانها (٣) ولسنا

---

(١) راجع مجلة المعرفة ج ٤ (٢) المسعودى ج ٨ طبع ليبسك (٣) تاريخ الفكر العربى

نغلو إذا قلنا إنها أمدت اللغة اللاتينية، والاغريقية، ومعلوم أنهما من منحدر لغات أوربا جمعاء - بالكثير من الكلمات (٢)

فمثلا كلمة Habere في اللاتينية وبالفرنسية Avoir وبالانكليزية To have أخذت عن أصل عربي وهو «حوى» وكلمة Esse وبالفرنسية Etre وباليونانية Einai أصلها عربي وهو «أيس» (٢) كما أننا لا نبعد عن الحق ونضل الصواب اذا قلنا أيضا إن أوربا الحديثة تلقت بذور ثقافتها عن العرب بل إن عوامل نهضتها الفكرية وصلتها عن طريق اللغة العربية، فأن العرب كانت من أسبق الامم إلى ترجمة كتب الاغريق وعرفان قيمتها العلمية ولولاهم لظلت مجلولة الفائدة فمثلا، كتب (ذيوفانتس) Diophantes لم تصل الغربيين إلا عن الترجمة العربية، وكذلك كانت العربية عمدة من نقلوا الثقافة «السنسكريتية» الهندسية (٣) الى الفارسية والانكليزية والفرنسية والالمانيه والاسبانية .

ولسنا في مقام المفاضلة - بين الشرقيين والغربيين - حتى نذهب بعيدا وبين أيدينا الجمهرة الوافية من كتبهم منقولة الى لغتنا نقلا دقيقا كاملا غير منقوص بل مزودة بثمار الفكر الغربي الناضج ولنتخذ الانجليزية مثلا فى مساق الدليل، ألم يكن عندنا فيه : مكبث وتاجر البندقية، وعطيل، وهملت، ويوليوس قيصر.. الخ؟ وفيما يلى قطعة من الشعر الانكليزى يعدها الانكليز من عيون شعرهم ننقلها مع ترجمتها بالعربية حتى تتسنى المقابلة بينهما وليكون ذلك أوقع فى تقرير البرهان. وهى للشاعر الانكليزى Henry Longfellow «هنرى لونجفلو»

" As unto the bow the cord is,
So unto the man is woman:
Though she bends him , she obeys him
Though she draws him , yet she follows .

ولقد يجمل بنا أن نختم هذه الكلمة بالقصيدة الآتية وهى من تعريب الاستاذ الهراوى ننقلها بدون أصلها الانجليزى خشية التطويل وهى تتضمن حديث «مكبث» مع خنجره حين أراد أن يقتل عمه (ضنكان) ليرث الملك بعده وهى أيضا من شعر «شكسبير» الشاعر الانكليزى العظيم فى رواية «مكبث» على أن هذه الرواية بأجمعها ترجمها الى الشعر العربى شاعر مصر الكبير الاستاذ حافظ بك ابراهيم فيما نعلم وإن لم يطبعها :

(١) تاريخ الفكر العربى

(٢) الهلال ج ٢ س ٣٧ (٣) تاريخ الفكر العربى ص ٣٩

أرى خنجرا يدلى إلى بمقبض | أنصلا ترى عيناى أم أنا خائله
فيأيها النصل الذى لاح فى الدجى | وقد حال دون اللمس لا اللمح حائله
ترى أنت نصل أم تخيل واهم | به خبل الحمى فخابت دلائله
نعم أنت فى عينى مثلت مثلما | أجرد نصلا هذبته صياقله
وقد جئت تهدينى طريقا شرعتها | وتشبه نصلى فى الذى أنا فاعله
أكذب عينى أم أصدق مارأت | وهل صح حسي أم دهى الحس خابله
وإلا فما بالى أراك وقد بدا | عليك دم لم يبد من قبل سائله
لقد بات شطر الكون في جنح وحسة | كأن عليه الموت تضفو سدائله
وأزعجت الغافى وقد نام آمنا | رؤى حلم سلت عليه مناصله
وقامت تناجى ربة السحر نسوة | تعلمن علم السحر ماطال طائله
هنا لك تلقى غائل الموت ماثلا | أشاجعه معروفة ومفاضله
يهب اذا ماهتاجه الذئب عاويا | وللختل خلق فى الذئاب مخائله
فيا أرض صدى مسمعيك وأنكرى | سبيلى ولا يعلم بأمرى جاهله
فإنى لأخشى منك وسوسة الحصى | اذا استنبأ الصفوان عنى مسائله
فيجفل ليل الروع فى حين مهدت | وبثت على طرق النفوس حبائله
«أضنكان» لاتفزع فذلك لم يكن | سوى نبأ آت من القبر حامله
سواء أفى الفردوس أم فى جهنم | أعد لك القبر الذى أنت نازله

وقد يكون من المستحسن ان ننقل عن تعريب حافظ بك ابراهيم تلك القصيدة . لكنا نكتفى بما قاله عن « مكبث » حينما تملكته نزوة القتل :

فياحلم قاطعنى ويارشد لاتثب | وياشر مالى من يديك فرار
ويا ليل أنزلني بجوفك منزلا | يضل به سرب القطا ويحار
وان كنت ليل «المانوية» فليكن | علي سر أهل الشر منك ستار
على الفتك يا ضنكان صحت عزيمتى | وإن لم يكن بينى و بينك ثار

و بعد فهذه كلمة نرجو أن نكون قد التزمنا فيها جادة الانصاف ولم نخرج عن الحق فى كثير ولا قليل ؟

محمد الصاوى عمار

خواطر فيلسوف

بقلم جورج نقولا عطيه

الاخلاق

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فأن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

* * *

فى معظم البلاد الراقية ، تباع الاشياء بسعر محدود ، لاينقص ولا يزيد ، فلا يتعب البائع نفسه بالايمانات المتتابعة، ولا تتعب نفسك بالمساومات المملة، كما يحدث فى غيرها من البلاد .

وهذه الطريقة من حسنات المدنية العصرية ، ومن مظاهر الأخلاق النبيلة والشعائر السامية.

هناك الحرية ملموسة والمساواة موزعة على العموم ، فلا يباع شيء ما إلى الوطنى بسعر أبخس مما يباع به للشخص الغريب .

هناك يفضلون الغريب على الوطنى — ولكل قاعدة شواذ طبعاً — اذ باحترامهم للغريب يحترمون نفوسهم ، والأناء ينضح بما فيه . ممنوع هناك على الشرطة ان يدخلوا الي الحوانيت و يتناولوا شيئا من الأثمار أو المرطبات مجاناً، وقد حدث أن أحد الشرطة كان يدخل الي حانوت ما فى (سنسناتى أو هايو) كما أخبرنى المرحوم والدى — ويتناول يوميا برتقالة أو موزة ومرت الايام والحانوتى حانق صاخب ، حتى اذا دخل الشرطى الى الحانوت وتناول موزة ليأكلها كانت الأخيرة من نوعها إذ صوب مسدسه الى الشرطى فأرداه قتيلا . وحوكم القاتل فحكم ببراءته. . وهذا أوضح دليل علي استتاب النظام وتمتع الناس بالحرية التي هى ضالة كل امريء يرغب في الحياة السعيدة .

فى الانتخابات

عند انتخاب رئيس احدى الجمهوريات ، يضطرب سير الأعمال التجارية ومراراً تسيل الدماء اذ كل مرشح يبذل كل جهوده في سبيل الفوز على خصمه فمن منشورات تلصق علي زوايا الشوارع، وعلى السيارات والشرفات ، ودور الملاهي .. ومن خطباء مفوهين يستلفتون انظار المزدحمين الى سماع برنامج المرشح وذكر مبادئه واخلاقه و جهاده فى حقل الوطنية . الخ . . ويأتى يوم إعلان الفوز لأحد المرشحين، فتهدأ الحالة وتعود المياه الى مجاريها كأن يداً سحرية قد حولت كل شىء الي ما كان قبل الانتخاب ، و يتقدم المرشح الفاشل من المرشح الفائز و يقدم

له التهانىء الحارة ببساطة قلب ونبالة فى الاخلاق ، وفي هذا من الشهامة والتضحية ما فيه .

والأشرف من هذا أن الفائز لاينتقم من الفاشل في مستقبل الايام بل جل ما هنالك أن الاول يعتبر الثانى صديقاً وطنياً عاكسه فى الانتخابات التى هى من حقوقه ، وأن الثانى يعتبر الاول رئيساً للبلاد التى ربى فيها ، وترعرع بين جبالها وهضابها و بطاحها وسهولها .. هذه المبادىء هى التى تجعل الغرب في مقدمة الشعوب الراقية القوية الجبارة المتسلطة علي بقية الشعوب بأخلاقها لا بذخائرها الحربية .

حقيبة بين سيدتين

التواضع فى مقدمة الفضائل التى تزين أخلاق المرء فى أى محيط كان ، لان الأنسان جبل من التراب ، وهل التراب معدن ثمين كالذهب والألماس والياقوت ؟

يقول الامام على بن أبى طالب رب الفصاحة والبلاغة والاخلاق : « إن التكبر على المتكبرين تواضع »

هذه الكلمة الذهبية لاتحتاج الى تحليل ، إن معناها ظاهر ومرماها ملموس . فالتكبر على المتكبر هو التواضع بعينه ، أما اذا تذلل المرء للمتكبر فهذا دليل فقدان عزة النفس فى رأس ذاك الذليل .

حدث فى باريس منذ ثلاث سنوات أن سيدة شرقية انحدرت من حافلة القطار الكهربائي و بيدها حقيبة صغيرة كحقائب الاطباء ، تنادى حمالا ليحمل لها الحقيبة الى منزلها . ولما لم تجد حمالا وقفت كئيبة ، وإذا بسيدة كانت ترافقها بالقطار تقدمت منها وقالت : أنا لها ياسيدتى .

وحملت السيدة الفرنسية تلك الحقيبة مسافة طويلة حتى اذا وصلت السيدة الشرقية الي منزلها أخذت الحقيبة وقالت : أشكرك ياسيدتى شكراً جزيلا فأنا عقيلة الرجل الشرقي فلان فهل تشرفيننى باسمك ؟ اجابت بكل بساطة : انا عقيلة بوانكاريه ! فلا نعلم ما اذا كانت المرأة الشرقية خجلت من زوجة ذلك السياسي الكبير ، ولكننا نعلم ان التواضع هو خير حلية للرجال والسيدات في كل الاقاليم و بين مختلف النزعات ؟

صيدا — لبنان　　　　جورج نقولا عطيه

أسطورة الاطلانطيس

للأستاذ احمد الشنتناوى

يعتقد كثير من علماء الجيولوجيا ، أنه كان يوجد في الزمن الغابر، قارة عظيمة تقع وسط المحيط الأطلسي ، فيمايلى بوغاز جبل طارق ، وكانت عبارة عن حلقة اتصال بين العالم القديم والجديد. ولكن هذه القارة اختفت من عالم الوجود منذ ثلاثة آلاف عام على أقل تقدير وتدل الدلائل على أنه كان على سطح هذه القارة المختفية ، مظاهر حضارة عظيمة لا تقل عن مظاهر الحضارات القديمة كالمصرية والأشورية واليونانية ، بل إنها كانت تفوق تلك الحضارات بمراحل لان الأسطورة تذكر أنه كان يوجد فى تلك القارة حدائق نبات أطلس المسمى هسبريد Hesperides ، وأن فاكهة تلك الحدائق كانت من ذهب خالص يحرسها تنين هائل ذو إثنى عشر رأساً . . .

ولقد ظلت أخبار تلك الأسطورة عالقة بالاذهان يتناقلها الناس جيلا بعد جيل ، ونحن لا نعرف بالتدقيق مصدر تلك الأسطورة ، ولو أن البعض ينسبها إلى أصل مصرى قديم ، ولكننا من جهة أخرى نلاحظ أن مخلفات الانسان الأول التي عثر عليها في جهات اسبانيا وشمال إفريقية لا تدل بأى حال من الأحوال على وجود حضارة عالية فى غرب تلك الأنحاء كما أننا لا نجد خبراً صريحاً لهذه الأسطورة فى مؤلفات الاغريق أمثال هوميروس وهزيود وهيرودتس وغيرهم ، وهذا الخبط فى الأقوال قد حرض الاستاذ ريجنالد على أن يتصدى للبحث عن حقيقة هـذه الأسطورة ومصدرها ، فنجده بعد بحث طويل ومقارنات عدة يذكر أن هذه الأسطورة لا تشير إلى قارة اختفت وسط المحيط الأطلسي ، ولكنها تشير إلى حضارة أعظم أهمية وأشد خطراً كانت قائمة فى إقليم القوقاز. فنحن نعرف اليوم أن المياه كانت تغطى الجزء الأسفل من البلاد الروسية وأواسط آسيا فى زمن من الأزمان الجيولوجية القريبة وأن ماتراه اليوم صحراوات قاحلة كانت فيما مضى بحوراً زاخرة لم تلبث أن انحسرت عنها المياه ولم يبق لها من أثر سوى البحرين الأسود وقزوين ثم كست الغابات تلك الأرض المختلفة بساطاً أخضر ناضراً فكانت هذه البقعة الجديدة منبتاً حسناً لنيام الحضارات الاولى.

ثم يذكر الاستاذ بعد ذلك أنه حصل انخفاض مفاجيء فى تلك الأرض الجديدة تبعاً

لحركات الارض العنيفة فى ذلك الوقت كما أنه لا يجب أن يخفى عن أذهاننا أنه إذا ارتفع منسوب المياه فى هذين البحرين، بعضها ببعض، وعادت الحال كما كانت فى الاعصر الجيولوجية السابقة .

ومهما يكن من الامر فأنه عقب هذا الانخفاض المفاجىء ظهرت حكايات وقصص تشير إلى قارة كان ممكننا الوصول اليها عن طريق بوغاز الدردنيل، ولكن هذه الاقاصيص لم تلبث أن حورت على أثر توغل الملاحين من اليونانيين والفينيقيين فى الجهات الفرعية من البحر الابيض المتوسط ، وأصبح الشائع بعد ذلك أن تلك القارة المفقودة كانت تقع غرب بوغاز جبل طارق ، كما أن الاستاذ ريجنالد يعتقد أشد الاعتقاد أنه مامن بقعة فى العالم تكشف عن مخلفات الحضارات الأولى ، أكثر من البقعة الواقعة مابين البحر الاسود والجهات الفرعية من بلاد التركستان .

ثم لا ننس كذلك أن علماء الانثرو يولوجيا (علم الانسان) يقومون اليوم بحفائرهم فى تلك البقعة نفسها من الارض للكشف عن هيا كل الانسان الاول بين ثنايا تلك البقاع ، فكأنهم اتفقوا مع الاستاذ ريجنالد على المبدأ القائل بقيام الحضارات الأولى فى تلك الجهة من الارض .

ثم نلاحظ خلاف ذلك أن كثيرا من الاساطير اليونانية قد تجمعت حول أقليم جورجيا مثل أسطورة الخصلة الذهبية Golden Fleece وقد ذكر الاستاذ بترى عالم الآثار المشهور أنه كانت هناك علائق وثيقة بين هذا الاقليم و بين الحضارة المصرية فيما قبل التاريخ ، ولقد أشار إلى هذا الأمر هيرودتس فى كتاباته .

احمد الشنتناوى
خريج الجامعة المصرية

المجلد الاول

توجد مجموعات من المجلد الاول وتطلب من الادارة مباشرة ، بالسعر الآتى ٢٠ قرشا صاغا لمصر والسودان ، ٣٠ قرشا صاغا للخارج ، وترسل القيمة بالبريد

عبرة من التاريخ كلمات تذهب بملك آل صفرة

بقلم المؤرخ الكبير

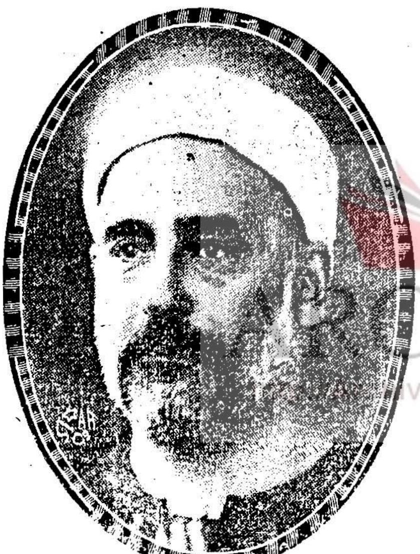
الشيخ عبد الوهاب النجار

أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية أصول الدين

ان هذا البحث ، الذى خصنا بنشره الاستاذ الكبير الشيخ عبد الوهاب النجار ؛ لمن أجل البحوث القيمة ، التى توفر الاستاذ على دراستها ؛ وكرس حياته فى خدمتها .

والاستاذ النجار من كبار اساتذتنا الذين تفخر بهم مصر كل الفخر ؛ وتعتز بعلمهم وخلقهم ؛ وقلا أن يتوافرا فى الكثيرين . ونحن نقدم هذا البحث لقرائنا شاكرين للأستاذ فضله؛ مقدرين علمه .

المحرر



(الشيخ عبد الوهاب النجار)

يقولون فى الامثال : « ومعظم النار من مستصغر الشرر » ويقول أبو العلاء المعرى :

وان شرارة وقعت بواد
لتحرق وحدها سمرا بشرج

ومن الاساطير المنقولة عن العرب ، أن لقمان بن عاد أعطاه الله عمر أربعة أنسر ، وانه كان رجلا داهيا ، أديبا ، أريبا ، واسع الحيلة العقلية ، مشهورا بكل ذلك . وكان له أخت متزوجة من رجل أحمق ، فخشيت أن يأتى ابنها محمقا كأبيه ، فقالت لزوجة لقمان أعيريني الليلة مضجع أخى ، ففعلت ، واستملت أخت لقمان منه على ولد وهو لا يعلم فجاءت بولد وسمته لقيما ، فكبر الولد وكان داهيا أريبا كلقمان ، فخشى لقمان أن يذهب لقيم بما له من الصيت والشهرة فعزم على إهلاكه .

كان لقمان ولقيم يقيمان بواد كثير السمر ، يقال له (شرج) فلما غاب لقيم على عادته فى رعى ماشيته ، عمد لقمان إلي السمر فقطعه ، وحفر فى الوادى حفرا كثيرة ، وألقى فيها حطب السمر ، وأوقد فيه النار حتى إذا خمد اللهب غطى تلك الحفر ببعض الأغصان

الصغيرة وسترها ومافيها عن العيون ، رجاء أن يجيء لقيم فيقع في احدي تلك الحفر فيهلك .

فلما عاد لقيم الي الوادى أنكرهيئته ، وقال « إن شرجا كشرج ، لولا اسيمرا » وحدس أن فى الامر سرا ، فحذر ، وكشف وجه الحيلة التى دبرها لقمان ، فتحول عن الوادى وقاطع لقمان .

وإلى هذه الاسطورة يشير المعري فى لزومياته ، فى ذم الدنيا وغدرها بقوله :

وخانت ود لقمان لقيما　　أباه وأوقدت سمرا بشرج

يخرج يزيد بن المهلب بن أبى صفرة من الحمام فى أيام الوليد بن عبدالملك ، وقد تضمخ بالغالية ، ويمر بيزيد بن عبدالملك وهو إلى جانب عمر بن عبدالعزيز ، وريح الغالية ساطع يفغم من يمر به ، فيكون بين اليزيدين الحوار الاتى : —

يزيد بن عبدالملك : قبح الله الدنيا ، لوددت أن مثقال غالية بألف دينار ، فلا ينالها إلا شريف .

يزيد بن المهلب : بل وددت أن الغالية كانت فى جبهة الأسد فلا ينالها إلا مثلى .

يزيد بن عبد الملك : والله لئن وليت لأقتلنك .

يزيد بن المهلب : والله لئن وليت هذا الأمر وأنا حى لأضربنك بخمسين ألف سيف .

هذه الكلمات القصيرة كانت لها نتائج خطيرة ، فقد أثارت عاصفة هوجاء ذهبت بآل أبى صفرة فاجتثتهم ، وعفت على آثارهم ، وكانوا عددا جما ، فيهم الصناديد الصيد ، والأنجاد الاماجيد ، من قائد محنك يريد حياته لرجاله اذا أراد القواد رجالهم لحياتهم ، وكريم يستقل الدنيا فى عطاياه ومواهبه ، وشهم همام :

إذا هم ألقى بين عينيه همه　　وصمم تصميم الرديني ذى الأثر

عرف التاريخ آل المهلب أعباء حرب وجلاد ، وأحلاس نزال وكفاح ، وجماع فضائل وفواضل ، فكانوا زينة دولة بنى مروان وعدتها للنوائب ، وعتادها على احداث الزمان .

ولكن هذه الكلمات القصيرة التى أوردنا ، عصفت بتلك الأطواد الراسية بين عشية وضحاها ، فصاروا مثلا للآخرين :

جمال ذي الارض كانوا فى الحياة وهم　　بعد الممات جمال الكتب والسير

تولى المهلب بن أبى صفرة حرب الازارقة من الخوارج ، فمازال يصابرهم ويكايدهم ويغاديهم القتال ويراوحهم — وهم من لا يصطلى لهم بنار ، ولا تفل لهم شوكة ، ولا يطيق خصمهم حملاتهم ، ولا يثبت على شداتهم — إلى أن أوهن قوتهم ، وفل شوكتهم ، وأتى على آخرهم ، وأخلى منهم بلاد المسلمين ، وأراح أهل الأسلام من فتكهم ، بعد أن أقام معسكرهم

بضعا وعشرين سنة وكان ذلك سنة ٧٧ .

وحسب المهلب فخرا أن يقول الحجاج لأهل العراق « يا أهل العراق ، كلكم عبيد المهلب » والحجاج على مانعلمه ضنين كل الضن بالثناء .

المهلب والى خراسان : لما أباد المهلب بن أبى صفرة الازارقة بعد جلاد طويل ، كافأه الحجاج بأن عينه واليا على خراسان فى سنة ٧٨ ، فاستخلف المهلب عليها ابنه حبيبا ولم يذهب اليها إلا فى سنة ٧٩ . وفى ولايته هذه غزا فيما وراء النهر وغنم وصالح أهل كش ، وهلك فى عوده بمرو الروز بعد أن استخلف ابنه يزيد وأوصى بنيه بطاعته ووعظهم ووصاهم (١) وقد قال نهار بن توسعة التميمى يرثيه :

ألا ذهب المعروف والعز والغنى ومات الندى والجود بعد المهلب

أقام بمرو الروز رهن ضريحه وقد غاب عنه كل شرق ومغرب

اذا قيل : أي الناس أولى بنعمة على الناس ؟ قلنا : هو ولم نتهيب

يزيد بن المهلب والى خراسان : قلنا إن المهلب استخلف ابنه يزيد على خراسان ، فكتب يزيد الي الحجاج بما كان من استخلاف أبيه اياه فأقره :

منزلة يزيد : لم يكن يزيد أكبر أولاد المهلب ، ولكن آل المهلب عرفوا ليزيد فضله ، وغناءه ، ونجدته ، وكرمه ، وماهو عليه من خلال طيبة ، حتي ان أخاه الاكبر حبيبا توفى له ولد فتقدم يزيد للصلاة عليه ، فقيل له : كيف تقدم يزيد مع انك أسن منه والميت ولدك ؟ فقال إن أخى قد شرفه الناس ، وشاع فيهم له الصيت ، ورمقته العرب بأبصارها ، فكرهت أن أضع منه ما قد رفعه الله .

علم يزيد بن المهلب وكرمه : كان يزيد بن المهلب يجمع الى الشجاعة والنجدة ، العلم والكرم ، أما علمه فقد ذكر ابن الاثير فى ترجمته أنه حكى عن أنس بن مالك صاحب رسول الله ، وعن عمر بن عبد العزيز وأبيه المهلب ، وروى عنه عبد الرحمن ، وأبو عيينة بن المهلب ، وأبو اسحق السبيعى وغيرهم .

كرم يزيد بن المهلب : كان يزيد بن المهلب جوادا مفضالا ، لا يمسك يده عن طالب معروف ، ولا يرضى من العطاء بالنذر ، بل يعطي عطاء من لايخاف الفقر حتى فى أوقات ضيقه ، واشتداد الازمة عليه ، وفى أوقات عذابه .

قبض الحجاج على يزيد بن المهلب ، وأخذه بسوء العذاب ، فسأله أن يخفف عنه من

(١) ابن الاثير ج ٤ ص ١٩٦

عذابه على أن يعطيه فى كل يوم مائة الف درهم ، فان أداها و إلا عذبه الى الليـل ، فجمع يوما مائة الف درهم ليشتري بها عذابه فى يومه ، فدخل عليه الفرزدق الشاعر ـ على ماهو المشهور ـ وقال له :

أبا خالد ! بادت خراسان بعدكم   وصاح ذوو الحاجات اين يزيد ؟
فلا مطر المروان بعدك مطرة   ولا اخضر بالمروين بعدك عود
فما لسرير الملك بعدك بهجة   ولا لجواد بعد جودك جود

فأعطاه المائة الألف ، و بلغ ذلك الحجاج فوهب له مبلغ يومه والذى بعده ، و رفع عنه العذاب فى هذين اليومين .

وذكر ابن عساكر فى تاريخه : أن يزيد بن المهلب لما فر من سجن الحجاج وقصد الشام من العراق، مر بقوم من الاعراب ، فأمر خادمه أن يستسقيهم لبنا فسقوه ، فأمر لهم بألف درهم ، فقال له الخادم: إنهم لا يعرفونك وأقل من هذا القدر يكفيهم . فقال له : ولكني أعرف نفسى ، وأمره فدفع لهم الف درهم .

وحج يزيد بن المهلب فلما قضي نسكه أعطى الحلاق الف درهم ، فدهش الرجل وقال : الآن أذهب ، فأشترى أمى فلانة ، فأمر له بألف درهم أخرى فقال الرجل : « امرأتى طالق إن حلقت رأس أحد بعدك » . فأمر له بألفين آخرين .

وكان سعيد بن عمرو بن العاص مواخيا ليزيد بن المهلب ، فلما حبس عمر بن عبدالعزيز يزيد كما سيجيء ، منع الناس من الدخول اليه ، فأتاه سعيد فقال له : ياأمير المؤمنين لى على يزيد خمسون الف درهم وقد حلت بيني و بينه ، فان رأيت أن تأذن لى فأقتضيه ، فأذن له فدخل عليه فسر به يزيد ، وقال له : كيف وصلت الى ؟ فأخبره سعيد ، فقال : والله لا تخرج الاوهى معك ، فامتنع سعيد ، فحلف يزيد ليقبضنها ، ووجه بالمال إلى منزل سعيد وفى ذلك يقول بعض الشعراء :

فلم أر محبوسا من الناس ماجدا   حبا زائرا فى السجن غير يزيد
سعيد بن عمرو إذ أتاه أجازه   بخمسين ألفا عجلت لسعيد

ومن كرمه أن وكيلا له باع بطيخا من أملاكه بأربعين ألف درهم ، فغضب على الوكيل وقال : تركتنا بقالين ؟ أما كان فى عجائز الازد من تقسمه فيهن؟ وقد مدحه عمر بن لجأ ، فقال:

آل المهلب قوم ان نسبتهم   كانوا المكارم آباء وأجدادا
كم حاسد لهم يعيا بفضلهم   وما دنا من مساعيهم ولا كادا
إن العرانين تلقاها محسدة   ولا ترى للئام الناس حسادا

لوقيل للمجد : حد عنهم وخلهم بما احتكمت من الدنيا لما حادا
إن المكارم أرواح يكون لها آل المهلب دون الناس أجسادا

ونقل ابن خلكان في ترجمته ليزيد بن المهلب قول الأصمعي : قدم على يزيد بن المهلب قوم من قضاعة ، فقال رجل منهم :

والله ما ندرى اذا ما فاتنا طلب لديك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد أحدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا أولا فأرشدنا الى من نذهب

فأمر له بألف دينار ، فلما كان العام المقبل وفد عليه فأنشده :

مالى أرى أبوابهم مهجورة وكأن بابك مجمع الأسوق
حابوك أم هابوك أم شاموا الندى بيديك فانتجعوا من الآفاق
انى رأيتك للمكارم عاشقا والمكرمات قليلة العشاق

فأمر له بعشرة آلاف دينار . قال ابن خلكان : وقد أجمع علماء التاريخ على أنه لم يكن في دولة بني أمية أكرم من بني المهلب ، كما لم يكن في دولة بني العباس أكرم من البرامكة .

شجاعة يزيد وآل المهلب : قال ابن خلكان : حكى ابن الجوزى فى كتاب الأذكياء أن يزيد بن المهلب وقعت عليه حية فلم يدفعها عن نفسه ، فقال له أبوه : ضيعت العقل من حيث حفظت الشجاعة ، وقال حريش بن هلال القريعي فى آل المهلب : والله ما أعلم أحدا أصون لنفسه في الرخاء ، ولا أبذل لها فى الشدة منهم . وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبي على المهلب فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم ، فقال : آنس الله الاسلام بتلاحقكم ، أما والله لئن لم تكونوا أسباط نبوة ، إنكم لأسباط ملحمة .

وكان مخلد بن يزيد من أعلام أجوادهم ، وقد بلغت عطاياه في سفره من جرجان إلى الشام ألف ألف درهم ، ولما مات بدابق صلى عليه عمر بن عبد العزيز وقال : اليوم مات فتي العرب .

يزيد أمير خراسان لأول مرة : لما مات المهلب استخلف ابنه يزيد على خراسان ، وكتب يزيد إلى الحجاج بوفاة ابيه وبما صنع من استخلافه ، فكتب اليه الحجاج يعزيه ، ويقره على ولاية ماكان يلى أبوه .

وقد غزا يزيد باذغيس وفتح منها قلعة نيزك ، وغنم مافيها من الأموال والذخائر . قال ابن الأثير : وكانت من أحصن القلاع وأمنعها ، وقد قال فيها كعب بن معدان الأشعرى :

(البقية على الصفحة رقم ١٠٠٢)

من سيرة المرحوم

السيد محمد بن عقيل

توفى المرحوم السيد محمد بن عقيل فأحدثت وفاته فراغا هائلا فى البلاد الاسلامية التى عرفته عالما من كبار علمائها، وعلما من رءوس اعلامها. ولما كانت سيرته مضرب المثل فى العصامية: فقد طلبنا إلى أحد تلاميذه وأصدقائه بحضرموت أن يبعث إلينا بجزء من سيرة المرحوم: لنشره فى (المعرفة) التى تعنى بسير رجال الشرق. وليكون لشبابنا من هذه السيرة خير محفز لاقتفاء أثرها؟ المحرر



(السيد محمد بن عقيل)

نشأته واجتهاده

نشأ رحمه الله عصاميا بمعنى الكلمة واستفاد بذهنه الوقاد واكبابه على المطالعة فى جميع الفنون فوائد جلى، حتى برع فيها وحقق واجتهد. ونظر ودقق وانتقد، وكتب وصنف وجمع وألف، وكل هذا يرجع الفضل فيه لنفسه العصامية فهى الحافزة لهمته، والباعث له على طلب العلم. وكان يقصد من الطلب أن يعمل به ليفيد أمته لا يرجو من وراء ذلك الا ابتغاء وجه الله. فلذلك حصل بجده واكتسب باجتهاده في الزمن القليل ما مكنه من العمل الذى عجز عن مثله من هم أكثر منه تحصيلا وأوسع فى العلوم والفنون عرفانا.

رحلاته

رحل رحمه الله من وطنه إلى جاوه لأول مرة سنة ١٢٩٦ هـ وسنه اذ ذاك لا تتجاوز الحلقة الثانية، وجاب أكثر الآفاق الشرقية والغربية ووصل فى رحلته الى البلاد الهندية مرارا والصين واليابان وسواحل البلاد الفارسية وزار أكثر عواصم أوروبا مرتين كما اختلف غير مرة إلى مصر والشام والعراق واليمن والحرمين، وحج مرارا وله تدوينات عن رحلاته أتى فيها بالغريب والعجيب: منها رحلة شيقة عن سياحته الى بير